ما لا يعرفه الناس

عن الزعيم

مصطفى النحاس

بقلم

علي سلامه



اهداءات ٢٠٠١
الدكتور/ القطب محمد طبلية
القاهرة

ما لا يعرفه الناس ؟

عن الزعيم

مصطفى النحاس

أبو زيد

بقلم :

علي ابراهيم سلامة

عضو الهيئة العليا لحزب الوفد الجديد
وسكرتير جمعيته العمومية
وعضو مجلس الشعب
السابق

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

للأستاذ/ احمد أبو الفتح

يتوج السيد الأستاذ **على سلامه** سلسلة كفاح وطنى طويل وشاق استمر منذ فجر حياته الى يومنا هذا باصدار كتابه هذا **« ما لا يعرفه الناس عن الزعيم مصطفى النحاس »** .

حظيت بمعرفة الأخ العزيز على سلامه منذ عشرات السنين وكان وقتئذ فى فجر شبابه يتصدر الصفوف المكافحة ضد الاحتلال البريطانى يتحدى كل قوى البطش دفاعا عن حق شعب مصر فى الحرية والديموقراطية ويستهين بكل تضحية فى سبيل تمسكه بمبادىء الوفد والوفاء الصادق لرئيسه **الزعيم الجليل مصطفى النحاس** .

كان أخى « على سلامة » فى مقدمة من استقبلونى عند عودتى سنة ١٩٧٤ الى أرض الوطن بعد أن قضيت أكثر من عشرين عاما فى المنفى .

وجدته رغم اعتقاله أربعة مرات وقضاء سنين طوال فى مختلف السجون والمعتقلات ورغم ما تعرض خلال قرابة عشرين عاما من حرب على حريته وفى رزقه أشد صلابة فى دفاعه عن حق الشعب فى الحرية والديموقراطية وأكثر ايمانا بالوفد ومبادىء سعد ومصطفى النحاس .

لم تستطع قوى البطش والارهاب أن تهز ايمانه بمبادئه ولم تفلح مغريات الانتماء الى السلطة التى توصل للجاه والثراء أن تؤثر على تمسكه بوفديته ودفاعه عن الزعيم الجليل مصطفى النحاس .

رشح نفسه لانتخابات مجلس الشعب مرتين ضد مرشحى السلطة

رغم ما يعترض المعارضين من مشاق وكان بامكانه أن يضمن النجاح السهل لو انضم الى حزب السلطة .

رغم رفضه الانضمام لحزب السلطة بل واعلان مبادئه خلال حملتى الانتخاب ورغم كل الضغوط التى واجهها فاز فى الانتخابين بثقة الشعب وان كانت السلطة قد رفضت الاعتراف بنجاحه فى الانتخابات الأخيرة رغم ادانة القضاء العادل لقرار السلطة .

استطاع النائب « على سلامه » طوال مدة عضويته لمجلس الشعب أن يقف شامخا تحت قبة البرلمان يدافع عن حقوق المصريين ويعلن معارضته فى قوة وجلاء لكل ما ترتكبه الحكومة من أخطاء تضر بحقوق ومصالح الشعب .

عندما سنحت بادرة للوفد أن يعيد تشكيله كان « على سلامه » فى مقدمة من بذلوا كل جهد ليقوم التشكيل الجديد على مبادىء سعد زغلول ومصطفى النحاس .

* * *

كانت أمنية « على سلامه » أن ينشر كتابا يضمنه تاريخ حياة زعيم مصر مصطفى النحاس .

ألحت عليه هذه الأمنية لأسباب كثيرة منها اخلاصه دون حدود للنحاس وايمانه العميق بوطنيته وكفاحه الذى حقق لمصر انتصارات وطنية ضخمة واشتدت رغبته فى اصدار كتاب عن مصطفى النحاس نتيجة الحملات المضللة التى استهدفت انكار زعامته طوال ثلاثين عاما .

سيطر على أخى « على سلامه » شعور بأنه لن يتم واجبه الوطنى الا باصدار كتاب يروى حياة مصطفى النحاس .

كتاب يلتزم بالحقائق ليتيح لشباب الجيل أن يعرف تاريخ زعيم انفرد منذ سنة ١٩٢٧ الى يوم مماته بالتأييد الصادق من شعب مصر .

كتاب يعبر بصدق عن ملحمة كاملة من النقاء الوطنى والكفاح الصلب فى سبيل مصر وشعب مصر .

كتاب يصحح التزييف والباطل الذى صاحب حملات لا تتوقف شنها المرتجفون من زعامة مصطفى النحاس أثناء حياته وحتى بعد وفاته .

كل هذه الأسباب وغيرها دفعت « على سلامه » الى تحرى غاية الدقة فى كل كلمة يكتبها حرصا منه على أن يأتى الكتاب بصورة صادقة لحياة زعيم وهب نفسه لمصر .

الكتاب يسد فراغا ظل شاغرا سنين طوال فهو يسجل من خلال الحديث عن مصطفى النحاس أحداث مصر الكبرى منذ مطلع القرن العشرين وبذلك يمكن اعتباره بمثابة وثيقة لتاريخ مصر خلال عشرات السنين التى كان الكفاح الوطنى فى أقوى وأعظم صوره

يتحدث الكتاب عن مصطفى النحاس فتى قرية سمنود الذى يعمل عاملا بمكتب تلغراف القرية وكيف لفت ذكاؤه المبكر من أصر على الحاقه بالتعليم الابتدائى وكانت هذه هى مقدمة انطلاق الى حياة حافلة بأعظم صور النجاح فقد كان الأول بين كل تلاميذ مصر فى امتحانات الشهادات الابتدائية ثم الثانوية ثم الأول فى ليسانس الحقوق مع الحصول على أربع جوائز التفوق فى علوم القانون فى مقدمتها الشريعة الاسلامية .

يتدرج الكتاب بعد ذلك فيحدثنا عن رفض الأستاذ مصطفى النحاس للوظيفة الحكومية التى عرضها عليه المفتش الانجليزى بوزارة الحقانية (العدل) اذ اتضح له عدم التناسب فى الوظائف بين ما يقدمه ذلك المفتش البريطانى للأجانب العاملين بالمحاكم المختلطة والوظائف التى يسمح باسنادها للمصريين .

واتخذ من هذه الفوارق المخالفة للقواعد العلمية والوطنية أول سلاح لتفجير عدائه للاستعمار البريطانى .

يساير الكتاب مصطفى النحاس محاميا ثم قاضيا ثم تضحيته بوظيفته رغم مسئولياته نحو عائلته ليشارك سعد زغلول فى تأسيس الوفد المصرى •

هكذا ينتقل بنـــا الكاتب يروى تاريخ مصر من خلال تاريخ زعيم مصر •

زعيم لم يفرض نفسه على مصر بل بايعه الشعب وظل يبايعه الزعامة الى أن انتقل الى رحاب الله فكان الوداع الأخير أعظم دليل على التأييد المصرى الجارف لزعامة النحاس وعلى رفض الشعب رفضا قاطعا لأكاذيب حملات الحكم وزبانيته ضد الزعيم الجليل مصطفى النحاس •

* * *

فى ختام كلمتى هذه لا يسعنى الا أن أقدم خالص الشكر للأخ الكريم « الأستاذ على سلامه » اذ حمل عنا جميعا أمانة كان يجب أن يؤديها كل من عرف مصطفى النحاس ووطنيته وايمانه بالله ونزاهته الناصعة وما تكبده فى سبيل مصر من تضحيات وتعرضه لمحاولات قتل دنيئة لم تنجح فى زعزعة ايمانه بالله والواجب الوطنى بل زادته شكرا لرعاية الله سبحانه وتعالى وايمانا بمواصلة الكفاح الوطنى حتى وصل به الغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ واباحة الكفاح المسلح ضد قوات الاحتلال البريطانى فكان بهـــذا العمل الفريد أول زعيم فى دولة محتلة يبيح الكفاح المسلح بل ويمـــد الفدائين بالأسلحة والعون السياسى فى الوقت الذى يتولى فيه حكم البلاد ويرأس حكومتها •

مرة أخرى شكرا « لعلى سلامه » ورحمة واسعة من الله أنصف الحاكمين لمصطفى النحاس •••

أحمد أبو الفتح

مقـــدمة

ثلاثون عاما مضت ... ومنذ يوليو سنة ١٩٥٢ على وجـــه التحديد . والتاريخ يعتـــدى عليه تحت سمعنا وبصرنا ، والكلمة الحـــرة الأمينة اختفت من صحائفنا ، ولا سبيل ولا وسيلة لنشرها فى ظل تلك القيود التى كبلت بها صحافتنا وأجهـــزة الاعـــلام المختلفـــة فى وطننا ..

ثلاثون عاما مضت ... والحرب السافرة معلنة على « مصطفى النحاس » أطهر زعمائنا وأصلب قادتنا ، فى محاولة خسيسة للنيل منه ومن الوفد المصرى الذى قاد أعظم مســـيرة فى تاريخ نضالنا دفاعا عن الدستور المصرى والذود عن الحـــــرية والديمقراطية والمطالبة باستقلال وطننا ..

والله يعلم ، ومصر والعالم أجمع يعـــلم ، ان تاريخ الوفد المصرى زعامتيه الجليلتين « سعد زغلول » وخليفته « مصطفى النحاس » هو نصع الصفحات فى تاريخ مصر دفاعا عن استقلالها والتمسك بدستورها الذود عن الحرية والديمقراطية وان مصطفى النحاس « هو الزعيم الحق » وخليفة سعد بصدق » « ما فى ذلك أدنى شك » عاش حياته كلها ، رافع لرأس ، شامخ الأنف ، طاهر اليد ، قلبه خال من الحسد والحقد ، صادق لوعـــد ، لسانه لا ينطق الا الصدق ، باع نفسه لمصر ، وشعب مصر .

والى هؤلاء الحاقدين نقول أين كنتم حينما كان مصطفى النحاس يعيش عيشة الهوان بعيدا عن وطنه ، **منفيا بأمر من قوى الاحتلال فى جزيرة سيشـــل .**

أين كنتم حينما طالب « مصطفى النحاس » الملك أحمد فؤاد بتوقيع

المرسوم بقانون الخاص بمحاكمة الوزراء سنة ١٩٣٠ فرفض الملك فاستقال مصطفى النحاس .

أين كنتم أيها الحاقدون حينما قال « مصطفى النحاس » قولته الخالدة **« تقطع يدى ولا أمضى وثيقة يفصل فيها السودان عن مصر » .**

أين كنتم حينما واجه مصطفى النحاس الملك فؤاد ومن بعده الملك فاروق بقولته الخالدة .. قولته الدستورية **« انك تملك ولا تحكم ، ولكنك تحكم بواسطة وزرائك الذين ينتخبهم الشعب بمحض اختياره وكامل ارادته » .**

يا زعيم الوادى ...

انك الآن فى دار الحق ، بجوار سعد ، وشهداء مصر ، فى جنة عرضها السموات والأرض جزاء ما قدمتم لمصر من جهد ، وما ضحيتم فى سبيلها من وقت ، وهيهات هيهات أن ينـال أحـد منك ...

وعزاؤنا « أيها الرئيس الجليل » ان مصر بأسرها خرجت فى ٢٤ أغسطس سنة ١٩٦٥ تودعك الى مقرك الأخير بجوار سعد والصديقين ، فى موكب شعبى جليل ليس له مثيل على مدى تاريخها الطويل حاملة نعشك فوق رؤوس أبنائها تحوطك قلوب شبابها الهالعة ، وعيون شيوخها الدامعة ، وألسنتها الهاتفة المرددة **« عشت زعيما ومت زعيما » « بالمحبة بايعناك وبالمودة شيعناك » « ماتت الزعامة من بعدك يا نحاس » « لا زعيم الا أنت يا نحاس » .**

هتافات مدوية ، واكف مصفقة ، حينما غادر نعشك السيارة التى أقلتك تلقفتها الجماهير ، كما كانت تتلقفك فى حياتك بالأحضان والقبلات . وقال الأستاذ خالد محمد خالد فى سرادق العزاء معلقا عما تركته الجنازة من انطباعات فى نفسه « لقد رأيت مصطفى النحاس خطيبا ولكنى لم أره أخطب منه فى مثل هذا اليوم العظيم » .. لقد كنت أروع خطيب وأعظم خطيب .. فالهبت مشاعر الشعب .. وكأنك تطالبهم بالبذل والفداء والتضحية فى سبيل مصر والتمسك بالديمقراطية والحرية ...

ولقد أثارت جنازتك الشعبية هذه حفيظة المسئولين .. فدفعت أنا وثلاثة وعشرين من اخوانى الوفديين ثمنا غاليا بافتقادنا حريتنا لمدة تزيد على ٢٥ شهرا قضيناها فى معتقلات القلعة وطرة فى المدة من ٢٥/٨/٦٥ — ١٤/١١/١٩٦٧ والقرارين الجمهوريين رقمى ٣٤٣٢ مكرر لسنة ١٩٦٥ ، ٢٠٢٦ لسنة ١٩٦٧ خير شاهدين على ذلك .

وعزاؤنا أيضا « يا زعيم النيل » التفاف الشعب حول الوفد الجديد بزعامة ابنك العظيم وتلميذك النجيب « **محمد فؤاد سراج الدين** » سكرتير عام الوفد المصرى رغم ما وضعته السلطة الحاكمة فى طريق قيامه من عقبات .

وانه لدين فى عنقى وأنا أحد أبنائك ، وأحد الخريجين من مدرستك ، والذى تعلم الكثير على يديك ، ونهل الوطنية من نبعها الصافى الأصيل يشرفنى أن أكتب تاريخك ، فى حدود امكانياتى واستطاعتى .

انه لدين على أن أكتب بعض صفحات من تاريخ حياتك فهيهات هيهات أن ألم بكل تاريخك المجيد فى هذه الصفحات القليلة لكنها محاولة قصدت بها ألا أحرم أبناء هذا الجيل الجديد من سيرتك العطرة ، وزعامتك النادرة وتعاليمك الخالدة وآرائك الثاقبة .

وان واجب الانصاف يقتضينى أن أضع « مصطفى النحاس » فى اطار عصره وحزبه ، فى مصر التى عاشها ، لا فى مصر التى نعيشها ، فى مصر الاحتلال ، فى مصر السراى ، فى مصر أحزاب الأقلية ، فى مصر الجرائد الصفراء .

وعهد على أن أكون فيما أكتب .. أمينا صادقا .. كما تعلمت .. على يديك يا زعيمى حتى لا أغضبك فى قبرك ، وحاشاى أن أكون فيما أكتب متغاليا أو منافقا والا استحققت على لعنة السماء كما يستحقها هؤلاء المتخرصون عليك النائلون بغير حق من تاريخك ...

وصدق رسولنا الكريم القائل :

« لعن الله قوما ضاع الحق بينهم » ...

١/٧/١٩٨٢

علي سلامه

الفصل الأول

مولد الزعيم

ولد مصطفى النحاس فى قرية « سمنود » احدى قرى محافظة الغربية فى ١٥/٦/١٨٧٩ من أبوين متوسطى الحال شأن الغالبية المعظمى من أبناء الريف المصرى الأصيل وكان والده يعمل فى تجارة الأخشاب (صاحب مغلق خشب صغير) ورغم انه لم يكن تاجرا كبيرا الا أنه كان ذا سمعة طاهرة ومكانة عالية بين الناس لا يقول الا الحق ولا يعرف غير الصدق مما جعل شركات الأخشاب الكبرى تسترشد برأيه فى المتعاملين معها من كبار التجار فى المنطقـــة .

نشـــأة الزعـــيم

نشأ مصطفى النحاس بين والدين صالحين تقيين وفى جو عائلى اسلامى فعاش حياة الاستقامة منذ طفولته ، ولم تكن نفسه طوع هواها ، راض بأقل القليل ، كالسلف الصالح من الصالحين عف اللسان ، طاهر الذيل والوجدان ، يؤدى الصلاة فى أوقاتها منذ العاشرة من عمره الى آخر يوم فى حياته وكان يحرص الحرص كله على صلاة الفجر فى وقتها ويتبعها بتلاوة جزء من القرآن الكريم ، كان صادقا مع نفسه ومع الناس ، محبا للخير ، عزوفا عن الشر ، لا يقول الا صدقا ، ولا ينطق الا حقا ، ظاهره كباطنه ، الصراحة صفة من صفاته البارزة ، والجرأة فى الحـــق سمة من سماته الظاهرة ، والاخلاص النادر لمن خالطه وعاشره ، كان متينا فى خلقـــه الشخصى ، لم يغضب ربه فى صدر شبابه ولا فى شيخوخته ، لم يحتس الخمر طول حياته ولم تعرف السيجارة طريقها الى شفتيه طول حياته ، يأوى الى فراشه مبكرا وباختصار كان خلقه القرآن الكريم .

تعـــــليم الزعـــيم

لم يكن فى سمنود تلك القرية الصغيرة التى ولد فيها الزعيم ونشأ بين أهلها ــ مدرسة أولية أو الزامية أو ابتدائية كتلك المدارس التى انتشرت فيما بعد تجاوزا شأنها فى ذلك شأن باقى قرى مصر وكفورها على امتداد نيلها العظيم من الاسكندرية الى أسوان وانما كانت تعرف بعض القرى الكبيرة ومنها سمنود •• « نظام الكتاتيب » ومفرده « كتاب » وهو مكان يجتمــع فيه الصبية من أبناء ذوى الشــأن فى البلاد •• يفترشـــون الأرض • ويجلس بينهم معلمهم الذى يطلق عليه (سيدنا الشـــيخ فلان ••••) ممن يحفظ القرآن الكريم أو بعضا منه •• يعلم الصبية حفظ بعضا من كتاب الله الكريم ــ بجانب القراءة والكتابة ــ ومبادىء الحساب •

لقد التحق « مصطفى النحاس » فى طفولته ــ بكتاب القرية ــ فتعلم فيه ما تعلمه الآخرون من قراءة وكتابة وحفظ بعضا من كتاب الله الكريم وتعلم مبادىء الحساب ••• لكن والده لم يقف به عند هذا الحـــد من التعليم ••• فكلف أحد أساتذة اللغة الفرنسية بتعليمه اياها حيث كانت هى اللغة الأصلية فى المدارس الابتدائية والثانوية المنتشرة فى مدن مصر الكبرى وقتذاك • وايمانا من والده بحديث رسولنا الكريم محمد صلوات الله وسلامه عليه « من تعلم لغة قوم أمن مكرهم » •

الزعـــــيم

بمكتب تلغــراف ســمنود

ولمـــا بلغ مصطفى النحاس العاشرة من عمره ألحقه والده كعادة أهل ذلك الزمان بمكتب تلغراف محطة سكة حديد سمنود لاعداده لشغل وظيفة « تلغرافجى » باحدى محطات سكك حديد مصر •

ولم يمض أسبوع واحد على التحاقه بالمكتب المذكور الا وكان مصطفى النحاس قد أجـــاد طريقة الارسال والاستقبال وترجمة البرقيات اجادة تامة لفتت اليه الأنظار •

ولعل من حسن طالعه أن رآه « محمد صالح ثابت باشا » أحـــد كبار المستشارين فى مصر وقتذاك بعد عودته من المرور على « عزبته » التى يمتلكها فى سمنود فاسترعى نظره ــ استقبال « مصطفى النحاس » للبرقيات وترجمتها فى سرعة منقطعة النظير •• فأعجب به ايما اعجاب وراح على الفور يسأل رئيس مكتب التلغراف وناظر المحطة فى نفس الوقت عن اسم « مصطفى النحاس » واسم والده •• فأحاطه علما بكل شىء عنه وعن والده وسر وجوده •••

فقال (محمد صـــالح ثابت باشا) كيف يتمرن صاحب هذا الذكاء الخارق على عمل كهذا ؟ أين والده ؟ ولم يكد يفرغ من قوله حتى كان القطار الذى سوف يستقله الى القاهرة قد وصل الى المحطة فاستقله الباشا دون أن يتلقى أية اجابة من ناظر المحطة وظل حديثه عالقا بفكر ناظر المحطة ، لا يغادره لحظة ، وراح يتدبر بعده ، وشاءت ارادة الله وحده ، أن تهيىء على يد هذا الرجل لقاء هاما فى الأسبوع التالى مباشرة بين الشيخ محمد النحاس (والد مصطفى النحاس) وبين (محمد صالح ثابت باشا) فى مكتب (ناظر محطة سكة حديد سمنود) •

ودار حديث طويل بين الرجلين أظهر فيه الباشا لوالد النحاس اعجابه الشديد بابنه وبذكائه واقترح عليه الحاقه باحدى المدارس الابتدائية بالقاهرة وأخذ على عاتقه تذليل العقبات التى قد تعترض طريقه خصوصا وقد مضى النصف الأول من العام الدراسى ولم يبق الا النصف الثانى الذى لا يزيد على أربعة أشهر فقط •• وبعد الحاح شديد من الباشا تمت الموافقة على الحاق « مصطفى النحاس » بمدرسة الناصرية الابتدائية التى كان يتولى نظارتها (أمين باشا سامى) صديق (محمد صالح ثابت

باشا) وتحدد موعد سفر مصطفى النحاس ووالده الى القاهرة وحمل معه خطاب توصية من الباشا الى ناظر مدرسة الناصرية الابتدائية •••

واليكم ما حدثنا به الزعيم •• فى لقائه الأسبوعى (يوم الجمعة) كما عودنا ونحن فى صدر شبابنا •• قال فى بساطة وسعادة ، لا كلفة فى حديثه ، ولا استعلاء ولا مغالطة أو كبرياء •

فى القاهرة لأول مرة فى حياتى ، بصحبة والدى نزلنا (والدى وأنا) من القطار بمحطة مصر وكنت أرتدى جلبابا فوقه جاكيت وكانت الحمير هى وسيلة الانتقال داخل القاهرة • فركبنا حمارا ، وتوجهنا الى مسجد مولانا « الامام الحسين » رضى الله عنه وأرضاه ، وصلى كل منا ركعتين لله ، ثم قال والدى فى بساطة أهل الريف ومعتقداتهم وهو ممسك بشباك المسجد « يا حسين يا ابن بنت رسول الله الحبيب هذا هو ابنى مصطفى استودعته الله فى رحابك » ثم انصرفنا واتجهنا الى مدرسة الناصرية ••

ويضيف الأستاذ ابراهيم المحامى — والوزير السابق — نقلا عن « مصطفى النحاس » •

ومنذ هذه اللحظة أصبحت الصلاة قرة عينى ولم أترك فرضا مادمت قادرا عليه منذ ذلك اليوم الذى دفعنى فيه والدى الى شباك سيدنا الحسين •

الزعيم
فى مدرسة الناصرية الابتدائية
بالقاهرة

استقبل أمين باشا سامى ناظر مدرسة الناصرية الابتدائية الشيخ محمد النحاس وولده « مصطفى » وأجرى على الفور لمصطفى اختبارا فتبين له المامه الكامل بكل مواد الدراسة عدا اللغة الفرنسية فكان فيها دون

المستوى المطلوب ومع ذلك فقد وافق أمين باشا سامى ناظر المدرسة على الحاق مصطفى النحاس بالسنة الثالثة الابتدائية بمدرسة الناصرية مشترطا عليه الاستعانة بأحد مدرسى اللغة الفرنسية خلال الفترة الباقية من العام الدراسى سنة ١٨٩٠ والتى كانت مدتها لا تزيد على ثلاثة أشهر — ليصبح فى نهايتها متمكنا فى اللغة الفرنسية وفى نهاية العام الدراسى اجتاز مصطفى النحاس امتحان النقل للسنة الرابعة الابتدائية فى جميع المواد الدراسية بما فيها اللغة الفرنسية وكان ترتيبه الأول على جميع زملائه الناجحين • وقد أهله هذا التفوق الساحق للالتحاق بالقسم الداخلى بالمدرسة فى العام الدراسى سنة ١٨٩١ بالمجـان • وفى هذا العـام نال مصطفى النحاس الشهادة الابتدائية وكان الأول على جميع الناجحين فى مصر بأجمعها وليس على الناجحين فى مدرسته فحسب •

الزعـيم
فى المدرسـة الخديوية الثانوية
بالقاهرة

التحق مصطفى النحاس بعد حصوله على الشهادة الابتدائية بمدرسة الخديوية الثانوية سنة ١٨٩٢ — بشارع الخليج المصرى (بورسعيد حاليا) بالقاهرة وأمضى بها مدة دراسته الثانوية كلها (٥ سنوات) على أحسن وجه وكان خلالها بين زملائه مثلا يحتذى ، وقدوة يعتد بها ، فى الخلق وفى التحصيل وكان موضع فخر أساتذته ومدرسيه واعجاب زملائه ومخالطيه •

« شبح المدرسة الحربية يعترض طريقه »

وبينما الطالب مصطفى النحاس سعيدا فى مدرسته الثانوية منكبا على دراسته اذ به يعلم أنه قد وقع عليه اختيار اللورد كتشنر المندوب السامى البريطانى فى مصر ضمن الطلبة الذين اختارهم لالحاقهم بالمدرسة الحربية دون أن يستكملوا دراستهم الثانوية •• وهنا يثـور مصطفى النحاس

الطالب ثورة عارمة رافضا هذا الاختيار وهذا التوجيه الذى لم يكن منبعثا من ارادته مفضلا مواصلة دراسته الثانوية حتى النهاية والانتقال منها الى مدرسة الحقوق •• ليكون له شرف الدفاع عن وطنه ومواطنيه •

علم المفتش الانجليزى بموقف مصطفى النحاس الذى يتعارض مع رغبة اللورد كتشنر وهو الحريص على تحقيق رغباته وتنفيذ أوامره • فاستدعى المفتش مصطفى النحاس لمقابلته ولمـا أصبحا وجها لوجه ، مصطفى النحاس الطالب الشاب فى مواجهة المفتش الانجليزى الرجل المكتمل الذى يمثل المحتل الغاصب قال ممثل الاحتلال — لمصطفى النحاس — محاولا اقناعه للعدول على رأيه « ان كل تلميذ هنا يتعلم بالمجـان لابد أن يلتحق بالمدرسة الحربية » •

فبماذا أجابه الطالب الصبى مصطفى النحاس ولم يتجاوز من العمر وقتذاك أربعة عشر عاما فقط •• قال مصطفى النحاس •• على الفور •• فى عزة وكرامة وشجاعة « **اننى لم أطلب المجانية عن فاقه ، ولا سألتها عن عوز ، ولكن ناظر المدرسة هو الذى شاءها لى ولأمثالى المتقدمين والمتفوقين مكافأة وجزاء وفاقا على تقدمهم وتفوقهم** » •

بهذه الكلمات القوية ، المنبعثة من قلب هذا الشاب الشجاع ، اسقط فى يد المفتش الانجليزى ، وانصرف ولم يحر جوابا •••

وكان لمصطفى النحاس ما أراد ، وما أراد له الله ، فاستمر فى دراسته الثانوية حيث حصل على شهادة « البكالوريا » عام ١٨٩٦ وكان ترتيبه الأول والأول دائما على جميع الناجحين فى كل مراحل التعليم •

الزعـــيم
فى مدرســة الحقــوق الخديوية
بالقاهرة

التحق « مصطفى النحاس » بعد حصوله على شـــهادة البكالوريا بمدرسة الحقوق الخديوية بالقاهرة سنة ١٨٩٦ التى أطلق عليها فيما بعــد

(جامعة فؤاد) ثم (جامعة القاهرة) وفى الجــو الجامعى ، حيث الجــو المنطلق ، والمجال الرحب ، تتكشف المواهب ، وتتسع المدارك ، وينطلق الذكاء ، ويبرز النبوغ ، وهذا شأن جو كل دراسة جامعية ، تتوافر فيها كل مقومات الحرية •• وهنا •• تتجلى العناية الالهية •• على « مصطفى النحاس » الذى تعهدته ، منذ طفولته ، وأثنـــاء دراســته الابتدائية ، والثانوية ، فيرتقى سلم الزعامة فى مدرسة الحقوق ، التفت حوله جموع الطلبة ، لعظيم خلقه ، ورجاحة عقله ، وقوة حجته ، وسلامة منطقه ، وحدة ذكائه وتفوقه ، وكان أول فرقته ، فى جميع سنوات الدراسة ، كما كان أول الناجحين فى ليسانس الحقوق •

هذا هو مصطفى النحاس فى جميع مراحل تعليمه •• لم يشفع له صاحب سلطة أو سلطان أو صاحب هيل أو هيلمان كما نرى أو نشاهد فى هذا الزمان •• رحم الله النحاس رحمة واسعة لقد كان عمله هو رأسماله وعقــله هو ميزانه •

وهكذا كان مصطفى النحاس فى طفولته وفى صباه وفى مطلع شبابه الى أن أصبح مصطفى النحاس المحامى •

واسمعوا معى لحديث أجريته مع الأستاذ الكبير (ابراهيم فرج المحامى — والوزير الوفدى السابق) الذى كان يعمل سكرتيرا خاصــا للزعيم مصطفى النحاس سنة ١٩٢٨ حينما كان رئيسا للوزراء فى هذا العــام •

يقول الأستاذ ابراهيم فرج •••

« فى بيت « مصطفى النحاس باشا » بمصر الجديدة •• لاحظت أن مكتبته الخاصة فى حاجة الى اعادة ترتيبها وتنظيمها حتى يســهل الاستعانة بما فيها من مراجع ومؤلفات •••

وبينما أنا أقوم بعملى هذا اذ بى أعثر على عديد من المكافآت الدراسية القديمة التى حصل عليها « مصطفى النحاس » وهو طالب بمدرسة الحقوق أذكر بعضا منها :

١ — مكافأة النبـوغ فى القانون المدنى — وكان المتبرع بها السـيد ماكلارايسى مستشار وزارة الحقانية (العدل حاليا) •

٢ — مكافأة المرافعات التى كان يقدمها مستر برونيات (المستشار) •

٣ — مكافأة الشريعة الاسلامية التى كان يقدمها الشيخ محمـد زيد الابيانى •

٤ — مكافأة السلوك •• وهى سجادة صلاة تعبيرا عن مواظبته على الصلاة فى أوقاتها داخل المدرسة •

وغيرها وغيرها من المكافآت التى منحت له وكانت دهشتى كبيرة بعد أن تبين لى أنه حصل على جميع المكافآت فى جميع المواد الدراسية دون استثناء فقلت للزعيم ضاحكا ما هذا ؟ أفهم أن يكون نبوغك فى مادة أو مادتين أما ان يكون نبوغك فى جميع المواد القانونية والشرعية حتى السلوك الأمر الذى ترتب عليه حصولك على جميع المكافآت وحرمان جميع الطلبة والحيلولة دون حصول واحد منهم على احدى هذه المكافآت ، وبعد فترة صمت قصيرة قطعها الزعيم بضحكة عالية عريضة من الأعماق قائلا والبهجة تشع على قسمات وجهه (لكل مجتهد نصيب) •

قولة لا غرور فيها ولا استعلاء ولا غطرسة ولا خيلاء أليست هذه شيمة الذاكر لفضل الله المنعم الواحد الأحد دون سواه ••

ويتابع الأستاذ ابراهيم فرج كلامه بقولة أخرى قالها « الشيخ محمد زيد الابيانى بك أستاذ الشريعة الاسلامية بمدرسة الحقوق للطالب ابراهيم فرج أثناء دراسته بالمدرسة •• عندما علم أن مصطفى النحاس هو ولى أمره » •

لقد كان مصطفى النحاس الطالب الوحيد فى تاريخ مدرسة الحقوق منذ انشائها حتى الآن الذى حصل على الدرجات النهائية فى جميع المواد الدراســية •

مكافأة السلوك :

لقد كانت مكافأة السلوك « سجادة للصلاة » أحب المكافآت الى قلبه ، وحرص الحرص كله على الاحتفاظ بها حتى لقى ربه •• لأنها خير شاهد على صلته بخالقه ليس الا •• رغم ما أصابها من البلى •• رحمك الله أيها الزعيم الطاهر المطهر ، الزعيم المتبتل الصوام القوام ، بالليل والنهار •

الزعيم
« أول الناجحين »
فى مدرسة الحقوق

تخرج « مصطفى النحاس » من مدرسة الحقوق سنة ١٩٠٠ م ونال الليسانس وكان ترتيبه الأول على دفعته التى سميت باسمه (دفعة مصطفى النحاس) فقد كانت القاعدة المتبعة فى مدرسة الحقوق أن تسمى دفعات الخريجين باسم الأول عليها وكان من زملاء مصطفى النحاس فى التخرج محمود باشا سامى النائب العمومى ـــ بوزارة العدل سنة ١٩٣٦ •

الفصل الثانى

الزعيم المحامى الثائر

على أثر ظهور اجازة ليسانس الحقوق •• دعا « مصطفى النحاس » زملاءه الناجحين معه لاجتماع قرر عقده فى مدرسة الحقوق بالقاهرة •• وفى الموعد المحدد اجتمع شمل الخريجين جميعهم •• ولم يتخلف أحد •• لان الدعوة موجهة ممن حظى باحترام الجميع وحبهم وتقديرهم •• وقف بينهم مصطفى النحاس يحدثهم عن أحوال خريجى مدرسة الحقوق بالنسبة للدفعات السابقة على دفعتهم وما يعانونه فى سبيل الحصول على حقوقهم الأدبية والمادية بوزارة الحقانية (العدل) وكشف مصطفى النحاس فى حديثه بما عرف عنه من صراحة لزملائه حالة اخوانهم وكاشفهم بالحقيقة المـرة وسيطرة الأجانب المحتلين لبلدنا على وزارة الحقانية والعراقيل التى يضعونها فى طريق خريجى مدرسة الحقوق من المصريين مبتغين بذلك عدم التوسع فى دراسة الحقوق لمـا لها من عميق الصلات بمناحى الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والوطنية والدولية ثم راح مصطفى النحاس يكشف لهم سر دعوته لهذا الاجتماع وانه يهدف من ورائه الى أن يضع حدا ونهاية لكل ذلك •• كما أنه من الجرم أن يقبل رجال القانون على أنفسهم وكرامتهم أن يعينوا فى الوظائف الكتابية التى يعرضها عليهم المستشارون الأجانب براتب قدرة خمسة جنيهات شهريا بينما زملاؤهم من الأجانب ومن هم دونهم فى المحاكم المختلطة يعينون فى النيابات مباشرة دون المرور على الوظائف الكتابية بمرتبات أكبر •• كيف يقبل المحامون المصريون على أنفسهم هذه الاهانات المنافية للكرامة •• لو قبلوا ذلك فان مصر لا تقبل والشعب المصرى لا يقبل وكان يهيب بزملائه أن يكونوا عند

مستوى الكرامة والشهامة •• فيظلوا عند موقفهم من رفض تلك الوظائف •• ولا يقبلون الا التعيين فى وظائف « مساعدى نيابة » وبراتب خمسة عشر جنيها واهاب بهم الامتناع عن تلك الوظائف •• لان المحامين سدنة الحق وحراس العــدل ••

ثم راح يقول كان الواجب يحتم على أن أدعوكم فى دارى ولكن خشية أن أرمى بالتآمر ضد أحد أو باملاء الرأى على أحد رأيت أنه من الأصــوب أن يكون الاجتماع فى مدرستنا تحت ســمع وبصر مدرسينا وأساتذتنا فتتوفر العلانية وتنعدم الضغوط التى قد نتهم ظلما بها كأسلوب للاقناع بوجهة نظرنا • انى شخصيا لا أرتضى بغير الاقتناع بديلا • فما لا أقبله لنفسى لا أقبله لغيرى • اننى جئت لأشرح لكم وجهة نظرى فقط ولا أقبل أن يضغط أحد على رأى لان ذلك لا يتفق وكرامتى •• اننى أعلنها عالية صريحة •• واشهدكم واشهد الله اننى لن أقبل الوظيفة الحالية التى تعرضها وزارة الحقانية على خريجى مدرسة الحقوق لأنها لا تتناسب معنا أدبيا أو ماديا وسوف أعمل بالمحاماة •• لأنهــا أشرف مهنة عرفها الانسان ولكنى أعلم ان فيكم من ستضطرهم ظروفهم العائلية وأحوالهم المالية الى قبول هذه الوظيفة وهم لها كارهون •• ولكن كل ما أطلبه منهم •• أن يعلنوا ذلك من الآن •• لنعفيهم من الاشتراك معنا •• فذلك خير من أن ينشقوا علينا بعد أيام ويخرجوا على صفوفنا فيسيئوا الى أنفسهم ويسيئوا الينا •• فأسفر أربعة عن رأيهم لظروفهم •• فقال « مصطفى النحاس » هذا حسن فليتحد الباقون • وليكونوا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا •

ومضى مصطفى النحاس •• ورفاقه •• فى طريقهم هذا •• مؤمنين بصــواب فكرتهم معتمدين على ربهم ، معتزين بكرامة مهنتهم ، ونبل رســالتهم •

« وصول أنبـــاء هذه الحركة الى المسئولين »
من الانجليز والمصريين

سمع بهذا اللقاء النائب العام الانجليزى الجنسية بوزارة الحقانية (العدل) المستر كوربيت فاستدعى « مصطفى النحـــاس » لمقابلته ودار الحديث بينهما على الوجه الآتى : —

مستر كوربيت : —

لقد اجتمعت بزملائك خريجى مدرسة الحقوق وحرضتهم على رفض الوظائف الحكومية ، فلماذا اقدمت على هذا العمل ؟ .

مصطفى النحاس

من قال لك ذلك ؟

مستر كوربيت

لقد وصلتنى بوسيلة أو بأخرى فهل هى حقيقية أم لا ؟

مصطفى النحاس

حقا لقد اجتمعت بزملائى ولكنى لم احرضهم ! وشرحت لهم وجهت نظرى لهـــم التى تخلص فى ان زملاءنا من حملة اجازة الحقـــوق يعينون (كتبة نيابات) بمرتب ٥ خمسة جنيهات وفى هذا امتهان لنا ولا نرتضيه لانفسنا ولا لأخواننا وتضيع أعز ســـنوات العمـــر فى أدنى الوظائف . ويتعرضون خـــلالها لمهانات كثيرة وانى لست ابغى من وراء ذلك لنفسى نفعا شخصيا ، فلن اقبل الوظيفة ، مهما عرضتم على ، لانها قيـــد على حريتى قيد تعافه نفسى الحره ، دائما الذى اطلبه لاخوانى هو ن يعينوا فى وظائف مساعدى نيابه بمرتب لا يقل عن ١٥ جنيه خمسة عشر جنيهات شهريا

مستر كوربيت

الانسان لما يطلع السلم بيطلعه من تحت مش بيطلعه من فوق •

مصطفى النحاس

ايوه بس ما بيطلعش من تحت سطح الأرض ••

وحاول مستر كوربيت •• عبثا أن يقنع مصطفى النحاس بالعدول عن رأيه ويقبل الوظيفة الحكومية خصوصا بعد أن أسفر هذا الاجتماع عن تحقيق الغاية التى من أجلها دعى اليه • فأصبح الحائزون لاجازة الحقوق يعينون بوظيفة « مساعد نيابة بمرتب عشرة جنيها اعتبارا من دفعة مصطفى النحاس — بعد أن كانوا يعينون قبل ذلك » كتبة نيابات بمرتب خمسة جنيهات وكان هذا أول انتصار لمصطفى النحاس يحققه للمحامين ورفع شأنهم كما كان هذا أول نجاح له فى زعامته المبكرة وقيادته فى الدفاع عن حقوق الجماعات المظلومة بقوة يقينه ، وجاذبية شخصيته ، وترفعه عن المادية ، وقف بجانب الحق رافع الرأس ، رفض الوظيفة ، فى الوقت الذى كانت فيه الوظيفة أمل الشباب ، وغاية الطلاب ، رفض عشرة جنيهات دخل يسيل له اللعاب ، فى ذلك الزمان ، مفضلا حياة الحرية والعزة والاباء ، معتمدا على الله خالق الأرض والسماء •

أن موقف مصطفى النحاس هذا ، أثر تخرجه ، وفى الظـــروف التى تعيشها مصر ، فى كنف الملكية والاستعمار ، وانتشار أدواته فى كل موقع ، وبالرغم من ظروفه العائلية القاسية ، التى تحتم عليـــه قبـــول الوظيفة لمواجهة متطلبات اسرته الكبيرة ، شقيقته ، أبنـــاءها ، متطلبات تربيتهم وتعليمهم فى جميع المراحل التعليمية موقف يحسب له ويذكر له فيشكر •

الزعـــيم
فى حيـــاته العمليـــة

استقبل مصطفى النحاس حياته العملية وسلاحه فيها الاستقامه ، ودرعه الكرامة ، اشتهر بالصراحة التى لم يسبقه فيها حاكم أو سلطان ،

وعرفت عنه عفة اليد واللسان ، وطهارة الذيل والوجدان ، وعزة النفس والاباء ، والاستهانة بالتضحية والاباء ،

آثر مصطفى النحاس • العمل الحر ، وما أجمل الحرية فى كل أمر ، وهكذا بدأ حياته العملية ، محاربا فى سبيل الحرية ، مجاهدا من أجلها ، متمسكا بكل أبعادها ، باذلا فى سبيلها المرتخص والغال ، مدافعا عنها بايمان الرجـــال •

المحاميـــان

« محمد فريد ، مصطفى النحاس »

بدأ مصطفى النحاس عمله فى المحاماه بمكتب محمد فريد (المحامى) الذى أصبح فيما بعد رئيسا للحـــزب الوطنى بعـــد وفاة الزعيم الشاب « مصطفى كامل » •

ولم تدم فترة عملهما معا أكثر من أشهر معدودة ـــ نقـــل مصطفى النحاس بعدها مركز نشاطه من القاهرة الى المنصورة وكان الدافع لذلك سياسة محمد فريد بمكتبه تلك التى لا تسمح لزملائه المحامين معه بالمكتب من الانفراد بالعمل لحسابهم الخاص بعيدا عن أعمال المكتب • مما يجعلهم أشبه بالموظفين وان حقوقهم قبل المكتب لا تتعدى مرتبات شهرية الأمــر الذى رفضه مصطفى النحاس بكل شدة •••

وحاول عبثا « محمد فريد » استبقاء « مصطفى النحاس » بمكتبه فرفض بشدة قائلا « كيف لى أرفض قيود وظيفة حكومية وفى نفس الوقت اقبل قيود وظيفة أهلية » انها كلمات قوية •• صادرة من نفس أبية • • عاشقة للحرية • كارهة للتبعية ••

مصطفى النحاس ، ومحمد بك بسيونى

يعملان معا « بالمنصـــورة »

ـ المحاماه فن رفيع ـ ومنار للعدل ـ وحصن للحق ـ

افتتح مصطفى النحاس ومحمد بك بسيونى ـ مكتبا للمحاماة بالمنصورة كشركاء (لمباشرة القضايا الأهلية والشرعية والمختلطة) وبعد أشهر معدودة انفرد مصطفى النحاس • بالمكتب •• لتعيين زميله « محمد بك بسيونى » قاضـــيا •

بعدها راح مصطفى النحاس يقتحم ميدان المحاماة اقتحاما ، برزت فيه مواهبه ، وبذل فيها عصارة فكرة ، وصادق جهده ، وتابع خلال عمله بهـــا الأحكام القضائية التى كان يصدرها المستشار ســـعد زغلول بك ويعنى بقراءتها ، ويحرص الحرص كله على الاسترشاد بها لاعجابه بها ، وحسن تقديره لها ، فلا غرابة اذا ان يصبح مصطفى النحاس خلال فترة وجيزة محاميا لايبارى ، طبقت شهرته الآفاق ، وتحدثت بعظمته الركبان رغم انه لم يبلغ من العمر وقتذاك سوى ٢١ عاما فقط •

لم يتخذ مصطفى النحاس المحاماه مهنة لكسب مادى تكفل له الرزق الوفير والعيش الرغد ولكنه ارتفع بها من حرفة ومهنة لكى تصبح فنـــا رفيعا ومنارا للعدل ، وحصنا للحق •

كان فيها الباحث عن الحق والعدل ، المنتصر للمظلوم من الظالم •• كان فيها القدوة الحقه لرجل العدالة الواقف ••

كان فيها الباحث عن الحق من أجل الحق لأن الحق اسم من أسماء الله الحسنى •• كانت المحاماة فى نظره الوسيلة لاقامة العدل بين الناس •• ولم يثبت فى تاريخ عمله بها انه قبل المرافعة فى قضية المتهم فيهـــا مدان بالفعل ، ولم يدافع فى حياته عن جريمة أو مجـــرم ، بل ظل طوال سنى

اشتغاله بالمحاماه لا يدافع الا عن الابرياء دون الاشقياء ، وهو أمر يندر وجوده فى مهنة المحاماه ، وهذا مثل لمسه غيرنا وعاشه سوانا ، وسمعناه من بعدهم ، كان عفا شريفا نظيفا — أمينا — كان يعمل جاهدا للصلح بين الخصوم — غير مكترث بالتضحيات المادية التى تترتب على ذلك لأن نفسه الخيره تأبى الا ان يعيش الناس فى وئام وسلام ، لا فى فرقة وخصام ..

قص على الاستاذ ابراهيم فرج المحامى الكبير هذا القصص الجميل فاقرأ وتدبر ..

زار مصطفى النحاس المحامى بمكتبه — أحد المتهمين فى جريمة قتـل وفى صحبته نفر من أهله ..

وبعـد أن قدم المتهم أوراق الدعوى ... (لمصطفى النحاس) سأله « مصطفى النحاس » ...

هل قتلت ؟ وأرجو ان تصدقنى فانا محاميك « فنفى المتهم ارتكابه هذه الجريمة بل ذهب الى أبعد من ذلك فاقسم على صحة أقواله ..... وبعد أن اطلع « مصطفى النحاس » على أوراق الدعوى قبل التوكيل ودفع أهل المتهم مقدم الاتعاب .. وبعـد أيام .. كان « مصطفى النحاس » يتكلم مع المتهم فى مكتبه بحضور أحد المحامين الذين كانوا يتمرنون فى مكتبه فبدرت من المتهم ما فهم مصطفى النحاس منه (انه قاتل وانه ارتكب الجريمة) .

فما كان من مصطفى النحاس — المحامى النزيه — الذى ليس له مثيل فى العالم أجمع الا أن طوى دوسيه القضية وأمر باعادة مقدم الاتعـاب الى صاحبها وكان مبلغا كبيرا واعتذر عن الدفاع عن تلك القضية — لان ضميره لا يطاوعه عن الدفاع عن مجرم .

وعبثا حاول المتهم وأقرباؤه اقناع مصطفى النحاس — المحـامى — بانه لم يقتل .

وبعد انصراف المتهم وأهله — أظهر المحامى المتمرن — دهشته للنحاس — لترك قضية كهذه أتعابها كبيرة .

فقال مصطفى النحاس « اننى أعمل فى المحاماة باعتبار انها من الفنون لا مورد للكسب والكسب الحرام وفى اليوم الذى يتعارض فيه تعشقى لهذا الفن مع فضيلة من الفضائل فسوف اتخلى عنه فورا ولو كان فى ذلك الفقر المدقع وكيف تريد من مثلى أن يقف أمام القضاء فيقول ان الرجل الذى قتل لم يقتل فيقلب الحقيقة ويقرر الكذب ويقول ما ليس مقتنعا به اننا نطلب المثل الأعلى ليس الا وأجرنا على الله » •

لا يدافع الا عن الحـــق

لقد كان ايمان مصطفى النحاس بالحق ايمانا مطلقا ولقد جند نفسه فى خدمته والانتصار له على الباطل مهما كلفه ذلك • كانت تلك مهمته فى المسائل العامة والخاصة على حد سواء وأثناء اشتغاله بالمحاماه كان يختلى بأصحاب الدعاوى ويستدرجهم للوقوف على الحقيقة كاملة فاذا تبين له أن صاحب الدعوى على حق قبل مهمة الدفاع عنه واذا اكتشف أنه على باطل اعتذر عن قبول مهمة الدفاع عنه ولو وضـــع أموال الدنيا كلهـــا بين يديه •

« مواقف خـــالده »

للاستاذ « مصطفى النحاس » المحامى

(١) « قضية الاغتيالات السياسية »

عـــام ١٩٢٦

أراد الانجليز أن يوجهوا ضربة للوفد المصرى ورجاله وشبابه — للتخلص منه • باعتباره القوة الوطنية الضـــاربة التى تقف فى مواجهـــة الاحتلال البريطانى فى صـــلابة منقطعة النظير وتطالب بجـــلاء قـــوات الاحتلال واستقلال الوطن (مصره وسودانه) وان يعود الحكم لابنائه المصريين •• فقامت دار المندوب السامى البريطانى بتلفيق تهمة لعضوين من أعضاء الهيئة الوفدية هما « الدكتور أحمد ماهر ومحمود فهمى النقراشى

سكرتير الهيئة الوفدية .. وجمعوا بعض المستندات — ادعـوا فيهـا انهما اغتالوا بعض الشخصيات الانجليزية — وأطلقوا عليهـا « قضيـة الاغتيالات السياسية » وقدمتها للمحاكمة برياسة مستشار انجليزى يدعى (كرشـو) ...

فوجد مصطفى النحاس .. أن واجبه الوطنى يفرض عليه التفرغ لهذه القضية الكبرى تفرغا كاملا .. «ومتطوعا» ويقول « ابراهيم باشا فرج المحامى » والوزير الوفدى السابق ... والذى كان يعاون « مصطفى النحاس » فى مكتب المحاماه ... امتنع علينا قبول أية قضية أخرى فى الوقت الذى كان فيه مصطفى النحاس فى أمس الحاجه الى المال لمواجهـة حياته وحياة أولاد شقيقته وحينما اشرت اليه من طرف خفى الى ظروفه الماليه الخاصة ومتطلبات اسرته قال لى « يا ابراهيم — ان قضية ماهـر والنقراشي قضية خطيرة ولها آثار بعيدة بالنسبة للافراد وبالنسبة للوفـد

اعلم أن القضايا العامة هى التى يجب أن نعطيها كل اهتماماتنا مهما كلفنا ذلك من جهد وتضحيات اما القضايا الخاصة . فهنـاك الكثيرون من غيرنا هم الذين يتولون أمرها حقا لنها كلمات صادقه صـادرة من زعيم لا هم له الا وطنـه ومواطنيه ، ولا شـاغل شغل يشغله يتعلق بنفسـه أو بذويه ، كما نرى من مدعى زعامات اليوم ...

.. وبذلت دار المندوب السامى البريطانى قصارى جهدها للتوصـل الى ادانة ماهر والنقراشى حتى يتم القضاء على سـعد زغلول والـوفد المصرى ويؤيد ذلك تلك البرقية التى أرسلها المستر هندرسون (المندوب السامى البريطانى بالنيابه) وقتذاك الى وزير الخارجية البريطـانى على أثر مقابلة جرت بينه وبين الملك أحمد فؤاد الأول (ملك مصر) سـادها التفاهم والاتفاق .

« نص البرقيـــة »

« ان سعد زغلول لم يقض عليه حتى الآن ...

يجب قتله ابديا ولو بارغام المتهمين فى قضية الاغتيالات السياسيه للاعتراف ولو بالقوة بأنهما (ماهر والنقراشى) كانت لهما يـــد وضلع فى الجريمه وانه من الضرورى تزوير اية انتخابات قادمة حتى لا يحصـــل الوفد الا على أقلية لا تذكر » .

ولن يستطيع أى كاتب أن ينقل صورة صادقة لتلك المؤامرة الكبرى التى دبرتها انجلترا وشاركتها فى تنفيذها دار الحماية البريطانية فى مصر والملك ورجاله ومن يدورون فى فلكه ضد الوفد المصرى ورجاله . وفى هذه القضية بالذات (قضية الاغتيالات السياسية) وكيف عاشت مصر هـــذه الفترة من حياتها باعصاب مشدودة ، لم تفقد ثقتها بالله ، وبقائدها سعد ، وبوفدها ، ولعلنا أيضا ندرك مدى الجهد الـــذى بذله « المحامى مصطفى النحاس » فى هذه الدعـــوى ويقـــول الاستاذ ابراهيم فرج المحـــامى ومعاونه فى هذه الدعوى —

ويعلم الله كم من الوقت والجهـــد بذله مصطفى النحاس فى هـــذه القضية التى كانت تتكون من عشرات الملفات والاف الصفحات التى جمعت فيها جميع قضايا الاغتيالات السياسية لرجال قوات الاحتـــلال .. فترة عاشها من حياته لا هم له ولا فكر الا هذه القضية حتى اننى اشفقت عليه .

واستطاع « مصطفى النحاس » بحمد الله وتوفيقه واخلاصه ان ينتزع البراءة لماهر والنقراشى . وكانت مرافعته هى العامل الحاسم فى الحكم بالبراءة لأنه استطاع بكفاءة نادرة منقطعة النظير ان ينتزع البراءة .

(٢) قضية « الأمير أحمد سيف الدين »

كان أحمد فؤاد — أحـــد أمراء الأسرة المالكة فى مصر — الذى صار فيما بعد ملكا لمصر — وكان متزوجا من الأميرة شويكار شقيقة — الأمير أحمد سيف الدين — وكان الأمير سيف الدين على جانب كبير من الثراء

بينما الأمير أحمد فؤاد أميرا فقيرا. فى حاجة قصوى للمـال الذى ينفقه على ملذاته وشهواته • فوجـد فى أموال صهره الأمير سيف الدين منجما كبيرا لتغطية نفقاته •• وبهـذا استطاع أن يحصل على الكثير منها فى غير حياء أو استحياء •• فضاق الأمير سيف الدين ذرعا به وبتصرفاته وأراد أن يضع نهاية لهـذا النزيف المستمر فى ثروته فاطلق عليه الرصـاص فاصابه فى حنجرته • فخشى القصر أن ينكشف الأمر وينفضح سر الأسرة فاذاعوا أن الأمـير سيف الدين أصيب بلوثه فى عقله ، وأودع احـدى مستشفيات الأمراض العقلية بتركيا ••• وبعد مدة تمكنت الأميرة (نوجوان هانم) والدة الأمير سيف الدين من مساعدة ابنها على الهرب ثم راحت تبحث فى تحريك دعوى رفع الحجر عن ابنها المظلوم والمطالبة برد ممتلكاته وأمواله اليه كما راحت تبحث أيضا عمن يتولى أمر الدفاع عن حق ابنها وانتهى رأيها وهداها الله الى « مصطفى النحاس » المحامى •

وكلفت وكيلها الدكتور محمود شـوكت بالحضور من « استامبول — تركيا » الى مصر — لاعداد التوكيل اللازم للمحامى مصطفى النحاس ولمـا سئلت عن سر اختيارها لمصطفى النحاس قالت **« أنها لم تر أهلا لهذه الدعوى سـوى مصطفى النحاس •• لأنه أشجع رجل فى مصر وليس لـه مثيل فى الشجاعة الادبية » والاخلاص فقيل لها وكيف عرفت ذلك ؟**

قالت « لقد قرأت مرافعته فى قضية الاغتيالات السياسية المتهم فيها (أحمد ماهر والنقراشى) التى أعلن فى ساحة المحكمة أنه يتهم الحكـومة والنيابة العمومية بالتآمر والتضليل وتلفيق التهم للابرياء (ماهر والنقراشى) خدمة لاغراض الانجليز •

وبالفعل •• قبل مصطفى النحاس •• أن يتولى الدفاع عن الأمـير أحمد سيف الدين •• واستطاع أن يحصل على حكم من (مجلس البلاط الملكى) بتقرير نفقة مؤقته كبيرة تكفى لأمير من امراء الأسرة المـالكة

التى يجلس رأسها على عرش مصر وذلك بصفة مؤقتة حتى يتم الفصل فى الموضوع الخاص برفع الحجر • وطالب المستشفى بمستندات وأوراق وأخذت الدعوى تدخل دورا ايجابيا جادا • ومن حظ الأمير السىء • أن مصطفى النحاس لم يستمر فى مباشرة الدعوى • بسبب اختياره رئيسا للوفد المصرى بعد وفاة سعد زغلول باشا •• وقد تفرغ مصطفى النحاس باشا تفرغا كاملا للقضية الوطنية •• منذ انتخابه رئيسا للوفد المصرى •• ولم يباشر أى عمل آخر سواه •

أتعاب

« مصطفى النحاس المحامى »

(ويستمر ابراهيم باشا فرج فى حديثه قائلا)

وكثيرا ماكنت أستأذن « الأستاذ مصطفى النحاس المحامى » لتحرير خطابات لاستنهاضهم فى دفع مؤخر الاتعاب المستحقة عليهم فيمنعنى مصطفى النحاس قائلا **« ليست أتعاب المحامى مالا فقط وانما أتعاب المحامى فى رضاء الضمير »** يجب أن تعى ذلك جيدا ••• الست معلمك •• وينهى قوله ضاحكا رحمك الله يانحاس رحمة واسعة وطيب الله ثراك وجعل الجنة مثواك •

الفصل الثالث

مصطفى النحاس القاضى

كان نظام التقاضى فى مصر فى ظل الاحتلال الأجنبى يخضع لنوعين من المحاكم : المحاكم المختلطة ، والمحاكم الأهلية ، أما الأولى فتختص بمحاكمة الأجانب (المتمتعين بامتيازات أجنبية) دون سواهم والثانية وتختص بمحاكمة المصريين .

وفى عام ١٩٠٣ عزمت وزارة رشدى باشا على تدعيم القضاء الأهلى بالكفاءات من الشباب المصرى حتى يصبح على قدم المساواة مع القضاء المختلط ...

وفى أواخر هذا العام تم لقاء بين عبد الخالق باشا ثروت مدير ادارة المحاكم بوزارة الحقانية (العدل) وبين مصطفى النحاس المحامى — بمكتبه .

قال ثروت باشا — لمصطفى النحاس ...

« ان سمعتك عندى عظيمة .. وقد صح عزم وزارة الحقانية وعلى رأسها رشدى باشا على أن يجعل من القضاء الأهلى بقضاء يبز القضاء المختلط الذى يضم جهابذة من علماء القانون فى الخارج ولن يكون ذلك الا بتطعيم القضاء المصرى بشباب مثقف على قدم المساواة مع هؤلاء المستشارين الأجانب ولهذا فقد اخترتك لتكون قاضيا بالمحاكم الأهلية فى الحركة القضائية القادمة (أكتوبر سنة ١٩٠٣) ....

لقد صور للباشا خياله .. ان هذا العرض السخى الذى عرضه

على مصطفى النحاس والذى لم يسبقه اليــه أحــد ســوف يكون له أجمل الأثر فى نفس مصطفى النحاس مما يدفعه لشكره واعلان موافقته وقبول ما عرضــه عليه الباشا ولكن شيئا من ذلك لم يقع من نفس مصطفى النحاس •• بل على العكس من ذلك تماما •• فما كاد الباشا ينتهى مــن حديثه حتى بادره (مصطفى النحاس) شاكرا معتذرا •• مما جعل الباشا يشعر بحرج شــديد وضيق ما بعده ضيق ويقول له فى غضب شــديد « ان زملاءك الذين تخرجوا معك لازالوا حتى الآن يشغلون وظائف مساعدى نيابة الذين لم يرفضوا تلك الوظيفة التى سبق لك أن رفضتها أثر تخرجك عندما عرضت عليك لأنك رفضت الوظيفة الحكومية كما قلت لما فيها من قيد على الحرية — ان اختيارك قاض معناه اختصار ١٠ سنوات أو ١٥ سنة من سنى الخدمة — الواجب أن تمضيها قبل الترشيح لمنصب القضــاء ومع ذلك ترفض منصب القضاء ••• ان الأمر جد عجيب وغريب •• ويلزم أن اقابل والدك للتفاهم معه فى أمرك »•

وتم بالفعل لثروت باشا ما أراد فدبرت مقابلة بينه وبين الشيخ محمد النحاس والد « مصطفى النحاس » وكان شيخا يبلغ من العمر وقتذاك الثمانين عاما قال ثرت باشا — للشيخ محمد النحاس •

ان مر ابنك مصطفى •• غريب وعجيب •• لقد عرضت عليه وظيفة القضاء ، الا أنه رفضها ، وكيف يرفض هذه الوظيفة الكبيرة ؟ التى لم يسبق أن عرضت على غيره وفى مثل سنه وفى حداثة تخرجــه وفى تاريخ القضاء المصرى وغير المصرى ؟ ولم يستطع الشيخ محمد النحاس أن يعد ثروب باشا بأى شىء لأنه أدرى من غيره بخلق ابنه وبصلابة رأيه ولم يعده بأكثر من بحث الأمر معه • وانصرف ثروت باشا وكله أمل ان يتجاوب مصطفى النحاس مع والده حتى تتحقق الغاية التى ينشــدها رشدى باشا للقضاء الأهلى المصرى •••

وفى جلسة ضمت الوالد المسن مع ولده (مصطفى النحاس) الشاب

الطموح العاشق للحرية ، الرافض لقيود الوظيفة الحكومية ، حتى تلك التى تمكنه من أن ينشر العدل بين الناس ، وأن ينتصر من خلالها للمظلوم من الظالم ، ويأخذ بحق الضعيف من القوى ، ولمـا طال الجدل والنقاش بين الوالد وولده •• دون اقتناع مصطفى النحاس بقبول « منصب القضاء » أنهى والده الموقف « بقسم غليظ » بضرورة قبوله للوظيفة ••• هنا ••• وهنا فقط ••• أسقط فى يد مصطفى النحاس وخر صاغرا أمام والده •• موافقا على قبول « منصب القضاء » رغم ارادته ولولا هذا القسم لما قبل مصطفى النحاس منصب القضاء ولظل يعمل بالمحاماة •• ولولا هذا القسم — لمـا كان لمصطفى النحاس شرف العمل بين حماة العدل الجالس فى مصر وظل يعمل بالعدل الواقف (المحاماة) الدفاع فى قضايا الأفراد تلك التى تفرغ بعدها للدفاع عن القضية الوطنية الكبرى « قضية استقلال وادى النيل مصره وسودانه » منذ انتخابه رئيسا للوفد المصرى بعد وفاة الزعيم الخالد الذكر سعد زغلول باشا ومن حق الرجل علينا — الا نترك دائرة فكره التى فرضت عليه رفض منصب القضاء تمر دون وقفة ودون تدبر •

شاب فى الرابعة والعشرين من عمره ، حديث التخرج يرفض أن يجلس فى منصب القضاء يتحلى صدره بأرفع الأوسمة التى يتطلع اليها الشيوخ من الرجال •••

شاب فى ريعان الشباب يرفض أن تهتز له جنبات ساحة القضاء فى الانعقاد والانفضاض •••

شاب يرفض وظيفة تتعلق بصاحبها الأبصار فى الجلسات وتشرئب اليها الاعناق وترهف لسـماع أحـكامه الاذان وتتوقف فى الصـدور الأنفاس •••

شاب من أسرة رقيقة الحال يدع فرصة تتيح له أن يفصل فيها بين الناس بالحق غنيهم وفقيرهم قويهم وضعيفهم •• حماية لأبناء طبقته •••

شاب فقير لا مورد له الا كده وعرقه ويرفض دخل وظيفة كبيرة فيها الاستقرار •• والاطمئنان على مستقبله •••

انه شاب ، ولكنه لا ككل الشباب ، انه مصطفى النحاس ، وحيد زمانه ، وفريد عصره ، ولا أحد سواه ، نشأ كبيرا بخلقه ، عظيما بصلته بربه ، لم يعرف الحقد طريقا الى قلبه ، المملوء بالتقوى والايمان ، خلقه القرآن ، ظاهره كباطنه ، لا رياء فيه ولا اصطناع ، لا غرور ولا كبرياء ، لا صلف ولا استعلاء ، محبا للحياة الحرة الفسيحة الأرجاء ، على حياة الوظيفة ذات القيود والأعباء ، خصوصا وظيفة القضاء ، التى سيحاسب الله عليها شاغلها أقسى حساب اذا اختل ميزان العدل بين يديه ، كان هذا مصطفى النحاس فى شبابه كما كان فى كل شىء فى حياته ، لم يتغير ولم يتبدل ، فلا غرابة ان مضت حياته بعد ذلك على هذا النسق الفريد زاهدا فى المناصب كارها للالقاب ، مناضلا فى سبيل المبادىء ، مستهينا بما يلاقى فى سبيلها ، وهذه هى قوته ، وسر عظمته ، وسر استمرار زعامته ، حتى آخر يوم فى حياته ، حقا عاش زعيما ، ومات زعيما •••

مصطفى النحاس

« بمحكمة قنا »

توجه « مصطفى النحاس » الى عبد الخالق باشا ثروت — بوزارة الحقانية • ليبلغه موافقته على تعيينه بالقضاء — فسر الباشا سرورا عظيما •• وقال له •• سيكون أول تعيينك بمحكمة قنا الأهلية •• فرد عليه النحاس •• **« ما دمت قبلت الوظيفة •• فليس لى حق اختيار المكان » فمصر هى مصر فى أى جزء من أجزائها » كلمات تدل على رجولة قائلها وسعة** مداركه •• وصدرت الحركة القضائية فى أكتوبر ١٩٠٣ وكان مصطفى النحاس من الذين شملتهم هذه الحركة (محكمة قنا الأهلية) وكان تعيينه حدثا فريدا من نوعه فى تاريخ القضاء المصرى والأجنبى فقد عين فى القضاء بعد ثلاث سنوات فقط من حصوله على اجازة الحقوق (الليسانس)

ولم يكن قد بلغ من العمر سوى (٢٤ عاما فقط) وبضعة أشهر •• الأمر الذى لم ولن يتكرر فى تاريخ القضاء بأى حال من الأحوال •• أليس هذا أكبر وسام تحلى به صدر مصطفى النحاس •• (رغم أنف خصـــومه) وضعته العناية الالهية ولم تضعه يد بشرية •• أو اغتصبته سلطة عسكرية ولم تكن منحة من احدى الجامعات كما نرى فى هذه الأيام وأمضى مصطفى النحاس بمحكمة قنا وأسوان ست سنوات من (١٩٠٣ — ١٩٠٨) نقل بعدها الى محكمة القاهرة عام ١٩٠٩ وكان قد بلغ من العمر ثلاثين عاما تقريبـــا •

بدأ مصطفى النحاس القاضى الشاب عمله بالقضاء بمحكمة قنا عام ١٩٠٣ وظل يعمل بها قرابة ٦ سنوات متحملا قسوة الحياة وشظف العيش فيها فى جلد وقوة وصبر واحتمال دون أن يشكو أمره لأحد أو يرجو كبيرا فليس هذا من خلقه ولا من طباعه •• وجاء نقله الى الوجه البحرى ثم الى القاهرة تقديرا من السيد ا • مكلريت المستشار القضائى الانجليزى بوزارة الحقانية (العدل) أثر زيارة له لمحكمة قنا واعجابه بعمل القاضى مصطفى النحاس •• وقضى مصطفى النحاس بعد ذلك فى القضاء تسع سنوات متنقلا بين الوجه البحرى والقاهرة وطنطا وكان آخر عهده بالقضاء رئيس دائرة بمحكمة طنطا ••• كان مصطفى النحاس طول عمله بالقضاء مثلا أعلى للقاضى العادل النزيه لا يقبل رجاء فى العدل الذى هو من حق الله يصرفه بين الناس لا من حق القاضى • حق يرتاح له قلبه وتطيب به نفسه لم يثبت فى حقه انه مال مع الهوى ، ولا ضعف ولا استكان ، ولا خشى سلطة أو سلطانا ، فالعدل بين الناس هو الميزان بين يديه بالقسط والقسطاس ، حتى صار مصطفى النحاس ، حديث الناس •••

وقد يكون من دقة التاريخ أن ننتقل بك يا سيدى القارىء الى مسرح الأحداث فهى أبلغ من الكلام •• فهاكم بعض مواقف مصطفى النحاس القاضى •• نترك للقارىء استنباط الحكمة فيها والمثل ••

فى محكمة أسوان — وبينما « النحاس » فى طريقه الى المحكمة ابلغ أن المستشار القضائى الانجليزى (سير ا • مكلريت) قادم بطريق النيل لزيارة المحكمة فظل مصطفى النحاس فى طريقه الى المحكمة دون أن يتجه الى الشاطىء لاستقبال المستشار وعقد الجلسة كعادته •• وراح ينظر فى القضايا المطروحة عليه •• وخلال انعقاد الجلسة •• دخل قاعة الجلسة المستشار الانجليزى وبرفقته (محمد توفيق رفعت بك) المفتش القضائى بالمراقبة القضائية بوزارة الحقانية •• واتخذا مجلسهما خلف القاضى مصطفى النحاس وجلس معهما وكيل النيابة الذى راح يترجم لهما ما يدور فى الجلسة للسير مكلريت •• وظل هكذا طول نظر القضايا •• ومصطفى النحاس مستمر فى نظر القضايا •• انسحب بعدها المستشار ومن معه الى غرفة القاضى حيث لبثوا فى انتظار فراغ القاضى من عمله •••.

(بطبيعة الحال فى هذه الحالة لم يفكر « مصطفى النحاس » فى رفع الجلسة لتحية الزائرين الكبيرين والترحاب بهما كالمتبع دائما ولكنه ظل يباشر عمله بوجدان القاضى وضميره حتى لا يختل ميزان العدالة فى يده) •

ولما طال انتظار المستشار فى غرفة القاضى اضطر بعدها الى الانصراف متوجها الى الباخرة التى كانت قد القت مراسيها بالشاطىء وأسرع وكيل النيابة الى « مصطفى النحاس » يقول له معاتبا « أهكذا تدع الرجل ينتظرك طويلا حتى مل الانتظار وانصرف » •• فابتسم مصطفى النحاس •••

وبعد أن فرغ مصطفى النحاس من نظر القضايا التى بين يديه انصرف الى داره — وتناول غذاءه — واستراح فترة — حتى أقبل المغيب — بعدها تحرك متوجها الى الباخرة التى ينزل بها المستشار على شاطىء النيل لزيارته وتحيته •• فما ان علم المستشار بمقدمه حتى أسرع باستقباله على سلم الباخرة ورحب به أجمل ترحيب • وأخذ النحاس والمستشار ومرافقوه يتحدثون عن معالم مصر واثارها •• ثم أبدى المستشار اعجابه الشديد

بمصطفى النحاس •• وتقديره له وأنهى الأمر بقرار نقــله الى الوجــه البحرى •• بعد أن علم انه قضى مدة كبيرة بقنا •• لكنه نظرا لأن المحكمة التى يعمل بها أصبحت من الأماكن التى يزورها السياح لمشاهدة سير القضاء المصرى وأصبحت موضع ثناء جميع السياح •• وان هيبة القاضى مصطفى النحاس الشاب قد تركت أجمل الأثر فى نفوسهم فقد قرر بقاءه فى محكمة قنا الى آخر موسم السياحة لأن فى بقائه عنوانا حسنا للقضاء المصرى ومثالا رائعا على نزاهته وعدالته وعلو مكانته خدمة لسمعة مصر • وقــد كان المستشار عند وعده ونقل « مصطفى النحاس » الى ميت غمر فى شهر ابريل بعد انتهاء موسم السياحة ومنها نقل الى القاهرة •

فى محكمة طنطا : وفى أثناء عمل مصطفى النحاس قاضيا بمحكمة طنطا عرضت عليه احدى القضايا الهامة التى تتعلق بأحد الشخصيات المسئولة الكبيرة بطنطا وفيها اعتدى « محب باشا » مدير مديرية الغربية (محافظ الغربية) على أحد المواطنين • فما كان من هذا المواطن الا أن لجــأ الى القضاء •• فحرك دعوى جنحة مباشرة أمام محكمة طنطا الأهلية •• ضد (محب باشا) فاختص بنظرها (القاضى مصطفى النحاس) وتناقل الناس الخبر •• فثار المندوب السامى البريطانى وهاج وماج واستنكر على هذا المواطن أن يحرك دعوى ضد محب باشا أحد كبار الدولة واعتبره شططا وجرأة وعملا فريدا من نوعه لم يسبقه اليه أحد ولابد لوزير العــدل من أن يتصرف اما بوقف نظر هذه الدعوى لان استمرار نظرها معناه النيل من سلطان الحكومة والقضاء على هيبتها فى أشخاص القائمين على أمورها أو احالتها الى قاض آخر غير « مصطفى النحاس » لمــا هو معروف عنه من اعتداده برأيه وجرأته وعدالته وتمسكه بالحق •• وطلب المندوب السامى من رشدى باشا أن يتحدث مع « مصطفى النحاس » فى هذا الموضوع ولكن « رشدى باشا » رفض أن يقوم بهذا الدور لانه أعلم بشخصية مصطفى النحاس وظل رشدى باشا على اصراره فى ألا يتحدث فى هذا الموضوع بتاتا كما رفض أن يطلب من رئيس المحكمة نقل القضية الى قاض آخر خلاف « مصطفى النحاس » •

وعلم « مصطفى النحاس » بهذا كله •• ولكنه ظل فى موقفه صامدا كالطود ، ساخرا من كل ما يدور حوله ، ولم يسمح لنفسه أن يحـــدث انسانا فى هذا الأمر داخل حدود عمله أو خارج حدود عمله لانه القاضى بمعنى الكلمة ، القاضى الواثق من نفسه ، القاضى الذى يعرف حدوده وواجبه ، وانه المؤمن بقول الله « واذا حكمتم بين الناس ان تحـــكموا بالعـــدل » •

ووقفت الدولة ودار المندوب السامى عاجزين أمام هذا الحـــدث ونظرت الدعوى أمام مصطفى النحاس •• ومثل المواطن (المدعى) والمدعى عليه (محب باشا) وجها لوجه أمام القاضى مصطفى النحاس فى ساحة المحكمة شأن باقى المتقاضين العاديين لا فرق بين صغير وكبير وأخيرا أصدر القاضى مصطفى النحاس حكمه بادانة محب باشا بالزامه بدفع غرامـــة مالية — لم يخلى سبيله الا بعد سدادها •• حقا أنه لموقف من مواقف رجولة مصطفى النحاس • موقف القاضى العادل النزيه ، الذى يرعى الله وحده ولا يخشى أحدا سواه ، موقف العدالة الحقة ، يصعب على غير مصطفى النحاس ان يقفه وان يتصدى له ، يقول الاستاذ ابراهيم فرج • (ان رشدى باشا لم يخف اعجابه وتقديره للقاضى مصطفى النحاس •• وقد صرح له بهذا أثناء نظر قضية الامير سيف الدين — وكان مصطفى النحاس وكيلا عنه — وكان رشدى باشا رئيسا لمجلس البلاط الملكى بالنيابة عن الامير محمد على ولى العهد لغيابه) وتتعدد مواقف مصطفى النحاس •• وكما يقولون •• الرجال مواقف •• ومغالط من يدعى أنه يستطع أن يحصى جميع مواقف مصطفى النحاس •• فى حياته •• أو حتى فى مرحلة واحدة من مراحل حياته ولكن اليكم بعضا منها أيضا •

فى القاهرة سنة ١٩٠٩ :

وفى احدى الدوائر القضائية بمحكمة القاهرة كان مصطفى النحاس — عضو شمال فى الدائرة التى يرأسها صالح حقى باشا •••

وأثناء نظر احدى القضايا مال رئيس الدائرة (حقى باشا) على عضو اليمين وتحدث معه ثم مال على عضو الشمال (مصطفى النحاس) وقال له فى استخفاف (سنصدر حكما بكذا) فقال مصطفى النحاس « أنا لى رأى آخر •• ويجب أن ننتقل الى غرفة المداولة » •

لكن حقى باشا — رئيس الدائرة — لم يستجب الى طلب — مصطفى النحاس — عضو الشمال — ونطق بالحكم ••

فما كان من مصطفى النحاس الا أن قال لكاتب الجلسة بصوت عال وعلى مسمع ومرأى من جمهور المتقاضين وغيرهم من المواطنين الموجودين داخل قاعة المحكمة اكتب لم يؤخذ برأى عضو الشمال فى هذا الحكم » وعلى أثر ذلك حدثت ضجة كبرى داخل القاعة اضطر بعدها حقى باشا الى رفع الجلسة والانتقال الى غرفة المداولة ••

لقد ترتب على قولة القاضى مصطفى النحاس « بطلان الحكم » •

فماذا يفعل حقى باشا ؟ لم يجد طريقا أمامه الا أن يشكو أمر مصطفى النحاس الى وزير الحقانية (سعد زغلول باشا) حينذاك استدعى سعد زغلول باشا — مصطفى النحاس القاضى — وكان هذا هو اللقاء الأول بين سعد زغلول ومصطفى النحاس وأول موقف من مواقف الرجولة والاعتداد بالرأى يجمع بينهما •

نترك الاستاذ ابراهيم فرج المحامى ينقل لكم ما دار بين سعد والنحاس فى هذا الشأن « قال لى مصطفى النحاس عندما كنت أعمل معه سكرتيرا خاصا له سنة ١٩٢٨ أثناء توليه رئاسة مجلس الوزراء •

« قابلت سعد باشا — فظهر لى بمظهر الجاد ، الضائق بما حدث ، ولم يسألنى عما حدث ، ولم أدافع عن نفسى ، أو أبدى وجهة نظرى ، وفجأة استغرق سعد زغلول فى الضحك ، ثم اتبع ذلك قائلا ، اسمع أنا سعيد جدا لأنك وقفت هذا الموقف ، أنا لما كنت قاض مثلك ، كان الخلاف

بينى وبين زملائى فى غرفة المداولة يشتد ويصل أحيانا الى حد التماسك بالأيدى هذا الخلاف بينى وبينهم يقع دائما داخل غرفة المداولة بعيدا عن أعين المتقاضين على خلاف حالكم وقد نطق رئيس المحكمة بالحكم وأنتم فى الجلسة فهذه العلانية التى تمت بهذه الواقعة لا يد لك فيها ولست مسئولا عنها لانهم لم يمكنوك من دخول حجرة المداولة — وشكرنى سعد زغلول على موقفى وقدم لى التهنئة لشجاعتى » .

ثم قال سعد ... ان لدى نصيحة اسديها اليك هى ألا تكون عنيفا مع زملائك — فقلت **« انى لا أستطيع أن أكون لينا فيما اعتقد أنه حق وعدل »** .

ثم يضف مصطفى النحاس قائلا :

« لقد كان الأثر الوحيد الذى ترتب على هذا الحادث صدور قرار سعد زغلول باشا (وزير الحقانية) بنقلى قاضيا جزئيا ويخطىء من يظن أن هذا النقل يعتبر من قبيل العقوبة ولكن على العكس كان هذا النقل تكريما واعجابا بشجاعتى وموقفى ذلك لأن القاضى الجزئى يختار لشخصيته وكفاءته وقدرته على ادارة الجلسة بمفرده ولديه من العلم والمعرفة ما يجعله مستقلا بالفصل فى الدعاوى المنظورة أمامه .

اعتداد مصطفى النحاس بالقضاء :

وفى سنة ١٩١٢ نقل مصطفى النحاس رئيسا للدائرة الأولى بطنطا وكانت دائرة يخشاها جميع المحامين الوافدين من القاهرة والمقيمين بطنطا على حد سواء ويعملون لها ألف حساب وحساب لشخص رئيسها الموهوب وكفاءته وقسوة شخصيته واستقامته وأثناءها حصل فيها مصطفى النحاس على رتبة (البكوية) من الدرجة الأولى ومما يذكر لمصطفى النحاس اعتداده بالقضاء .. وهو فى نظره أسمى من الرتب والألقاب .. وكانت الأحكام الصادرة من المحاكم تتصدرها العبارة التقليدية الآتية « الدائرة المنعقدة تحت رئاسة حضرة صاحب العـزة مصطفى النحاس بك » وكانت تنشر

بالجريدة الرسمية والوقائع الرسمية على هذه الصـــورة لكن مصطفى النحاس •• القاضى المجدد والمعتد بالقضاء استبدلها بالنص الآتى « الدائرة المنعقدة تحت رئاسة القاضى مصطفى النحاس وبحضور ـــــــ القاضى ، ـــــــ القاضى » •

وعبثا حاول زملاء مصطفى النحاس اقناعه لابقاء النص القديم دون جدوى معللين طلبهم أنه بعمله هذا فانه يلغى الالقاب فرد عليهم قائلا : ان لقب القاضى فوق كل الألقاب •

أنا لا أعتز بأن يقال « مصطفى النحاس بك » ولكن أعتز بأن يقال « مصطفى النحاس القاضى » وظلت العبارة التى ارتضاها مصطفى النحاس تتصدر الأحكام القضائية طوال عمله فى القضاء • وهذا هو مصطفى النحاس الذى كانوا يظنونه انه سعيد بلقب حضرة صاحب المقام الرفيع •• انه باع وطنه بهذا اللقب باع مبادئه •• بالألقاب •• كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون الا كذبا ••

القاضى المجـــــدد :

وليس بكثير أن نقول عليه قاضيا مجددا •• فلم يكن قاضيا عاديا •• كبقية القضاة فقد قلنا وبحق انه وحيد نسيجه وفريد زمانه •• فما بالكم اذا ما أصدر مصطفى النحاس القاضى أحكاما قضائية لا ســـند لها من القانون •• مما جعل الحكومات تسارع فى استصدار تشريعات سدا للثغرات الموجودة فى تشريعاتها المعيبة ••

تقادم الأوقاف الخيرية : فطبقا للقانون فان الأمر يقضى بعدم سماع الدعوى اذا انقضى على التقادم ٣٣ سنة ، ولكن مصطفى النحاس العـــالم بحدود الله •• التقى الورع •• المسلم المؤمن •• الدارس المتمكن من الشريعة السمحاء • فهى لا تعترف بتقادم يرد على الأوقاف الخيرية •• وكان مصطفى النحاس القاضى أول من أصدر أحكاما بعدم اكتساب ملكية الأوقاف

الخيرية بالتقادم فاضطرت الدولة فى الاسراع باستصدار تشريع يقضى بعدم اكتساب الملكية بالتقادم على الأوقاف الخيرية •

الشخصية المعنوية لمجالس المديريات :

كان مصطفى النحاس القاضى من خلال احدى القضايا المنظورة أمامه أول من أصدر حكما بثبوت الشخصية المعنوية لمجالس المديريات • رغم ان القانون المنظم لها وقتذاك لم يمنحها هذه الشخصية •• مما اضطر الحكومة الى تعديل هذا القانون • وبفضل مصطفى النحاس المجدد •• اكتسبت المجالس (مجالس المديريات الشخصية الاعتبارية) •

ولا عجب اذا قلنا ان مصطفى النحاس كان عالمـا قانونيا واسـع الفكر نقى الضمير وعلى خلق عظيم ومثل فريد لا يجـود بمثـله الزمن الا نادرا وشخصية قلما تتكرر •

الحـق قدس الاقداس :

الحق عند مصطفى النحاس أقدس الأقداس ، فوق الأشخاص ، ودون تحرج ••

فقد قضى فى احدى الدعاوى بحبس المتهم مدة معينة ، وبعد النطق بالحكم أدرك أنه أخطأ بتجاوزه الحد المقرر للعقوبة التى نص عليها القانون فنظر الى كاتب الجلسة فى الحال وقال بلا تردد « **اثبت أيها الكاتب ••• أن هذا الحكم خطأ ويجب على النيابة أن تستأنفه** » ولم ير مصطفى النحاس القاضى فى هذا ما يسىء اليه أو يشينه فالحق أحق أن يتبع •• لاشك أنها شجاعة وعدل وأمانة وصراحة •• ولم يتردد فى أن يقول « ها أنذا أخطأت » •

القاضى الانسـان :

تاقت نفس الشيخ محمد النحاس « والد مصطفى » فى يوم من الأيام أن يرى ولده القاضى وهو جالس على منصة القضاء •• أثناء عمله بطنطا

فأبدى لابنه برغبته هذه •• فوافق الابن على تحقيق رغبة والده على شريطة ألا يدخل الوالد قاعة الجلسة الا بعد انعقادها •• فاستفسر الوالد عن السر فى ذلك •• فقال له ولده « ان القاعدة يا والدى •• ان القاضى عندما يدخل قاعة المحكمة يقف له الجميع وأنا لا أقبل أن يقف والدى لى » وتم للوالد ما أراد فى حدود ما رسمه الابن لابيه •

(حياته ——— القضائية)

عاش خلال حياته القضائية •• عيشه موظف محدود الدخل لا دخل له سوى مرتبه الذى يعتمد عليه فى مواجهة أعبائه الشخصية ومد العـــون للمحتاجين من أهله ، لم يعرف مصطفى النحاس ترف العيش ولا نعيم الحياة ، حياة بسيطة راضية حياة الأنبياء والقديسين ، والأولياء ، ولبث مصطفى النحاس فى القضاء قرابة ١٥ خمسه عشر عاما أعطى من قضائه أروع الأمثلة على النزاهة واحترام الحق والتمسك بالعدل وحب الواجب والاخلاص فى عمله والطهارة والشرف واحترام الذات وقداسة العدالة وعاشت جميعها معه وزيرا وسياسيا وزعيما الى آخر يوم فى حياته •

وكأن الله الذى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور قد ادخر هذا القاضى الجسور ليجرى استقلال القضاء المصرى على يديه وفى عهد وزارته الرابعة فى ١٩٤٣/٧/١٠ فكان له نصرا وانتصارا وللقضاء المصرى عزة وفخارا وكأنى به اتخيله واقفا يلقى خطابه فى عيد استقلال القضـــاء المصرى فيقـــول :

أيهـــا الســـادة •••

أن للأمم فى تاريخها أياما تسعد بها وتهنأ • ولها فى جهادها أعيادا تعتز بها وتفخر ، لانها مستمدة من صميمها ، مقتبسة من كيان حياتها ، ترى فيها عزتها ، وتشعر بشخصيتها •

ولعل أبرز أعياد مصر فى تاريخها الحديث وأخلد أيامها على الزمان

عيد جهادها لاسترداد حقوقها ، وعيد دستورها الذى افتدته بتضحيات أبنائها ، وعيد استقلالها الذى كسبته بعد جهاد طال أمده ، واتسعت شقته ، واحيط بالأشواك وارتطم بالعقبات ، وجاء على أثره الغاء الامتيازات الأجنبية عملا مجيدا كلل بالتوفيق واقترن بالنجاح ...

ولعل من مفاخرنا نحن خدام مصر وقادتها أن نتحدث بنعمة الله علينا ونذكر مهللين مكبرين أنه سبحانه وتعالى جاء بكل هذه المكرمات على أيدينا وكان طبيعيا أن نكون أول من يفكر فيما يسعد بلادنا ، ويرفع رءوسنا ويزيد فى اطمئنان مواطنينا على حقوقهم ويشعرهم بأننا رعاة مصالحهم ، فان من تفكيرنا وعملنا مشروع استقلال القضاء الذى نحتفل اليوم به ونشترك جميعا فيـــه .

واستقلال القضاء ، أيها السادة ، معنى تحسه النفوس حلوا كأنغام الطبيعة ، جميلا كأحلام الشباب ، طالمـــا تمنى كل مبتغ الخير قاصدا رفعة البلاد أن يكون مظهره بارزا للعيان تغلغله فى النفوس .

استقلال القاضى الذى وكلت حقوق الناس اليه ، وأصبحت أموالهم وأرضهم وديعة بين يديه ، يجلس فى محراب العدالة قبـــلة القسطاس المستقيم ، وغايته احقاق الحق وانصاف المظلوم ، لا سيف من نقل أو عزل يسلط عليه ، ولا تهديد ولا وعيد ينال منه ، بل يختلى فى صومعته المقدسة ، هادئة نفسه ، مطمئنا ضميره ، يبحث وينقب ، ويراجع ويقلب ، حتى يصـــل الى ما يستريح اليه ، وليس عليه من رقيب سوى علام الغيوب .

هذه حال قضاتنا من قديم وهى ما أوحت الينا أن نظهر ما خفى واستتر ونجعله فى حرز أمين .

الا ما أجل هذا المنظر ، وأجمل وأروع ذلك المظهر ، وأســـعد مصر وحكومتها الشعبية اذا أحيط قضاتها بضمانات قرت عيونهم ، ورفعت بين

الناس ذكرهم ، ومكنت لهم استقرارهم ، فلا يقال لقاض بعد اليوم عزلناك لأنك حكمت ، أو أقصيناك لأنك تحديت وما خضعت .

ولقد كان من سياسة حكومتنا أن يتحقق للقضاء استقلاله الفعلى لأنه حق القاضى الطبيعى ، وكنا فى كل عهد نتولى فيه الحكم نضع نصب أعيننا تحقيق هذه الأمنية ، والوصول الى هذه الرغبة ، فلم تكن الظروف تواتينا ، ولا الأيام تنتظرنا ، حتى اذا ما ولينا أمر البلاد هذه المرة جعلنا من أول ما عنينا به هذا المشروع ومازلنا به حتى أخرجناه وسجلناه ، فأصبح حقيقة قانونية فوق ما كان حقيقة فعلية فى عهد الحكومات الدستورية فأرضينا بذلك ضمائرنا وبلادنا ، ودعمنا سلطة القضاء ثالث السلطات وأحطناها بكل الضمانات والكفالات .

ولا عجب أن يبلغ حرص وزارة الشعب على استقلال القضاء هذا المبلغ فرئيسها المشرف بخطابكم من صميم الأسرة القضائية محاميا وقاضيا وابن المدرسة التى أخرجت أبناءها ، له الفخر كل الفخر أن يشرف بالانتساب اليها ، ويتحدث عن أحلى ذكريات شبابه التى قضاها فى بيئتها ، ومساعدوه فى عمله كلهم مشبع بهذه الروح العالية وجلهم من أبناء الاسرة نفسها ومن المحامين الذين تعتز بهم المحاماة وتهنأ ، وهم فوق هذا وذاك أبناء الوفد وخلصاء سعد عماد القضاء والمشيد للعدالة صرحا عاليا والذى دعا الى الحرية وفنى فى سبيلها وخلفناه على هذا التراث المجيد حتى كلل مسعانا بالفوز فما اخلقنا بتقديس الحرية ، وما أجدرنا بالعمل على اعطائها لكل انسان وليست حرية القاضى الا جزءا لا يتجزأ من الحرية العامة وركنا لا يتم تشييدها الا به ، فاذا اطمأن الى حريته ، واستراح الى مستقبله ، عاش فى هدوء بال وراحة ضمير ، عند ذلك يزداد المواطنون رضى واطمئنانا وتستقر البلاد أمنا ونظاما ، وليس أثر هذا القانون قاصرا على شئوننا الداخلية فحسب ، بل هو يتعداها الى شئوننا الخارجيــة اذ هو متصل وثيق الاتصال باستقلال البلاد وكرامتها القومية بين الدول التى تتمتع بالحرية والاستقلال .

بقيت لى كلمة أخيرة أوجهها الى حضرات زملائى واخوانى وأبنائى القضاة كبيرهم والصغير •

أى رجال القضـــاء :

الآن وقد أدينا نحوكم ونحو مصر واجبنا ، وأرضينا ضمائرنا ، وحققنا أمنية من أعز أمانى بلادنا ، الآن وقـــد وضعنا حاضر العـــدالة ومستقبلها بين أيديكم ، وحطناكم بكل الضمانات التى تحميكم ، وتجعل ضمائركم هى الحكم ، العدل ، ورأيكم هو القول الفصل الذى لا معقب عليه ، ولا راد له ، الآن نرى أن نذكركم لا نصحا منا ، ولا نسيانا منكم ، ولكنها ذكرى تنفع المؤمنين ، ليكن لكم من ضمائركم راعيا ، ومن خشية الله علام الغيوب حافزا ، ومن استقلالكم وتحريكم الحقائق عن الظلم سياجا مانعا ، واذكروا دائما تلك الحكمة الازلية التى ألهمها الله محمدا عليه الصـــلاة والسلام « ويل لقاضى الارض من قاضى السماء الا من عدل » اذكروا دائما **ان الميل لأحد المتخاصمين حتى بالقلب خطيئة ، وامتياز أحدهم على الآخر فى مجلس القضاء شبهه** ، فابتعدوا ما استطعتم عن الخطايا ، وتجنبـــوا الشبهات ، واياكم أن تخلطوا السياسة بالعدالة ، أو تدخلوا الحزبية فى القضاء ، فهذا سلاح ذو حدين يفتك بالظالم والمظلوم على السواء ، والويل لأمة تحكمت فى قضائها النزوات والأهواء ، وطوبى لقاض سما بقضائه عن الشبهات وارتفع عن الشهوات ، وكان الحق رائده ، والعدل قائده ، ورضا الله غايته ومقصده ، طوبى لقاض لم يكن عبد هواه ، ولم يبع آخرته بدنياه ، الا ما آثره عنه الناس وأكرمه عند الله •

هذه كلمتى وجهتها اليكم ، وتذكرتى تلوتها عليكم ، ولا اخالكم الا لها مصغين ، وبها عاملين ، فكلكم لاشك يحسها كما أحسها وكلكم يعرفها ويقدرها حق قدرها « ان احسنتم احسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها والله لا يضيع أجـــر المحسنين » •

وانى بهذه المناسبة أعلن فى حفلكم هذا أن الحكومة قد قررت منحكم قطعة أرض مساحتها ٢٠٨٩ م٢ التى أخذتموها بأنفسكم كما وافقت على منحكم ١٠٫٠٠٠ جنيه مساهمة لاقامة ناديكم عليها ...

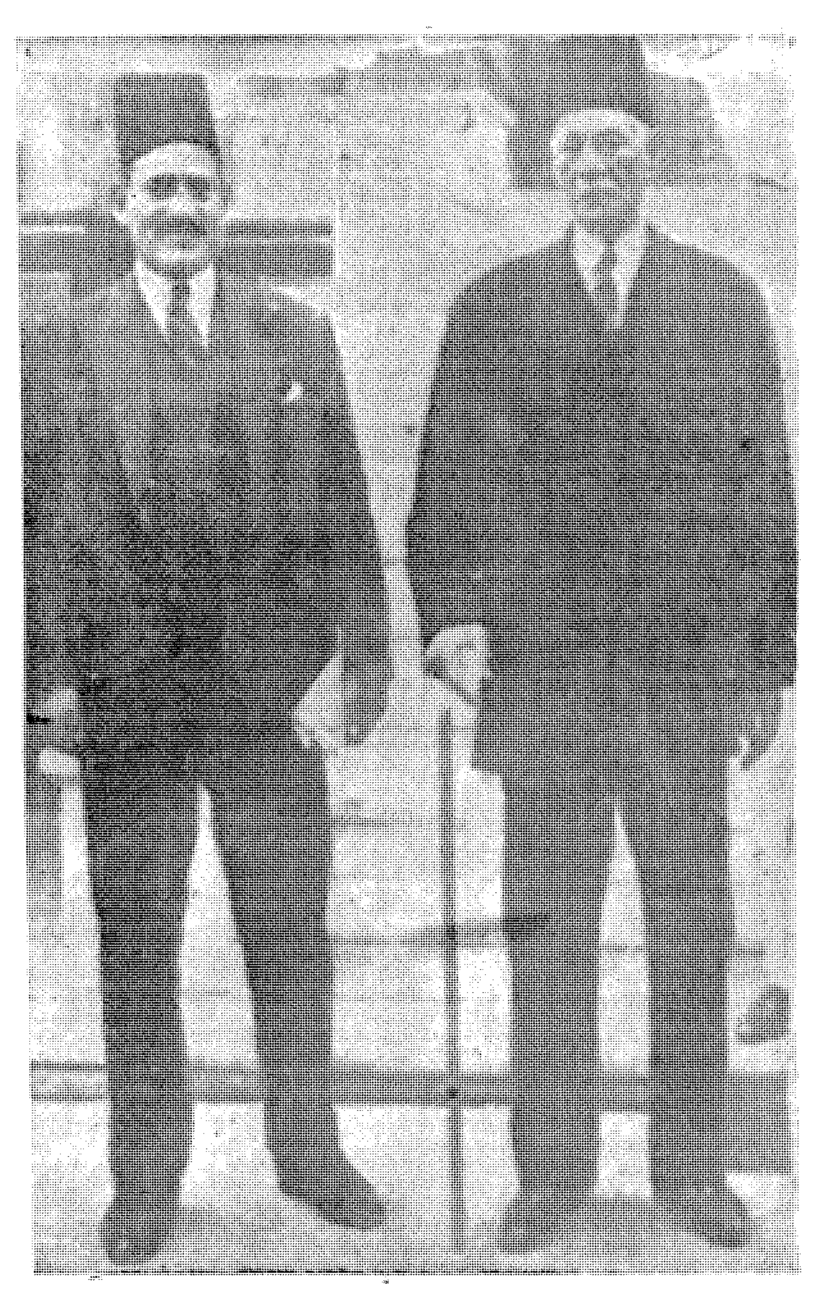
الفصل الرابع

مصطفى النحاس الوطنى

ان مصطفى النحاس الذى تجمعت فيه تلك العديد من الصفات والذى وهبه الله الكثير من الميزات والقدرات واختص بالكثير من صفات القيادة والزعامة حاشى أن يكون الله قد خلقه لنفسه وذويه وأمه وأبيه ، وانما خلقه من أجل وطنه ومواطنيه ، من أجل رسالة أكبر ، وعمل أجل وأخطر ، سيظل يذكره التاريخ ، مر العصور والدهور وهذا ما قد كان • فلم تصرفه أموره الشخصية وأمور شقيقته وأولادها وظروف معيشته القاسية عن التفكير فى أمور وطنه ومواطنيه ••• شق مصطفى النحاس منذ نشأته لنفسه طريق الحق والعدل والواجب فى قوة وشجاعة واقدام وصراحة مؤمنا بحق الله خالقه ورازقه مالكا زمام نفسه ، متغلبا على هواها ، ناسكا فى محراب المبادىء ، الناس جميعا لديه سواء ، لا فرق بين غنى وفقير ووزير وخفير ، ووضيع ورفيع ، انسان هذا شأنه لابد مرتفع فوق الأحداث والصعاب ، لم تعرف حياته التردد والتراجع مهما كانت الأسباب ، لم يعرف قلبه الخوف والضعف والخور أمام عظائم الأمور ، كل ذلك بسبب شخصيته القوية وقلبه الجسور ، كان ذلك مصطفى النحاس على امتداد حياته حتى لقى خالقه طاهرا مطهرا التى نشأت على الاستقامة فى كنف الاسلام أعظم الاديان •



الزعيم مصطفى النحاس



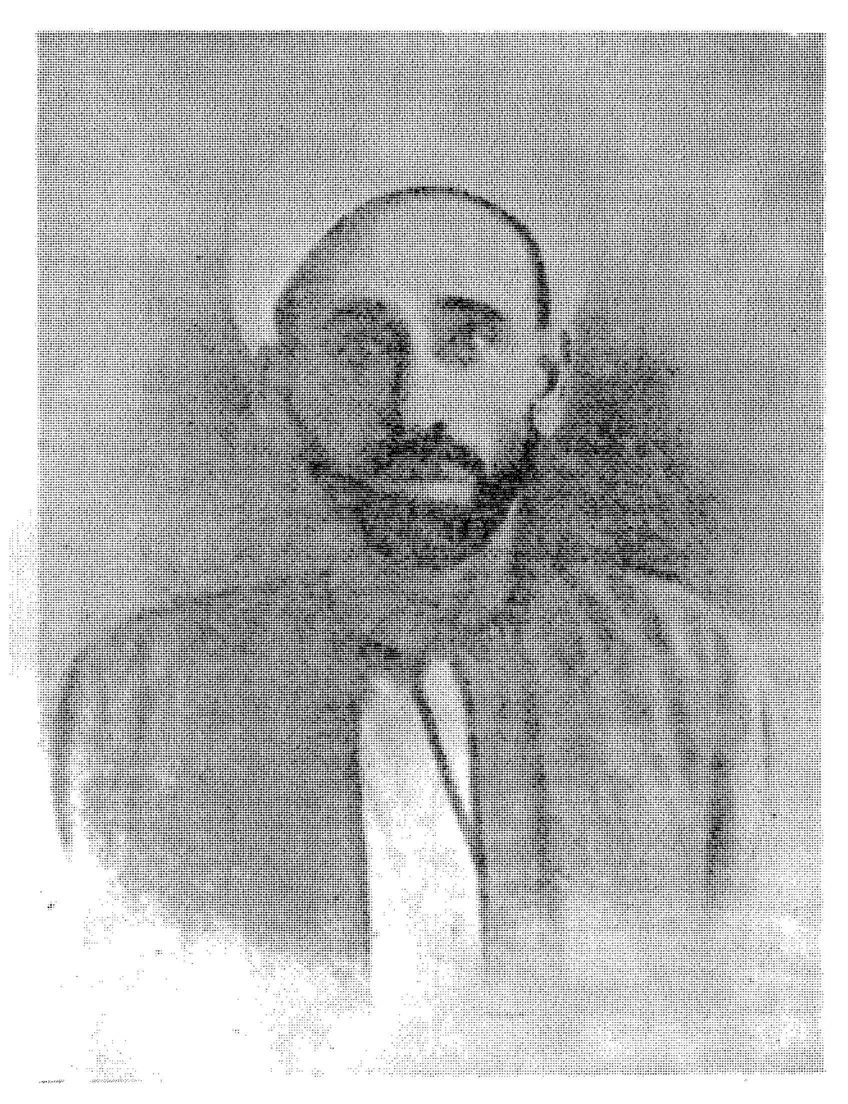
الزعيمـــان

(سـعد زغلول) وخليفته (مصطفى النحاس)



الزعيمـــان

سعد زغلول ومصطفى النحاس وزملاؤهما (فى المنفى ــ بجزيرة سيشل)



الشيخ محمد النحاس
تاجر الأخشاب بقرية سمنود . . .
والد الزعيم



الاستاذ مصطفى النحاس القاضى



سينوت بك حنا عضو الوفد المصرى

افتــدى الزعيم بنفســه ... فنى جســمه ... وبقى اســمه



بويم الدماء بل يوم الفداء

جنود (صدقى باشا) يحاولون قتل (الزعيم مصطفى النحاس) يوم ٣٠/٧/٨ فى المنصورة فيتلقى الطعنة عنه (سينوت بك حنا) ..



الزعيم وهو نائم على احدى الأرائك الخشبية بمحطة سكة حديد بنى سويف بعد أن حالت القوة الغاشمة بينه وبين دخول المدينة سنة ٣٠ في عهد صدقي باشا



النسيج الواهي — الذى حمى الله الزعيم به — من تلك الشظية التى تراها معلقـــة به امامك فى هذه الصورة .. آية من آيات الله .. على حبه لمصطفاه .. فما أعظم صنع الله ..



وحـــدة الأمـــة (مسلمون وأقباط)

نفخ فيها سعد من روحه وزكاها ، ورعاها من بعده النحاس وحماها بالحب والاخلاص لا بالقوانين والنصوص



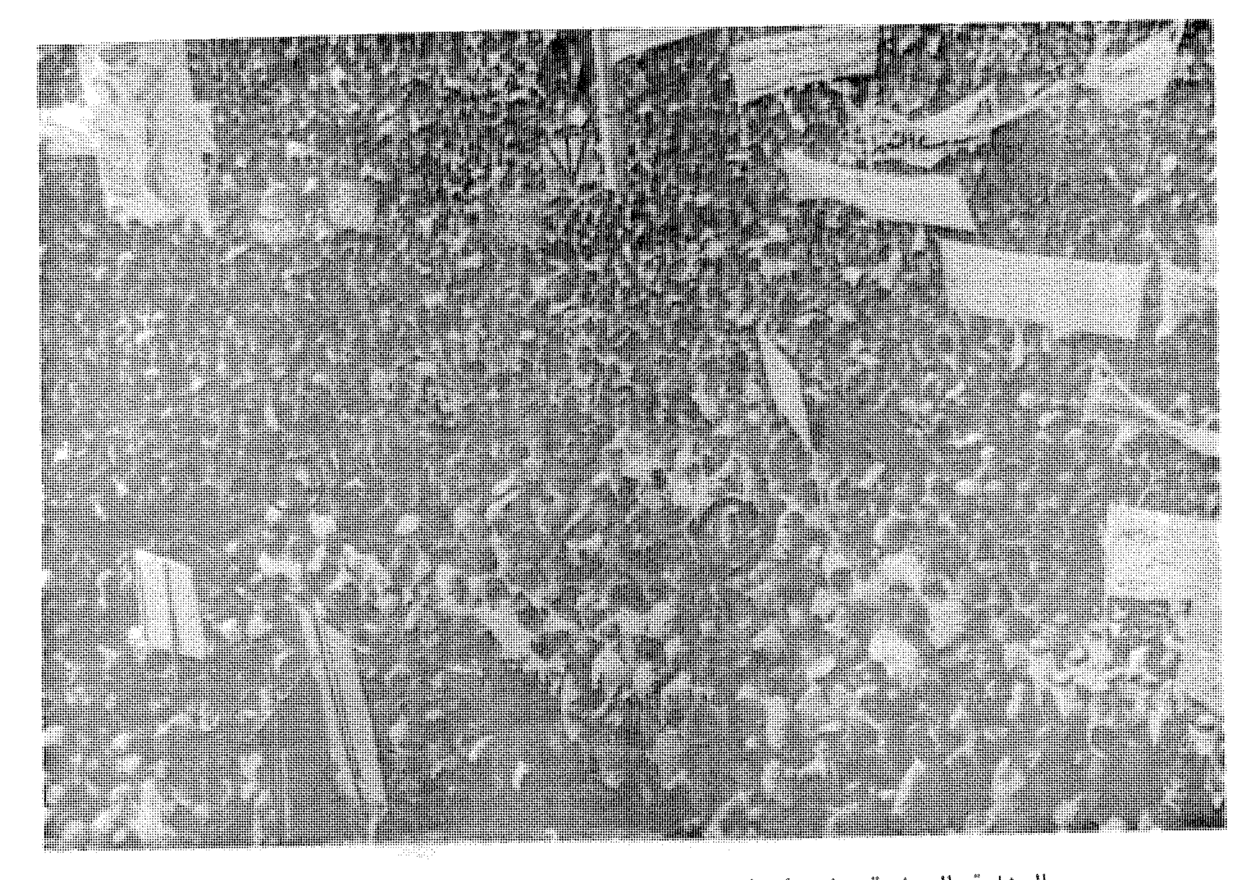
الزعيم بدار النادى السعدى (يلقى خطابا دينيا) فى عيد الهجرة النبوية ويجلس خلفه الاستاذ اسماعيل الازهرى رئيس حزب الاشقاء السودانى الذى كان ينادى بوحدة السودان مع مصر تماما كما كان يسعى الوفد المصرى ...



الشعب يستقبل الزعيم بفرحة كبرى باحدى محطات سكك حديد الوجه البحرى
بعد الغائه معاهدة سنة ٣٦



احد الفدائيين اثر مغادرته مكتب وزير الداخلية (فؤاد سراج الدين باشا)
وبعد مقابلته اياه ومعركة القتال على اشدها وكنت فى وداعه انا وزميلى على الزير



الجنازة الصامتة على أرواح شهداء معارك قنال السويس فى ٥١/١١/١٤ اشترك فيها الزعيم ووزراؤه ورؤساء الأحزاب والهيئات والنقابات وجميع طوائف الشعب تحية للشهداء — وكانت فى الحق دعوة لمزيد من التضحية والفداء



الزعيم مصطفى النحاس
وخليفته فؤاد سراج الدين

الفصل الخامس

مصطفى النحاس السياسى

اذا كان الحديث عن حياة مصطفى النحاس الخاصة له حلاوة فان الحديث عن حياته الوطنية له طلاوة ، وان الحديث عن صدر شبابه المشرق وعن زعامته لمثمر ، لم يدخل مصطفى النحاس ميدان السياسة مرتديا حلة عسكرية أو ممتطيا صهوة جواد عسكرى أو محاطا بثلة من ضباط وجنود أو تحت جنح الظلام فى حماية بعض وحدات الجيش كما هو الحال فى الانقلابات العسكرية ، أو من خلال اشتراكه فى مؤامرات تحاك فى الظلام ضد سلطات الحكم أو لقيام صلة قرابة أو مصاهرة بينه وبين أحد الحكام أو عن طريق نفاق الطغاة الذين الهبوا ظهور شعوبهم بسياطهم كما استطاع البعض عن هذا الطريق الوصول الى حكم شعوبهم وبلادهم ... لا هذا ولا ذاك . فحاشا لله أن يكون مصطفى النحاس واحدا من هؤلاء الصغار لأنه كان كبيرا .. كبيرا بخلقه .. كبيرا بمبادئه .. كبيرا بمثله .. كبيرا بايمانه ..

ان مصطفى النحاس دخل ميدان العمل السياسى بدافع من وطنيته الصادقة المتدفقة وخالص حبه لمصر وايمانه بحقها فى الحرية والديمقراطية والاستقلال . سلاحه قوة الحق ، وعدالة القضية ، وصدق الايمان ، ووسيلته القلم واللسان اقتحم بهما ميدان الصحافة العالمية والمحلية وارتقى بها المنابر والمحافل الدولية والوطنية رابط الجأش ثابت الجنان ، مواجها قوى الطغيان ، محتلا غاصبا أو ملكا طاغيا ، أو سلطانا ظالمـا ، على رؤوس الاشهاد وفى وضح النهار ، لا حرس ولا حراس لأنه فى حراسة الشعب وحماية الرحمن .

مصطفى النحاس

ومصطفى كامل ، ومحمد فريد ، وسعد زغلول

كان مصطفى النحاس (القاضى) من المعجبين بالزعيم الشـــاب (مصطفى كامل) •• وكان على صلة به ومتابعا لحركته •• التى يطالب بمقتضاها (بجلاء الجيوش البريطانية عن أرض مصر) وانتقلت زعامة الحزب الوطنى — بعد وفاة مصطفى كامل — الى الزعيم (محمد فريد) فكان « مصطفى النحاس » أحد أعضاء الحزب الوطنى •••

مصطفى النحاس و سعد زغلول

لم تكن بين مصطفى النحاس وسعد زغلول رابطة أو علاقة كتلك التى رأيناها بين حكام اليوم ، فلم ينحدرا من قرية واحدة ، أو اقليم واحد ، ولم تضمهما فى طفولتهما أو شبابهما مدرسة واحدة ، كما لم يجمعهما تنظيم سرى واحد أو « شلة واحدة » « أو عمل وطنى واحد أو غير وطنى » كما لم تربطهما علاقة جوار أو مصاهرة وكان كل منهما بعيدا عن الآخر بعد المشرقين • يعمل كل منهما فى مجال عمله بما وضعه الله فيه وبما أعده الله له ومكنه فيه « يؤتى الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا » التقى مصطفى النحاس وسعد زغلول مرتين اثنتين أثنـــاء عمـــله بالقضاء •

أما اللقاء الأول •• فقد سبق الاشارة اليه ذلك الذى تم على أثر شكوى حقى باشا رئيس احدى دوائر محكمة القاهرة — ضد مصطفى النحاس (عضو الشمال) على الصورة السابق الاشارة اليها والتى انتصر فيها سعد لمصطفى النحاس •

أما اللقاء الثانى •• وكان (مصطفى النحاس) قاضيا بمحكمة ميت غمر — من أشد المعجبين بشخصية سعد زغلول وسحر بيانه وبلاغة خطبه •

فما أن علم أن سعد زغلول فى زيارة لمدارس ميت غمر (وكان وقتها وزيرا للمعارف) حتى سارع ليكون فى مقدمة مستقبليه محييا ومرحبا .

ومما لاشك فيه أن هذين اللقاءين قد قربا بين الرجلين من خلال اقتناع كل منهما بالآخر ، وكأن العناية الالهية أرادت أن تجمعهما فى صعيد واحد ، وتعدهما اعدادا طيبا ، وتدخرهما لتولى زعامة مصر فى المستقبل ، وتحقيق آمالها فى الاستقلال والحرية والديمقراطية .

مصطفى النحاس وثورة ١٩١٩

وضعت الحرب العظمى اوزارها فى نوفمبر سنة ١٩١٨ ، وخرجت انجلترا منها منتصرة على أعدائها ، دولة لا تغرب الشمس عن ممتلكاتها ، وتطلعت الشعوب المغلوبة على أمرها ، المحتلة بجنودها ، للحصول على استقلالها ، وكانت مصر احدى هذه الدول ، وتحدد الحادى عشر من نوفمبر سنة ١٩١٨ موعدا لعقد الهدنة بين المتحاربين فتحركت مشاعر الوطنيين المصريين من الشيوخ والشباب فى وقت واحد ، متطلعين ليوم الخلاص ، واستقلال البلاد ، اجتماع هنا ، واجتماع هناك ، شيوخ هنا ، وشيوخ هناك ، كل يفكر بطريقته بين أربع جدران ، فى سرية تامة ، خشية اكتشاف المحتل الغاصب لحركتهم ، والبطش بهم ، والقائهم فى ظلمة السجون والمعتقلات ، أو النفى خارج البلاد ، قبل أن يتحقق هدفهم ، سلطات مطلقة فى يد المحتل الغاصب ، لاذلال الوطنيين الأحرار ، وكان « مصطفى النحاس اذ ذاك رئيسا لمحكمة طنطا فدفعته وطنيته الى عقد اجتماعات مع نفر من زملائه وأصدقائه للقيام بعمل يتناقله الشعب كل الشعب وتسمعه الدنيا كلها ، عمل يزلزل أقدام المحتل الغاصب فى مصر ، عمل تحصل مصر بمقتضاه على كامل استقلالها ، وتحكم نفسها بنفسها ، دون وصاية من أحد عليها ، ولكن صوت العقل الذى اشتهر به مصطفى النحاس رأى ان الشعب لا يعرف جمعهم وقد لا يستمع الناس اليهم ، أو يتجاوبون معهم ، اذاً فلابد من شخصيات كبيرة ملء السمع والبصر تقود جموعهم

حتى يكون لحركتهم الأثر المطلوب والوقع المرغوب ، منطق سليم ، جوهره الاخلاص للفكرة وصدق الاحساس بالوطن ، متجردا من الأنانية وحب الذات ، خال من غرور الشباب ، وطنية حازمة ، بل صادقة ، ورجاحة عقل كبير ، وتفكير سليم •• واهتدى رأيهم واجتمع على (سعد زغلول) وكيل الجمعية التشريعية المنتخب بما عرف عن فصاحة اللسان وسحر البيان وقوة الشخصية ، ومواقفه الوطنية ، مما جعل الناس يعجبون به ، ويتشددون له ، ورأوا أن سعد زغلول ، هو الرجل الذى يعتمد عليه ، والبطل المرتقب ، الشخصية الخليقة بالاحترام ، لأن العظمة أصل فى طبعه ، والعبقرية عنصر فى تكوينه ، رجـولته قاهرة ، وفصاحته ساحرة ، وخلقه عظيم ، وتلك عناصر الشخصية الجبارة التى تأمرك وكأنها تستشيرك وتقودك وكأنها تتابعك ، وهو بهذا جدير بالزعامة ، خليق بالامامة •

وبينما مصطفى النحاس وصحبه مشغولان بحركتهم — فى طنطا — كان سعد زغلول وعلى شعراوى باشا وعبد العزيز باشا فهمى ومحمد باشا محمود وأحمد بك لطفى السيد يجتمعون ويتشاورون ويفكرون فى سبيل استقلال مصر •• وكأنما تلاقت نفسا مصطفى النحاس وسعد زغلول فى موجة من موجات الالهام الروحى والوحى النفسى ما أعظم صنع الله فقد امتدت يد الله — لتعلو أيدى هؤلاء وهؤلاء • من الشيوخ والشباب على حد سواء • فى القاهرة وطنطا وفى كل مكان ، رغم بعد المكان واختلاف الزمان ، لتبارك جمعهم ، وتكتب انجاح لحركتهم • وتأبى عناية الرحمن الا أن يلتحم الجمعان ، ويتعارف الجيشان ، ويتعاهدا على الكتمان ، وفى احدى اللقاءات يقول مصطفى النحاس لسعد زغلول وصحبه « **نحن نعلم انكم باقدامكم على هذه الحركة ستضحون تضحية غالية وان الانجليز حتما عامدون يومئذ للقبض عليكم ونفيكم بل قد يصنعون بكم شراً من هذا ولكن تضحيتكم هذه ستضرم نار الحماسة فى قلوب أبناء الوطن وشبابه فنخوض نحن الميدان من بعدكم ستذهبون أنتم ونقوم نحن على آثاركم** » •

وكانت هذه هى الصيحة الأولى التى انبعثت من أعماق مصطفى

النحاس قبل قيام ثورة سنة ١٩١٩ وجاشت فى نفسه ، وتمكنت من روحه ، وانطلق بها لسانه .. صيحة العطاء الصادق ، والفداء الناطق ، الذى لا يعرف التردد ، ولا يؤمن بالخوف ويستهين بالتضحية ، مهما عظمت من أجل وطنه .

كل هذا يتحرك فى داخله ، دون أن يفكر فى حاله وأسرته ، وأبنـــاء شقيقته فى الوقت الذى لا يملك فيه غير راتبه ، أليس هذا هو قمة الاعتماد على ربه ، المستند الى قوته دون سواه ، رجل محدود الموارد ، أعزب ، لكنه فى التبعات أكثر من متزوج ، لأن أبناء شقيقته عنده فى معزة الابن والولد كل هذا لا شىء عنده ، فقد جاشت بالوطنية روحه ، واشتعل بنارها خاطره وصدره ، وانبعثت مع واقع العناية الالهية عزيمته وقوته — يعلم أن من ورائه الفاقة ، والشظف والبأساء والضر والحرمان ، وأمامه المعتقل والسجن والنفى والاعدام .

انها لاشك وطنية عارمة ، بل وطنية صادقة ، ليست مأمونة الجانب وقد تكون القاضية عليه ، وعلى أسرته ، ومع ذلك يمضى فى طريقه ملقيا بنفسه بين أحضان القدر .

هكذا كان مصطفى النحاس ، على خلاف ما نراه اليوم فيمن يظنون انهم قادة وزعماء ، فشغلهم الشاغل أمجادهم الشخصية ، وتطلعاتهم السلطوية وحرصهم على الحياة المادية ، وتنكرهم للاخلاق والحياة المعنوية ، أملهم وغايتهم أن يحكموا ويتحكموا ، وليتهم يحكمون ويعدلون ، وللثروات غير متطلعين .. كنا قديما مع من كانوا يجودون ولا ينتظرون ... فأصبحنا مع من يأخذون ولا يعطون ..

زعيم لم يركب الموجة كما يتشدق أبطال اليوم المزيفون ، ولكنه كما ترون كان يلاطم الأمواج فتارة ترفعه ، وتارة تخفضه ، تارة تصرعه ، وتارة يصرعها حتى استقر عرش الزعامة له ، بعد تجارب عديدة ومعارك ضارية ، لا سند له الا الله ، ولا عون له الا الشعب ورضاه ، لا جاه

يعتد به ، ولا سلطة يستند اليها ، ويلوح بها فى وجه خصومه ، كان الأعزل من كل سلاح الا سلاح الحق واليقين ، ودرعه الصدق والخلق المتين ، لا الكذب والخداع والتضليل هكذا كانت زعامة مصطفى النحاس ، زعامة شعبية ، فلا غرو اذا قلنا انه « الزعيم بحق » زعيم ذا نفس نقية من الشوائب ، نفس لا تعرف الا مكارم الاخلاق ، حاد الذكاء ، مرهف كفء ، كان ذا قلب رحيم ، نزاهته ناصعة ، استقامته جامعة ، قوة تصميم ، ورفعة اباء ، وصحة اعتزام ، وحكمة اتجاه ، أصالة رأى ، صفاء ذهن ، ترفع عن المادية الى حد احتقارها ، اذا هى تعارضت مع الواجب والضمير ٠

(انقـــاذ ثـورة ١٩١٩)

وها قد رأينا ان مصطفى النحاس انه شارك فى اشعال نار ثورة ١٩١٩ منذ البداية ٠٠ وأراد الله أن يكون له ولزملائه فى طنطا شرف انقاذها وأن يكتب النجاة لها ولزعمائها ويكشف مصطفى النحاس النقاب عن ذلك السر فى احدى خطبه فيقول : « **فى اليوم العاشر من شهر نوفمبر سنة ١٩١٨ علم أحدنا ان دار الحماية البريطانية قد وصل اليها نبـأ اجتماعات سرية تعقد بمنزل سعد باشا زغلول وهى تتابعها وتتربص بها — فأسرعنا الى اخبار الجماعة (سعد وصحبه) فاجمعوا أمرهم على الظهور بنياتهم فطلبوا فى اليوم التالى مباشرة (١١ نوفمبر سنة ١٩١٨) يوم عقد الهدنة العالمية مقابلة السير ونجت المندوب السامى البريطانى — فتحددت المقابلة يوم الأربعاء الموافق ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ الذى اتخذته مصر عيدا قوميا لجهادها منذ ذلك اليوم ٠٠ فلقد كان هذا اليوم بداية حقيقية ٠٠ ومقدمة لثورة شعبية** » ٠

لقد ساقت العناية الالهية « مصطفى النحاس » يومئذ لانقاذ الوفد قبل تكوينه ٠٠ فكان سباقا الى الفكرة أولا ثم سباقا الى نجاتها ثانيا ٠٠٠ كان يومها قاض ٠٠٠ موظف ٠٠٠ مرتبط بوظيفته ٠٠ مورد رزقه الوحيد ولا دخل له من غيرها ٠٠ ولو ان رجـــلا آخر مكانه ٠٠ لكانت ظروفه

الاجتماعية والعائلية موضع تقديره وتفكيره ، ولآثر البعد عن ساحة الجهاد والنضال غير المأمون الجانب ، ولكن انى ان يكون مصطفى النحاس من هذا الصنف من الرجال •

١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨

وقبل ظهر يوم الأربعاء الموافق ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ ذهب وكيل الجمعية التشريعية المنتخب واثنان من أعضائها (سعد زغلول ، على شعراوى ، عبد العزيز فهمى) الى دار المعتمد البريطانى (فى ميدان قصر النيل) (ميدان التحرير — حاليا) ••• قال سعد زغلول للمعتمد البريطانى :

« اننا نطالب بحق مصر فى الاستقلال التام •• والسماح لنا بالسفر الى انجلترا للسعى للاعتراف بهذا الحق المقدس » •

كانت هذه خطوة جريئة على طريق الثورة ، بل كانت فى ذاتها ثورة ، ثورة « الشعب » بقيادة « ثلاثة من الباشوات » الوطنيين المخلصين ثورة فى مواجهة أكبر دولة فى العالم خرجت فى الحرب العالمية الكبرى بأعظم انتصار عرفه التاريخ ، ثلاثة رجال ، بل ثلاثة شيوخ ، بل ثلاثة أبطال ، عزل من كل سلاح الاسلاح الحق ، يتوجهون فى وضح النهار ، لا فى دياجير الظلام ، وعلى رؤوس الاشهاد ، دون أن يعملوا لقوة المحتل الغاصب أى حساب أو يخشوا مغبة ما قد يتعرضون له من متاعب ، يتقدمون فى جرأة وايمان لتصفية الحساب مع محتل فى نشوة الانتصار ، رافعين الرؤوس فى عزة وكرامة ، وقفة خالدة باقية على الزمان ، ستتناقلها الأجيال ، مهما أنكرها أصحاب القلوب السوداء ، أو حاولوا أن يهيلوا عليها تراب النسيان •

تأليف الوفد المصرى

بعد هذا اليوم راح سعد زغلول باشا يهتم اهتماما كبيرا بتأليف

الوفد المصرى استعدادا للسفر الى بريطانيا وكان مصطفى النحاس أحد ثلاثة من المنتمين للحزب الوطنى الذين وقع عليهم الاختيار ليكونوا ضمن أعضاء الوفد ٠

ويقول سعد زغلول فى مذكراته الخطية « انه تفاوض شخصيا مع كل من مصطفى النحاس بك وحافظ بك عفيفى من الحزب الوطنى فقبلا الانضمام الى الوفـــد ــ وانه استعمل حق الرئاسة ــ رئاسته للوفد المصرى فى ضمهما ــ » ومنذ ذلك الوقت أصبح مصطفى النحاس ــ سكرتيرا عاما للوفد ــ ملازما لسعد زغلول يأخذ عنه ويتزود منه وكأن الله أراد أن يعد خليفة الزعيم على يد الزعيم وفجـــأة يصبح مصطفى النحاس أقرب أعضاء الوفد الى قلب سعد ــ لقوة شخصيته ، ونادر كفاءته ، وفرط ذكائه ، وشهرته القانونية تخطى جميع أعضاء الوفد بمواهبه ، متجاوزا أقرب المقربين من سعد حتى كان يناديه يسيد الناس وأصبح مصطفى النحاس بحق الرجل الأول فى الوفد ، بعد سعد وكأن الله أراد اعداد خليفة الزعيم بعد رحيله ، وهذا ما حدث بالفعل ، فعندما فقدت مصر سعدا ، وجدت مصطفى النحاس الذى ملأ مكان سعد الزعيم العظيم ، واحتـــل قلوب الجماهير ، من هذا الشعب العظيم ، وكان خير خلف لأعظم سلف ٠

كيف تألف الوفد المصرى ؟

لم يتألف الوفد المصرى على نحو ما تتألف الأحزاب السياسية ، تألف فى ميدان الجهاد ، تألف من القاعدة ولم يتألف من القمة ، تألف من الأمة ولم يتألف من السلطة ، تألف ليخوض معركة شرسة مع محتل غاصب خرج من الحرب العالمية الثانية منتصرا ، تألف ليخوض معركة لا يعلم مغبتها الا الله تتقدم رجاله واضعين رؤوسهم على أكفهم ، منكرين ذواتهم ، لا هم لهم الا مجد بلادهم ، غير مكترثين بما سيتعرضون له هم وأزواجهم وأولادهم وأموالهم من سجن واعتقال ونفى واعدام ومصادرة وحرمان ، كل هذا محتمل وقوعه من محتل غاصب ، بيده الســلطة والسلطان ،

فالانضمام الى الوفد مغرم لا مغنم ، تضحية وفداء ، لا كسب واثراء ، فلا مغالاة اذا قلنا ان الوفد المصرى هو ضمير الأمة المصرية بحق ووكيلها بصدق والناطق الوحيد باسمها والمعبر بيقين عن ارادتها .

استقالة النحاس من القضـــاء

وعودته الى المحاماة

ما كادت ثورة سنة ١٩١٩ تندلع فى البلاد . الا وكان أول عمل أقدم عليه مصطفى النحاس (القاضى) هو تقديم استقالته من القضاء دون تردد — تفرغا للقضية الوطنية — وتخلصا من قيود الوظيفة التى فرضها القدر عليه بضغط من والده ، قدم استقالته — غير مكترث بما يخبئه القدر له ولأسرته التى لا عائل لها ســـواه بعـــد حرمانهم من دخل الوظيفة الكبيرة .. لأنه المعتمد دائما على ربه — ومصر عنده وقضيتها هى شغله الشاغل وقضيتها هى القضية الكبرى وسائر القضايا تهون أمام قضية مصر . وعاد مصطفى النحاس — الى المحاماة من جديد .. فاحتل مكانة رفيعة بينهم ، وذاع صيته بين زملائه فقد كانت بعض الأحكام القضائية التى كان يصدرها موضع دراسة طلبة مدرسة الحقوق بالقاهرة .. وكان مكتبه يدر عليه مالا وفيرا .. واضطر مصطفى النحاس أن يحـــدد عدد القضايا التى يقبلها مكتبه شهريا (٤) أربعة فقط ولا يزيد حتى لا تستغرق القضايا الخاصة كل وقته ولابد ان يكون الجزء الأكبر من وقته بل من حياته لمصر أولا ولقضية مصر وشعب مصر حقا لقد كان مصطفى النحاس عظيما فى جميع مراحل حياته ...

مصطفى النحاس

(فى المنفى) فى (سيشل)

ظلت الحركة الوطنية بقيادة الوفد وزعامة سعد يسانده مصطفى النحاس (سكرتير عام الوفد) مشتعلة اوارها ، تلهب نارها المحتـــل

الغاصب ، ويتزايد الصراع يوما بعد يوم ، ويتساقط الشهداء فى ميدان التضحية والفداء ، مطالبين بالحرية والديمقراطية والاستقلال ووحدة وادى النيل مصره وسودانه وتتكرر الاعتداءات على الشعب الأعزل من كل سلاح الا سلاح الحق والايمان وتحار السلطة الغاشمة فى أمر سعد وصحبه والوفد وأعضائه فبعد أن أفرجت عمن اعتقلتهم مع سعد وأبعدتهم الى مالطة عادت فى ١٩٢١/١٢/٢٣ وأصدرت قرارا آخر باعتقال سعد زغلول ومصطفى النحاس وفتح الله وبركات وعاطف بركات وسينوت حنا ومكرم عبيد ، وقررت نفيهم خارج البلاد الى جزيرة سيشل علها بذلك تستطيع أن تسكت الى الأبد تلك الأصوات التى مازالت تطالب بحق مصر فى حياة حرة كريمة مستقلة ودستور يعطى الشعب الحق فى أن يحكم نفسه بنفسه ويمنح أفراده كل حقوق الانسان الحر ولكن خاب ظن المحتل الغاصب وطاش سهمه فانى للاحرار أن ترهبهم قوة أو يثينهم تهديد أو وعيد . فما كاد أمر هذا النفى يعلم الشعب به حتى هب هبة عارمة من جديد فاضطرت انجلترا أن تطأطىء الرأس أمام عظمة هذا الشعب وتصميمه فأطلقت سراح زعمائه ومنحت مصر دستور سنة ١٩٢٣ ذلك الدستور الذى هون المغرضون من شأنه وقالوا انه منحة من الملك .

ان هذا الدستور قد سالت فى سبيله دماء طاهرة زكية .

ان هذا الدستور قد احتوى العديد من الحريات التى نتطلع اليها اليوم فلا نجدها ، وعز علينا الحصول عليها فى ظل القوانين القائمة .

ان هذا الدستور جعل السلطة للشعب لا للحاكم .

ان هذا الدستور جعل من سعد زغلول رئيسا للوزراء ورئيسا للبرلمان .

ان هذا الدستور لو لم يجد الملك المخلوع سندا له من بين الشعب للاعتداء عليه لحفظ علينا حتى اليوم حرياتنا ، وديمقراطيتنا ، وأحزابنا ، ولكانت مصر أقوى دولة بين جيرانها .

ان هذا الدستور جعل من أبناء الشعب ومن أبناء الفلاحين وزراء ونواب يحاسبون الوزراء .

ان هذا الدستور لو عاد اليوم بما فيه من عيوب لكان سبب نجاتنا وسبيل مناعتنا وحصن قوتنا وسر تقدمنا ودواء لجميع الأمراض التى تفشت فى مجتمعاتنا .

سعد والنحاس

فى ظل دستور سنة ١٩٢٣

فى الثانى من يناير سنة ١٩٢٤ تولى سعد زغلول رئاسة الوزارة بعد أن أجريت فى مصر لأول مرة انتخابات مباشرة لانتخاب أول مجلس نيابى نزولا على أحكام دستور سنة ١٩٢٣ الصادر فى ١٩/٤/١٩٢٣ وكان ثمرة من ثمار ثورة سنة ١٩١٩ — فاز فيها الوفد بالأغلبية الساحقة اذ حصل على ١٩٥ مقعدا من مجموع المقاعد البالغ عددها ٢١٤ مقعدا أى بنسبة ٩٠٪ وحصل حزب الأحرار الدستوريين على (مقعدين اثنين) كما حصل الحزب الوطنى على (مقعدين اثنين فقط أيضا) وكان مصطفى النحاس (أول نائب وفدى) ينتخب لدائرة سمنود / غربية وشكل سعد زغلول أول وزارة برلمانية فى مصر واختار مصطفى النحاس وزيرا لوزارة المواصلات — وعمت البلاد فرحة كبرى اعتقادا منها انها قادمة على حياة أفضل حياة الاستقرار والرخاء والبناء من أجل جماهير الشعب كل الشعب . ولكنها سرعان ما أفاقت من أحلامها السعيدة على الأزمات والمشكلات التى وضعتها سلطات الاحتلال ورجال القصر فى طريق وزارة الشعب للحيلولة دون استمرارها فى الحكم حتى لا يستقر حكم الشعب للشعب . واضطر سعد زغلول بعد مضى ٩ أشهر و ٢٦ يوما على وزارته فى الحكم الى تقديم استقالته بعد أن استحال عليه التعاون بينه وبين أعداء الأمة وخصومها على أساس التهاون فى حقوق الأمة أو التفريط فى مكاسب الشعب . وترتب على هذه الاستقالة حل مجلس النواب . واجراء انتخابات جديدة

سنة ١٩٢٥ على يد (زيور باشا رئيس الوزراء ووزير داخليته اسماعيل صدقى باشا) وقد أعدت الوزارة عدتها للتدخل فى هذه الانتخابات بكل أنواع التدخل حتى لا تسفر المعركة الانتخابية عن أغلبية وفدية • ودعى مجلس النواب للاجتماع لانتخاب رئيسه — وتقدم للرئاسة (سعد باشا زغلول وعبد الخالق باشا ثروت) فاذا بسعد زغلول باشا يحصل على الأغلبية •• فأسفر المجلس عن وجهه الوفدى فتأجل المجلس للانعقاد الى جلسة الصباح •• وفى جلسة الصباح ووجه المجلس بقرار حله الصادر من الملك أحمد فؤاد وكان عمر مجلس النواب ٨ ساعات فقط وهو أقصر عمر لمجلس نيابى شهدته الحياة النيابة فى العالم أجمع — وبعد ذلك يقال ان الوفديين كانوا يهادنون الملك •• وهذا هو دليل المهادنة والمصادقة والحب المفقــود ■

وفى مايو سنة ١٩٢٦ أجريت الانتخابات المباشرة للمرة الثالثة فى ظل الائتلاف الذى قام بين الأحزاب وفى مقدمتها الوفد والأحرار الدستوريين والحزب الوطنى فاز فيها الوفد بالأغلبية الساحقة فحصل الوفد على ١٦٥ مقعدا وحصل حزب الاحرار على ٢٩ مقعدا والحزب الوطنى على ٥ مقاعد والمستقلين على ٦ مقاعد وحزب الاتحاد على ٥ مقاعد ملحوظة (فى مثل هذه الاحوال يتم التفاهم بين الوفد والاحزاب على أن يترك الوفد بعض الدوائر فلا يرشح فيها أحدا من أنصاره — يتركها خالية ليتسع المجال فيهــا للاحزاب الاخرى) •

« انذار بريطانى »

وبعــد أن أعلن رســميا حصــول الوفد على الأغلبية الساحقة فى الانتخابات وتناقلت وكالات الأنباء المحلية والعالمية والصحف الخبر ، اذا بوزارة الخارجية البريطانية ترسل الى معتمدها البريطانى فى مصر الانذار التــالى :

« اذا ألف سعد زغلول باشــا ــ صاحب الأغلبية ــ الوزارة فان الأسطول البريطانى سيصل الى مصر ويحتل الجمارك والموانى » .

أبلغ الملك فؤاد وكبار رجال الدولة وسعد زغلول بهذا الانذار فماذا فعــل ســـــعد ؟ .

أوحى سعد على الهيئة الوفدية باقامة حفل شاى بفندق شبرد للنواب الذين فازوا فى الانتخابات بحجة الاحتفال لحصول الوفد على الأغلبية الساحقة ــ وتوجيه الدعوة الى عدلى باشا يكن ومحمد محمود باشا وغيرهم من رؤساء أحزاب الائتلاف وكبار رجال الدولة وأوعز سعد الى الأطباء من أعضاء الهيئة الوفدية أمثال (عبد الرحمن عوض ، حسين كامل ، أحمد شفيق ، حامد محمود ، محجوب ثابت ونجيب اسكندر) باعداد تقرير بأن صحة سعد باشا لا تتحمل عبء الحكم وانهم يتقدمون برجاء للنواب والشيوخ لكى ينضموا اليهم فى الرجاء الى الزعيم للابتعاد عن الحكم حفاظا على صحته التى هى أثمن عندهم من الحكم ومن أى شىء » ــ وبالفعل تم تنفيذ ما أوعز به سعد للاطباء بكل دقة أثناء الاحتفال ــ **فما كان من سعد الا أن وقف محتقن الوجه قائلا : « نزولا على رأى الأطباء فانى أرجو صديقى عدلى باشا أن يؤلف الوزارة بالنيابة عنى » .**

ويحدثنا أحد الثقاة فى هذا الصدد فيقول « كنا فى بيت الأمة وجاء سعد ومن خلفه النواب والشـــيوخ فتخرج صفية زغلول مستقبلة اياه كعادتها وهو على الدرجة الأولى من السلم فتقول له « خير يا باشا » فيرد عليها ضاربا بقبضة يده ترابزين السلم ضربة قوية قائلا بصوت مرتفع يتخلله ألم وحزن « سعد زغلول مريض لا يستطيع أن يتحمل أعبــاء الحكم » .. ما أشبه الله عليه بالبارحة .. أليس هذا شبيه بحادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ .. ولكن ذاك سعد .. وهذا مصطفى النحاس انه الغرض . والغرض مرض كما يقولون ..

مصطفى النحاس
« وكيلا لمجلس النواب »

انتخب سعد زغلول رئيسا لمجلس النواب بعد أن تخلى عن رئاسة الوزارة ورشح مصطفى النحاس وكيلا أول للمجلس وويصا واصف وكيلا ثانيا ثانيا فأغضب ذلك حمد الباسل باشا وكيل الوفد ظنا منه انه أحق منهما فرشح نفسه منافسا لهما •• ففازا « مصطفى النحاس وويصا وواصف » وسقط حمد الباسل باشا •

مصطفى النحاس
« يرفض رئاسة الوزارة »

قدم عدلى باشا يكن استقالة وزارته بسبب حدث صغير عده عدلى باشا اهانة له ولوزارته أو على أقل تقدير عدم ثقة به وبوزارته من جانب الوفد ويخلص هذا الحدث •• فى أن النواب الوفديين رفضوا تضامنا مع زميلهم الوفدى (عبد السلام جمعه ــ نائب طنطا) اقتراحا تقدم به أحد الأعضاء بتقديم الشكر للوزارة لانجازها عملا معينا •• بدعوى انه لا شكر على واجب •

وانتقل المجلس الى جدول الاعمال دون شكر الحكومة •• ولم يكن عدلى باشا حاضرا تلك الجلسة لكنه غضب حينما نقلت اليه وقائعها فقدم استقالته •• وقد حاول سعد زغلول باشا عبثا اقناعه بالعدول عنها •• وأصر عدلى على رأيه •• وشتان بين رجال اليوم ورجال الأمس •••

عرض سعد باشا على النحاس باشا رئاسة الوزارة بعد عدلى باشا فرفضها (النحاس بشدة واصرار) وظلت مصر بلا وزارة ٦ أيام وأخيرا اسندت رئاسة الوزارة الى عبد الخالق ثروت باشا • وليس هذا بغريب على مصطفى النحاس أن يرفض رئاسة الوزارة وهو فى سن الـــ ٤٧ وقد

أصبح من ألمع المحامين فى مصر وأعظمهم شأنا ومن قبل رفض القضاء وكان أقل من ذلك شأنا ولكنه لاشك عظيم فى داخله كبير فى أعماقه ومفاهيمه .

موت سعد زغلول
فى ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢٧

وفى الساعة العاشرة و ٤٥ دقيقة من مساء ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢٧ انتقل (سعد زغلول) الى جوار ربه — وكان (مصطفى النحاس) خارج مصر .. فراح الناس يتساءلون من سيكون الرجل الذى يخلف سعدا .. ويملأ فراغ سعد .. ومن يا ترى هذا الذى يستطيع أن يجمع قلوب الملايين من المصريين حوله كما كانت حول سعد ، ومن هذا الذى يجعل الألسنة تهتف باسمه كما كانت تهتف باسم سعد .

اضطربت الأفكار — واختلفت الآراء .. فقد كان المصاب كبيرا والفجيعة عظيمة ولم يكن أحد يتخيل أن « مصطفى النحاس » الرجل البسيط فى مظهره ، المتزن فى مسلكه ، بن تاجر الأخشاب البسيط يخلف سعدا العملاق الكبير ، الذى يسحر الجماهير ، بسحر خطبه وبليغ كلماته .

قالت جريدة التيمس البريطانية :

« لقد تأكد لها استحالة اختيار شخص يخلف الزعيم الراحل الذى يتفوق على جميع أتباعه تفوق النخلة على صغار الشجر » .

وقالت الديلى اكسبريس البريطانية :

« من المستحيل العثور على أى شخص قادر على تحمل هذا العبء الثقيل وان النية متجهة الى تعيين لجنة تنفيذية صغيرة العدد » .

وقالت جريدة المانشستر جارديان البريطانية :

« لقد انهار الوفد » .

عـودة مصطفى النحاس
من الخـارج

ولمـا علم (مصطفى النحاس) بوفاة سعد عاد على الفور مسرعا من أوروبا ... وذهب الى قبر سعد .. ووقف أمامه فى جمع من رجالات الوفد وشبابه وأقسم أمام الجميع وهو يبكى على المضى فى الجهاد ...

وقال .. « ان روح سعد ستظل مشرفة علينا ترقب جهادنا وتغذى نفوسنا حتى ننال الاستقلال التام لوطننا مصر » .

« اجتمـاع الوفـد المصرى »
فى ١٩ سبتمبر سنة ١٩٢٧

وفى ١٩ سبتمبر سنة ١٩٢٧ ـ اجتمع الوفد المصرى بكامل هيئته لانتخاب رئيس له .. وأسفر الاجتماع عن انتخاب مصطفى النحاس رئيسا للوفد المصرى . ولقد عارض مصطفى النحاس بشدة قبوله رئاسة الوفد ولكن زملاءه ألحوا عليه فى قبولها فاضطر أن يقبلها لأن واجبه الوطنى يحتم عليه هذه التضحية (ومما يستحق الذكر أن فتح الله بركات باشا ابن أخت سعد باشا كان عضوا بالوفد ومع ذلك لم يفز برئاسـة الوفـد) .

الاجتمـاع الثـانى للوفـد
بعد رحيل سعد

وفى ١٩٢٧/٩/٢٤ عقد الوفد المصرى أول اجتماع له برئاسـة « مصطفى النحاس » واستقر رأيه على توجيه بيـان الى الأمة المصرية بعد رحيل سعد زغلول مكون الوفد ورائده جاء فيه :

أيهـا المصريون ...

ان الوفد المصرى وقــد كان أول مظهر لنهضتكم وأجـرأ وثبة الى مجدكم لايزال باقيا وسيبقى مقياسا لقوتكم ، وعنوانا حيا لجهادكم ، ونواة لوحدتكم ، ولسان صدق لآمالكم والامكم ، لقد فجع الوفــد فى رئيسه ، ولكنه لايزال حيا قوى الحياة بأمته ، واحدا فى كتلته ، أمينــا على عهده ، وفيا ليومه وغده ، ولن يترك ميدان الشرف حتى يتحقق مجد البلاد باستقلالها صحيحا وحريتها كاملة ... الخ .

كلمات خالدات باقيات بقاء الزمن . كلمات مشحونة بالحماس ، ممزوجة بالاخلاص فيها العزم والاصرار على المضى فى النضال ضد الاحتلال حتى يتحقق الاستقلال ولقد كان لاختيار مصطفى النحاس خلفا لسعد صدى بعيد الأثر فى صفوف أعداء البلاد وخصوم الأمــة . وراحوا يتوقعون تصــاعد الصراع بين مصر وبريطانيا أى بين الوفــد وسلطة الاحتلال واختفاء سياسة الوفاق لمــا عرف عن مصطفى النحاس من التطرف وشدة صلابته وتمسكه بحقوق وطنه .. تلك الاوصاف التى خلعوها عليه هى محل فخاره وافتخاره كما توجس الملك ورجاله خيفه من مصطفى النحاس .

وفى مجال موت سعد زغلول واختيار مصطفى النحاس خليفة له يقول مصطفى النحاس فى خطابه (عيد الجهاد الوطنى — فى نوفمبر سنة ١٩٣١) فى عهد وزارة صدقى باشا :

« فى هذه الصدمة العنيفة التى هزت كيان الأمة هكذا تطلعت مصر الى من يملأ المكان ويسد الفراغ ، وتربص خصــوم الوفد بالوفد الدوائر وقالوا انتهى الوفد بانتهاء رئيسه ، وخافت الأمة الوفدية على هذا التراث الوطنى ان يتبدد والطور الشامخ ان ينهار ، فاجتمع الوفد المصرى

ليختار رئيسا له بعد سعد ، يخلفه على تراثه ، ويستأنف من بعــده جهاده ، ويتطلع بالامانة التى خلفها وراءه ، وهى مستقبل أمة ، وحياة جيل تعقبه أجيال •

ما اثقل الحمل ، وما اخطره ، وما اشق الجهد وما اكبره ، عرضت على رئاسة الوفد فاشفقت منها لانها حمل تشفق منه الجبال ، وتنوء بحمله كواهل الرجال ، وانا رجل لا ثروة لى ولا مال ، الا ما يأتينى من كد يدى وعرق جبينى ، وانى الى ما ينزل الله الى من خير فقير •

ولكن زملائى القوا على تلك المسئولية الخطيرة وانا المتهيب لها الخائف منها ، ولا ازال أذكر قولهم ان الشهداء يبذلون دماءهم وأرواحهم رخيصة فى سبيل الوطن ولا يبتغون جزاء ولا شكورا فكيف بك تخشى ما أردناه لك فنزلت عند ارادتهم ، وعيناى تفيضان بالدموع وكنت جد عليم بمـا ينتظرنى من الالام والمشقات وما يتطلبه الجهـاد من غالى التضحيات » •

« زعامة مصطفى النحاس »

أصبح مصطفى النحاس منذ ١٩٢٧/٩/١٩ رئيسا للوفد المصرى وزعيما لمصر وخليفة للزعيم الخالد الذكر سعد زغلول وشـاء القـدر « لمصطفى النحاس » أن يحمل هذه الامانة الكبيرة فى جو ملبد بالغيوم •• ملىء بالمؤامرات والدسائس من سلطات الاحتلال والملك وأحزاب الاقلية ورجال القصر فراحت كل هذه القـوى تتجمع ضـده لتعترض طريق مسيرته ••• قبل أن يأخذ خطواته الاولى على طريق الزعامة • فمنذ أول يوم من انتخابه رئيسا للوفد وخليفة لسعد • انزعج الخصوم والاعداء على حد سواء الملك ورجاله والمحتل وأعوانه ، جمعهم الحقد والخوف الحقد على هذا المركز المرموق الذى احتله المصطفى والخوف من انتزاع السلطة من الملك الذى لا يريد أن يشاركه فيها أحد •• انه يريد أن يحكم ويتحكم ولا يؤمن بسلطة الشعب وحكم الشعب لنفسه طبقا لاحكام

دستور سنة ١٩٢٣ الذى راحت نصوصه تؤكد ذلك فى أكثر من موضع ..
وكانوا يهدفون من وراء ذلك القضاء على الوفد وزعامته والحركة الوطنية
لتصبح البلاد ضيعة للملك وحاشيته وأحزاب الاقلية يصرف شئونها
حسب هواه ووفق مشيئته ومشيئة المحتل الغاصب .

تفرغ الزعيم ... للقضية الوطنية

لقد انفرد مصطفى النحاس بين الزعماء — بحمل لقب الزعيم
المتفرغ — لم يشغله شاغل خاص او عام غير القضية الوطنية . وعلى اثر
انتخابه لرئاسة الوفد — وخليفة لسعد — وزعيما للأمة — قطع العهد
على نفسه — التفرغ الكامل للقضية الوطنية — ايمانا منه بقداسه القضية
الوطنية ، وعظيم المسئولية عملا بقول الله سبحانه وتعالى فى سورة
الأحزاب : « ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه » رغم انه الانسان
الذى لا مورد له الا رزقه الذى يأتيه من كد يده ومن عرق جبينه —
وبالفعل اغلق مكتب المحاماة — وقطع صلته نهائيا بالقضايا الخاصة .

موقف كله عطاء وتضحية وفداء من أجل وطنه ، محال أن نراه فى
أى وطن من الاوطان ، وصورة لن تتكرر فى أى زعيم مهما كان ، كلهم
يزاولون أعمالهم الخاصة وهم فى السلطة والصولجان ، والله لا أكون مغاليا
اذا قلت لقد كان مصطفى النحاس ناسكا فى محراب القضية الوطنية
المصرية بلا جدال — وكان من حوله رجال خلص عرفوه وقدروه .

(أول صدام بين النحاس والملك)

وبعد أسبوع واحد من رئاسة مصطفى النحاس (للوفد المصرى)
ولزعامة الأمة كان قد اقترب موعد الاحتفال بعيد جلوس الملك (أحمد
فؤاد الأول) ملك مصر فى ١٩٢٧/١٠/٩ — وأراد القصر أن تحتفل البلاد
احتفالا كاملا فتقام فيه الزينات وتضاء الثريات وترفع الأعلام وتمد فيه
المآدب دون أن تراعى فيه أحزان الأمة على فقد زعيمها (سعد زغلول) لكن

مصطفى النحاس — خليفة سعد •• يقف موقفا جريئا فى مواجهة القصر موقفا سوف يبقى خالدا فى تاريخ مصر الحديث فيطالب بمنع هـذا الاحتفال — احتراما لاحزان الأمة على سعد ••

وتنفيذا لذلك راحت الصحف الوفدية تشن حملة عنيفة على الحكومة التى حاولت المضى فى اقامة الاحتفال ولقد جاء فى مقال للاستاذ عزيز ميرهم عضو مجلس الشيوخ الوفدى ما يأتى :

« فليهنأ بالعيد من يشاء وليهنأ بالزينة ضعاف العقول ، وصغار الاحكام ، ويشترك فى الوليمة أشخاص ليس لهم فى الوطن نصيب لا قليل ولا كثير ، ولتفتح خزينة الدولة على مصراعيها تتغدق أموال الفقراء فيما لاحظ لهم فيه ، نافعا كان أو ضارا ، كل ذلك وضع للشىء غير محله ، وخروج مفضوح عن الواجبات الأولية للمجاملة واللياقة ونصب الافراح وسـط المـأتم العـام •••

يجب أن نعلم جميعا ان جلالة الملك مدين للحركة الوطنية التى كان سعد على رأسها ولولا قيام تلك الحركة التى ساسها سعد بحكمته واقتداره لمـا كانت مصر اليوم مملكة وكانت مجرد سلطنة ترزح تحت عبء الحمـاية » •

مقال كله جرأة واجتراء على الجالس على العرش فأين نحن الآن مما كان عليه كتابنا فى غابر الزمان الذى يحلو للبعض تسميته باسـم (عهد الرجعية) •

مصطفى النحاس
رئيســا لمجلس النــواب
فى ١٧ نوفمبر سنة ١٩٢٧

وفى ١٧ نوفمبر سنة ١٩٢٧ عند افتتــاح الدورة البرلمانية الجديدة لمجلس النواب انتخب مصطفى النحاس رئيسا لمجلس النواب خلفا للراحل العظيم سعد زغلول اذ كان هذا أول اجتماع للبرلمان بعد وفاة سعد • واستمر التعاون بين المجلس والوزارة قائما على خير ما يرام وفى ٤ مارس ١٩٢٨ اضطر ثروت باشا الى تقديم استقالة وزارته بعد أن أبدى مصطفى النحاس (باعتباره زعيم الاغلبية البرلمانية) رأيه فى المفاوضات التى دارت **بينه (بين ثروت وتشمبرلين وزير خارجية بريطانيا)** ووصفها بأنها لم **تحقق أى نجاح لانها لم تنص على جلاء الجنود البريطانية عن مصر جلاء تاما** وقد علق تسمبرلين على رأى النحاس باشا قائلا :

« ان النحاس باشا على ما يظهر ليس أكثر ميلا الى ادراك حقائق المسألة مما كان عليه زغلول باشا منذ أربع سنوات » •

وقدم ثروت باشا استقالة وزارته فقبلت •

(وزارة النحاس باشا الأولى)
١٧ مارس سنة ١٩٢٨

قابل الشعب بفرحة كبرى تأليف مصطفى النحاس (زعيم الاغلبية) أول وزارة ائتلافية واعتبرها بادرة دستورية طيبة فى مسارها الصحيح سوف يصبح الشعب بعدها سيد نفسه وحاكم نفسه •

كانت هذه أول وزارة ائتلافية (من الوفد والاحرار الدستوريين) يرأسها مصطفى النحاس •• ومضت الوزارة فى عملها مؤيدة بثقة البرلمان • لا تستطيع قوة أن تنحيها عن واجبها عن غير طريق البرلمان اللهم الا عن طريق الدسائس والمؤامرات • فالسراى لا يطيب لها أن يحكم الشعب نفسه

بنفسه وإن تغل يدها فى حكمه ورجال الاقليات لا عيش لهم الا فى ظلال المؤامرات والدسائس والتعاون مع الملك ورجاله . فأتمرت السراى مع وزراء الاحرار الدستوريين بليل ان يتقدموا باستقالاتهم من الوزارة تباعا ونفذوا المؤامرة فتقدموا باستقالاتهم فى خلال الفترة من ١٧ — ٢٤ يونيو سنة ١٩٢٨ وتقدمهم محمد محمود باشا (وزير المالية) وتبعه جعفر ولى باشا (وزير الحربية) ثم أحمد خشبه باشا (وزير الحقانية) ثم ابراهيم فهمى كريم بك (وزير الاشغال) .. ونجحت المؤامرة .. ووجه الملك أحمد فؤاد (المتآمر الاكبر) **كتاب الاقالة الاتى الى مصطفى النحاس** ..

« عزيزى مصطفى النحاس باشا ...

لما كان الائتلاف الذى قامت على أساسه الوزارة قد أصيب بصدع شديد فقد رأينا اقالة دولتكم شاكرين لكم ولحضرات زملائكم ما أديتم من عمل فى خدمة البلاد » ...

٧ محرم ١٣٤٧ — ٢٥ يونيو ١٩٢٨ « فؤاد »

والاقالة — ليست كالاستقالة — (فهى كالفصل التعسفى من الوظيفة فهى بمثابة ابعاد وزارة تتمتع بثقة البرلمان (من الحكم) الأمر الذى لا يتفق مع روح الدستور وهو بلا جدال اعتداء على سلطة الأمة الممثلة فى برلمانها المنتخب انتخابا حرا اعتداء على الاكثرية التى لها حق اختيار رئيس الوزراء (الذى يحكمها) ولها الحق أيضا فى سحب الثقة منه دون سواها . والاقالة اعتداء سافر على الدستور . وهذا ما كان يعيب نظامنا النيابى فى ظل النظام الملكى وكان هذا هو جوهر الخلاف بين الوفد والملك — الوفد من رأيه « ان الملك يملك ولا يحكم الا بواسطة وزرائه الذين ينتخبهم الشعب انتخابا حرا مباشرا » وهذا ما ينص عليه الدستور صراحة ، والملك ومن يدورون فى فلكه من رأيهم « ان الملك يملك ويحكم ويتحكم » .

« المؤامرة الكبرى على الديمقراطية تستكمل خيوطها »

لم تقف المؤامرة عند حد اقالة مصطفى النحاس من رئاسة الوزارة وتكليف محمد محمود باشا برئاستها بل راحت المؤامرة تنسج خيوطها الكبرى للايقاع بالديمقراطية والقضاء عليها بكل صورها وأشكالها واحلال الدكتاتورية وحكم الفرد واليد الحديدية محلها ..

فاستصدر رئيس الوزراء (محمد محمود باشا) الذى خلف مصطفى النحاس أمرا ملكيا بتأجيل انعقاد البرلمان لمدة شهر ثم اتبعه باستصدار أمر ملكى آخر بحل البرلمان وتعطيل بعض مواد الدستور المتعلقة بالحريات العامة فأسفر بذلك عن وجهه الحقيقى فى أنه اليد الحديدية التى أراد الملك أن يضرب بها الشعب وزعيم الشعب فى أحط مؤامرة .

ولكن انى للشعب وزعيمه أن يتخاذل أمام ملك متآمر ورئيس باع نفسه تبعا لهواه فوقفت الأمة وقفة رجل واحد تدافع عن دستورها وعن حرياتها المسلوبة بكل الطرق المشروعة بالقلم والكلم فى المحافل وعلى المنابر وعلى صفحات الجرائد وطافت بالبلاد المظاهرات ففرقها البوليس بالقسوة والعنف واعتقل كثيرا من المتظاهرين — واستعانت الحكومة بالبوليس والجيش لقمع المظاهرات — وما كان يجب أن تستعين بالجيش فى مثل هذه الاحوال — والهب رئيس الوفد مشاعر الجماهير بالخطب والنداءات وقد وقع فى يدنا منها هذا النداء :

« أيها المصريون : لقد برح الخفاء وتمزق ثوب الرياء ، فسلطت عليكم وزارة محمد باشا محمود أقصى عدوانها واجرمت فى حق الوطن بما لم يجرؤ عليه مصرى من قبلها ، محاولة أن تحطم فى لحظة ما شيدته الأمة فى سنوات من جهادها ومتصل عملها ، فجاءت على يدها الكارثة الكبرى ، وحققت اشأم الظنون فيما اعدته للبلاد من عنف وبلوى ، ولم تكن فى البلاد ثورة طائحة ، ولا نكبة جائحة ، كلا ، بل هى ثورة منهم على

الدستور ، وعلى الحرية ، وعلى النظام ، وعلى الامة ، بل على الانسانية فى عصر اصبحت فيه الحرية من مقومات الحياة وأسبابها الاولى ، فسلبوا مصر دستورا لها ، وحرية نعمت بها ، فى الوقت الذى هبت فيه أمم الشرق كسوريا والعراق والهند وغيرها وكسبت نظما دستورية ونيابية لم تكن قد تمتعت بها ، فهــل كتب للانسانية ان تنمــو وتتطور بينما مصر تتأخر وتتدهور ، وهل غيرنا يكسب ونحن نخسر ، كلا فلن ترضى البلاد ان يرجع بها القهقرى وان تقسر على حكم الاستبداد قسرا ، فكلمة الامة هى العليا ولقد كانت وستبقى كلمتها دستورا ٠

أيها المصريون : لقد خرجت هذه الوزارة على الدستور والقانون معا فعطلت نصوصا حرم الدستور تعطيلها أبدا وحرمت الامة برلمانها ووقفت الحياة النيابية سنوات تمدها بما يوحيه اليها طغيانها ، ولم يكفها ان سلبت الامة سلطانها فمدت يدا شريرة الى شعورها ووجدانها وسدت عليها المنافذ فى اجتماعاتها ، وصحافتها وحرية أفرادها ، ولم يأخذها فى ذلك ورع ولا خجــل ٠٠٠

أيها الوزراء ٠٠ لقد عطلتم ضمائركم ــ فقد أقسمتم بالله وبالوطن وانه لقسم لو تعلمون عظيم ــ ان تحترموا الدستور وأحكامه ، فحنثتم اليوم بايمانكم وحملتم الامة نتائج عصيانكم فاذا لم تخشوا حساب الضمير فهلا تخشون حساب الساعة وحساب الساعة عسير ؟ ٠٠٠

أيها المصريون ان الدستور قائم طالمــا انكم تريدونه ، محترم اذا كنتم انتم تحترمونه فكونوا واثقين من حقكم ثقتكم فى أنفسكم ، ذاكرين دروس نهضتكم ، فليست هذه المحنة مهما اشتدت بأقسى مما رأيتم أيام الاحكام العرفية الانجليزية أيام كانت السجون مفتحة أبوابها والمجاهدون الابرياء يحشرون فيها باسمين ٠ أيام كانت المعتقلات النائية ، والمنافى السحيقة ، تتلقف ابناءكم وزعماءكم وهم فرحون مستبشرون ، أيام كانت الاحكام العسكرية تصدر ضدهم وهم لعذابها مستعذبون ، كلا فما كانت

القوة لتزيد تلك الشعلة المقدسة الا اشتعالا ، وما كانت الشدائد لتوهن من ثبات أمة اعتزمت فى الحق نضالا ...

أيها المصريون : ان وفدكم الذى زعموه فئة قليلة وخصصوا مع ذلك لمحاربته سنوات طويلة انما هو رمز ارادتكم ، وصوت نهضتكم ، فان يهدم أبدا وان تألبت عليه قواتهم ، اذ الوفد أمة لا نفاد لرجالها ، وفكرة لا سبيل الى تقطيع أوصالها ، وسيبقى الوفد رافعا علم الجهاد كما رفعه سعد من قبل عاليا ظهورا ، فما كفاح اليوم الا ذلك الكفاح القديم ، قد تجدد لتخليص الدستور من أيدى الرجعيين ، وانقاذ حرية البلاد واستقلالها من أيدى الغاصبين ، وان الوفد ليعاهد الله والامة عهدا جديدا مسئولا ، الا يعبأ بظلم الظالمين ، وان نكلوا به تنكيلا ...

أيها المصريون : يريد الغاصب مرة أخرى أن يمتحن وطنيتكم ، ويبلو ثباتكم فوطدوا دعائم نفوسكم ، واثبتوا للعالم الذى يرقبكم ، انكم وان كنتم لا تحتملون ضيما ، فحاشا لكم أن ترتكبوا اثما ، فما كان سلاحكم فى الجهاد الا قوة ايمانكم ، ومضاء عزيمتكم ، ولئن كانت الكارثة عظيمة ، وأنتم أعظم ، ولئن كانت القوة كبيرة فالله أكبر ، ...

بيت الأمة يوم الاحد ٥ صفر سنة ١٣٤٧ — ٢٢ يوليو سنة ١٩٢٨ .

مصطفى النحاس

صراع الزعيم من أجل الدستور والشعب
فى مواجهـة
الملك والمحتل وأحزاب الاقلية

كانت وزارة محمد محمود باشا الاولى (١٩٢٨/٦/٢٧) بداية لاعظم الكوارث وأخطر الاعتداءات التى وقعت على دستور سنة ١٩٢٣ وكانت عدوانا صارخا على حقوق الامة المصرية التى اكتسبتها بعد جهاد طويل ،

لاطاعة لحاكم فى معصية الدستور

القسم الوطنى العظيم

يجب على كل مصرى أن يقسم هذا اليمين

أقسم بالله العظيم أن أدافع عن الدستور وأن أقاوم كل اعتداء عليه بكل ما أملك من قوة ومال وتضحية وأن أشترك اشتراكا فعليا فى تنفيذ خطة عدم التعاون التى تضعها اللجنة ويقرها الوفد وأن أعمل على تعميم ذلك فى دائرتي

القاهرة في يوم الأربعاء ١٣ صفر سنة ١٣٤٩ — ٩ يوليه سنة ١٩٣٠ | ٢ أبيب سنة ١٦٤٦ (السنة الأولى) (العدد ١٦٢)

الرسائل والمكاتبات
تكون باسم صاحب الجريدة ومدير سياستها
محمد توفيق دياب
تليفون ٣١٤١ عتبة
إدارة الجريدة ٦ شارع ناظر الجيش بمصر

اليوم

الاشتراكات والاعلانات
١٥٠ قيمة الاشتراك في السنة داخل القطر
٢٥٠ « « « « خارج القطر
ونصف هذه القيمة عن ستة شهور
الاعلانات يتفق عليها مع الادارة

يوم الدمــــــاء في المنصــــــورة

جنود صدقي يحاولون قتل الرئيس الجليل ـ فيتلقى الطعنة سينوت بك حنا ـ عشرة من القتلى، واربعــــة في الاحتضــــار ـ والجرحى ١٥٠

ولقد سمح محمد محمود باشا لنفسه ان يكون مخلب القط التى استعملته السراى والانجليز فى ضرب الشعب والحركة الوطنية من أجل عرض زائل هو شهوة الحكم • وقد أساء ذلك الشعب كل الشعب • وراح يعلن فى غير حياء أو استحياء (انه يحكم مصر بيد من حديد وانه وحده الذى يقرر متى تعـود الحياة النيابية) وأوقف عدة مواد من الدسـتور ــ ثلاث سـنين قابلة للتجـديد ــ وعطل الكثير من الصحف واستصدر القوانين المقيـدة للاجتماعات وباختصار بعد ان أقام للحرية فى مصر مأتما • ورغم ان هذه الوزارة لم تستطيع البقاء فى الحكم أكثر من سنة وثلاثة أشهر وستة أيام أمام سخط الشعب بجميع طبقاته بزعامة الوفد وقيادة مصطفى النحاس وصحافته الوفدية الوطنية وخلفتها وزارة أخرى برئاسة عدلى باشـا اجرت انتخابات أسفرت عن أغلبية ساحقة وفدية وتولت الحكم وزارة وفدية برئاسة مصطفى النحاس لم تمكث هى الاخرى فى الحكم أكثر من خمسة شهور وثمانيـة عشر يوما ــ وقد فتحت وزارة محمـد محمـود بابا من أبواب الشر على الديمقراطية ظلت مصر تعانى منه طوال العهـد الملكى وأصبحت وزارات الأقلية هى رأس الحربة الموجهة الى وزارات الاكثرية الممثلة للشعب أصدق تمثيل ــ وخلفت وزارة مصطفى النحاس ــ وزارة اسماعيل صدقى • أحد الخارجين على اجماع الامة منذ زعامة سعد زغلول باشا ــ فقوبل تعيينه من الشعب بوجوم كبير • فأقدم فى جرأة منقطعة النظير على حل البرلمان والغاء دستور ٢٣ ووضع دستور جديد سنة ٣٠ ــ ضيق فيه من الحريات ، ووسع فيه من اختصاصات الملك على حساب الشعب ، وكون لنفسه حزبا أسماه حزب الشعب ، وأجرى انتخابات مزيفة قاطعها الشعب ومع ذلك أعلن ان حزبه حصل فيها على نسبة مئوية $٦٧\frac{٧}{٨}$٪ وصادر العديد من الصحف وعطلها وألغى رخص الكثير منها وزج بالكثير من الكتاب المناضلين أمثال الكاتب الكبير توفيق دياب والكاتب العملاق عباس محمود العقـاد وغيرهم فى السـجون والمعتقلات ولفق التهم للابرياء من الشرفاء واستشهد الكثير من الطلبة والعمال برصاص رجال الشرطة فى المظاهرات التى خرجت تطالب باستقالة

الوزارة والغاء دستور سنة ١٩٣٠ وعودة دستور سنة ١٩٢٣ وشهدت البلاد فى عهده أزمة اقتصادية ليس لها مثيل ودبر الكثير من المؤامرات لاغتيال الزعيم مصطفى النحاس وكبار السياسيين ولم تهدأ البلاد الا بعد تقديم استقالته أمام اصرار الشعب بعد حكم دام ثلاث سنوات وثلاث أشهر وسبعة أيام .

ومضى الحال فى تشكيل الوزارات فى مصر على هذا المنوال اعتداءات متكررة من جانب الملك على الدستور مستعينا فيها بأحزاب الاقلية التى خرجت على اجماع الامة دون وازع من ضمير أو خشية من الله العلى القدير باعت نفسها بيع الرقيق فى سوق العبيد ، ولو ان الملك نزل على حكم الدستور كما يقضى بأن حكم الشعب للشعب « ما حكم الشعب الا زعيم الشعب » وبعد ان يقول الشعب كلمته فى انتخابات نزيهة حرة لا اكراه فيها ولا تزوير ...

حقا ان الدستور ينص على ذلك — ولكن فى هذا حدا من سلطة الملك بلا جدال . واضاعة للفرص أمام أحزاب الاقلية التى لا سند لها فى حكم الشعب الا ارادة الملك دون ارادة الشعب كما أن الانجليز يرون فى صراحة مصطفى النحاس وشجاعته وتمسكه بحقوق وطنه ومواطنيه ووحدة وادى النيل (مصره وسودانه) وانه لا يعرف المساومة ولا المهادنة أمرا يسبب لهم الكثير من المتاعب .. كما ان شغل مصطفى النحاس الشاغل كان قضايا الوطن — الدستور — الحريات — تحقيق العدل بين الناس — اقامة أسس العدالة الاجتماعية بين المواطنين — سيادة القانون — الكل أمام القانون سواء — الأمن والامان للمحكومين قبل الحكام ، لا تغره زخرف الحياة أو زهوة الحكام .. أو نعيم السلطة . ولذلك كان مصطفى النحاس فى نظرهم شخص يصعب التفاهم معه بسبب استقامته وصراحته التى اشتهر بها طوال حياته ... ويقول كيلرن المندوب السامى البريطانى فى مصر فى مذكراته الشخصية عن مصطفى النحاس « اننى أمام خصم حقيقى » « انه رجل ضئيل الجسم . سريع الخطى . يبرز صدره الى الامام كأنه

يتحدى العالم » وتحذره وزارة الخارجية فى احدى برقياتها بعد تعيينه بمصر مندوبا ساميا لها فتقول :

« خذ حذرك من مصطفى النحاس » •

ويقول دافيد كيلى — مستشار دار المندوب السامى البريطانى :

« انه رجل بسيط — لكن بساطته معقدة — تشبه بساطة الثعلب الماكر » •

ومن خلال المصالح المتبادلة بين الملك ومن يدورون فى فلكه من جانب وبين مصطفى النحاس زعيم الشعب من جانب آخر يمضى الصراع بين الطرفين فى تشكيل الوزارات والاعتداءات المتكررة على الدستور منذ حصلت مصر على دستورها سنة ١٩٢٣ منذ وزارة محمد محمود باشا الاولى سنة ١٩٢٨ ولكن حاشا لله أن يكون مصطفى النحاس من هؤلاء الذين غدروا بمصرهم وباعوا اخرتهم بدنياهم وفرطوا فى حقوق وطنهم ومواطنيهم من أجل سلطان زائل ، **وليتكم سمعتموه وهو يقول فى قوة وايمان منقطع النظير فى احدى خطبه : « اننى لن أعبد مخلوقا مثلى ، مهما كان ذو هيل وهيلمان ، وصاحب سلطة وسلطان ، الا فليعلم الطاغية الفاجر ، انه ما من كبير ، الا والله من فوقه آكبر »** ويمضى مصطفى النحاس فى طريقه حتى آخر يوم فى حياته ، على رأس مواطنيه مدافعا عن دستورهم ، زائدا عن حرياتهم ، صائنا لكراماتهم •

ولولا الوفد ومصطفى النحاس ما كانت مصر وتاريخها ونضالها ودستورها وحياتها •••

ولولا الوفد ومصطفى النحاس ما كان برلمانها وأحزابها وصحافتها وقوانينها ومؤتمراتها •••

ولولا الوفد ومصطفى النحاس لخلت الساحة أمام الملك وأحزاب الاقلية يحكمون ويتحكمون •••

ولولا الوفد ومصطفى النحاس لحكمت مصر حكما شموليا دكتاتوريا

ولولا الوفد ومصطفى النحاس لما قدر لصوت أن يرتفع فوق صوت السادة الحكام ...

ان الوفد — بزعامة مصطفى النحاس — بعد وفاة سعد الذى ملأ أسماع العالم بنضاله وبهر الدنيا بجماهيريته وصلابة زعامته وقوة تمسك زعيمه بحقوق وطنه ومواطنيه لم يحكم مصر خلال ربع (١/٤) قرن من الزمان الا سبع سنوات وشهرين وسبعة أيام فقط بعد صراع دموى مع الملك وأحزاب الاقلية وسلطات الاحتلال سقط فى ميدان الجهاد الكثير من الشهداء والعديد من الجرحى وقاموس التضحيات خير شاهد على ذلك ... سنوات قصار ... ولكنها سنوات الفخار ، سنوات السخاء والرخاء ، سنوات الامن والامان ، سنوات الحرية فى كل مكان ، سنوات من أجمل أيام عمر الشعب يذكرها على مدى الايام والاعوام — وما أسرع من الايام الحلوة ... هذا بينما أحزاب الاقلية حكمت مصر فى يسر وسهولة ودون أدنى عناء وبرضاء القصر الكامل وسلطات الاحتلال حكمت وتحكمت سبعة عشر عاما وثمانية أشـــهر ويومين عجافا حكما مطلقا عطل فيهـــا الدستور وغابت فى ظلها الحريات وكثرت الاعتقالات والمؤامرات وانتشرت خلالها الاغتيالات وصودرت فيها الصحف وعطلت وحطمت فيها الاقلام وعاشت فيها مصر فى سجن كبير .. هذا بالاضافة الى أن جميع وزارات الوفـــد خرجت من الحـــكم بطريق (الاقالة) أى (الطـــرد) وليست (الاستقالة) عدا وزارة واحدة على التفصيل المبين بعد ، كما ان الملك لم يترك الفرصة لبقاء الوزارة فى الحكم أكثر من أشهر قليلة حتى لا تتمكن من انجاز حجم كبير من الاعمال النافعة للشعب :

		يوم	شهر	سنة		
الوزارة الأولى	١٦/٣/١٩٢٨ — ٢٥/٦/٢٨	٩	٣		—	اقـــالة

الوزارة	من		إلى	يوم	شهر	سنة	
الوزارة الثانية	١/١/١٩٣٠	—	١٩/٦/٣٠	١٨	٥	—	استقالة
الوزارة الثالثة	٩/٥/١٩٣٦	—	٣٠/١٢/٣٧	٢١	٧	١	اقالة
الوزارة الرابعة	٤/٢/١٩٤٢	—	٨/١٠/٤٤	٤	٨	٢	اقالة
الوزارة الخامسة	١٢/١/١٩٥٠	—	٢٧/١/٥٢	١٥	—	٢	اقالة

« عدد الوزارات التى حكمت مصر منذ سنة ١٩٢٤ حتى سنة ١٩٥٢ ٥٠ وزارة شكل الوفد منها ٥ وزارات فقط » •

معارك النحاس مع الملك
من أجل الدستور

كانت المعارك بين النحاس والملك من أجل الدستور شرسة وضارية •• منذ تولى زعامة الوفد حتى آخر يوم فى حياته •

كان النحاس من جانبه يعمل للحد من نفوذ القصر وتقليم أظافر الملك الذى تحالف مع أحزاب الاقلية والتيارات المتعصبة والفاشستيه والاحتلال البريطانى للحد من سلطان الدستور • وقد أجمعوا أمرهم بليل واعلنوها حربا سافرة على الوفد وعلى مصطفى النحاس واستعملوا فيها جميع الاسلحة المشروعة وغير المشروعة ، الشريفة وغير الشريفة دون خشية من اله ، أو واعز من ضمير ، حاربوه فى شرفه فى سمعته فى كرامته فى ذمته فى أمانته فى استقطاب بعض نفر من أعضاء الوفد للخروج عليه فى الاعتداء على حياته أكثر من مرة ومع ذلك لم تلن قناته ، ولم تضعف عزيمته ، ومصطفى فى طريقه ، حتى آخر يوم فى حياته ، رافع الرأس ، موفور الكرامة ••

بعض أمثلة من مواقفه الدستورية

النحاس يقــول

١ — (ليس للملك حق اقالة الوزارة)

سنة ١٩٢٨

ذهب محمد توفيق نسيم باشا — رئيس الديوان الملكى — الى رئاسة الوزارة — لمقابلة حضرة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا — رئيس الوزراء يوم ١٩٢٨/٦/٢٤ وكانت العلاقة قد ساءت بين النحاس باشا والملك (أحمد فؤاد الأول) فادرك النحاس باشا سر هذه الزيارة •

فقال النحاس باشا — لتوفيق نسيم باشا :

« اسمع ••• اذا كنت جاى تطلب منى ان اقدم استقالتى •• فلا •• لن أستقيل لاننى متمتع بثقة الامة •• ولن أعبث بهذه الثقة •• واذا كنت جاى تخبرنى بأن الملك حايقلنى أنا انصحك تبلغ الملك الا يلجأ الى استعمال هذا الاسلوب معى لان هذا عبث بالدستور وأنا موجود ••• ويجب عليه الا يباعد بينه وبين الامة » فاضطرب توفيق نسيم باشا ولم يعرف كيف يجيب وانتهت المقابلة بعد أن تناول قدحا من القهوة •

وفى اليوم التالى (١٩٢٨/٦/٢٥) (اقال الملك فؤاد وزارة النحاس من الحكم) رغم تحذير النحاس باشا للملك بعدم استعمال حقه فى الاقالة •

٢ ——— قانون محاكمة الوزراء ———

صيانة للدستور من العبث والانقلابات والحفاظ على أموال الدولة العامة من العبث بها فقد تقدم مصطفى النحاس باشا سنة ١٩٣٠ أثناء رئاســته للوزارة الثانية بمشروع قانون يقضى بمحاكمة الوزراء الذين

يقدمون على قلب دستور الدولة أو حذف حكم من أحكامه أو تعديله بغير الطريقة التى رسمها الدستور أو مخالفة حكم من أحـكامه الجوهرية (كما فعل محمد محمود باشا واسماعيل صدقى باشا) ومحاكمة كل وزير يبدد أموال الدولة العامة • وحددت العقوبة بهذا القانون الاشغال الشاقة المؤبدة أو المؤقتة والغرامة التى تتراوح بين ١٠٠٠ جنيه ولا تزيد على ١٠٠٠٠ جنيه فلما عرض مشروع القانون على السراى رفض الملك فؤاد توقيعه لعرضه على البرلمان ــ لمـا سيترتب عليه من شل يد الملك والانجليز فى تعيين وزراء عن طريقهم يتم تنفيذ ما يريدون مخالفا لاحكام الدستور وقوانين البلاد ••• وهنا ــ اتفقت كلمة السراى والانجليز ــ على عدم اصدار قانون محاكمة الوزراء ــ فقدم مصطفى النحاس كتاب استقالة وزارته ــ الآتى نصه :

أتشرف بأن أرفع الى سيادتكم العلية استقالتى وزملائى من الوزارة نظرا لعدم تمكننا من تنفيذ برنامجنا الذى قطعنا على أنفسنا العهـد بتنفيذه راجيا ان تتفضلوا بقبولها •••

مصطفى النحاس

وطبعا قبلها على الفور •••

٣ ـــــــ تعيين موظفى القصر ـــــــ

وقد بلغت ذروة تمسك مصطفى النحاس بحقه الدستورى انه اعترض على الملك فاروق ســنة ١٩٣٧ فى تعيين مهندس كهربائى بالقصر دون استئذان الوزارة قائلا : **ان هذا التعيين أمر لا يملكه الملك انما هو حق الوزارة دون سواها كما يقضى بذلك الدســتور •••**

٤ ــ الغاء منصب القائد الاعلى للقوات المسلحة سنة ١٩٣٧

لقد أصدر مصطفى النحاس فى وزارته الثالثة سنة ١٩٣٧ القانون ٧٢ الذى يقضى بانشاء مجلس الدفاع الاعلى ويرأسه رئيس مجلس الوزراء

وينص على الغاء القائد الاعلى للقوات المسلحة الذى كان يشغله الملك فؤاد
وبهذا القانون جرد مصطفى النحاس — الملك فاروق من كل سلطاته الاشرافية على الجيش ...

٥ ــــ تنصيب الملك ــــ

كان قد تم الاتفاق سرا بين الامير محمد على الوصى على عرش مصر والشيخ مصطفى المراغى شيخ الجامع الازهر وقتذاك على اقامة حفل دينى يتولى الملك (فاروق) بمقتضاه سلطته الدستورية بعد انتهاء فترة الوصاية الامر الذى لم يسبق له مثيل فى حكم مصر . وكان القصد من ذلك أن يبدو الملك فى صورة المسلح بسلاح الدين — فاعترض النحاس (رئيس الوزراء) بعد اكتشافه لهذا المخطط وقال النحاس فى خطاب له فى مجلس النواب :

« ان هذا اقحام للدين فيما ليس من شئونه ... والاسلام لا يعرف سلطة روحية ، وليس بعد الرسل وساطة بين الله وعباده ، وليس أحرص منى ، ولا من الحكومة التى أتشرف برئاستها على احترام الاسلام ، وتنزيهه ، كما انه ليس أحرص منى على الالتزام بأحكام الدستور ، ولكن الاحتفال بمباشرة جلالة الملك لسلطته الدستورية شىء آخر فهو مجال وطنى يجب أن يتبارى فيه سائر المصريين مسلمين وغير مسلمين » .

٦ — تمسك النحاس بحق الوزارة فى تعيين أعضاء مجلس الشيوخ

— دون الملك —

كان الدستور المصرى الصادر فى ١٩/٤/١٩٢٣ يقضى بان يكون ٢/٥ أعضاء مجلس الشيوخ بالتعيين ، ٣/٥ بالانتخاب المباشر وكان الوفد برئاسة سعد ومن بعده مصطفى النحاس يرى أن حق الوزارة قائم فى

تعيين أعضاء مجلس الشيوخ فى حدود النسبة المقررة فى الدستور بينما كان الملك فؤاد ومن بعده ابنه الملك فاروق يرى عكس ذلك « أى ان حق الملك قائم فى اختيار الشيوخ وتعيينهم » الامر الذى يرى فيه الوفد تدخلا من الملك فى أعمال الوزارة •• خصوصا بعد أن انعقد النصر لسعد زغلول فى هذا الامر أيام الملك فؤاد الا ان الامر قد ظل محل نزاع مع مصطفى النحاس طوال زعامته مما كان سببا من الاسباب التى دعته الى تقديم استقالة وزارته سنة ١٩٣٠ وظل محل نزاع فى الوزارتين الرابعة والخامسة دون أن يجد طريقا للحل الا طريق « الاقالة » •

٧ — الاعتراض على تعيين الدكتور طه حسين وزيرا للمعارف سنة ١٩٥٠

اعترض الملك فاروق على تعيين الدكتور طه حسين وزيرا للمعارف العمومية (التربية والتعليم) حاليا بدعوى أفكاره اليسارية — ولكن ازاء تمسك النحاس باشا به استنادا الى أن تعيين الوزراء من حق رئيس الوزراء وحده دون أحد سواه وليس لأحد حق الاعتراض اضطر الملك أخيرا الى الموافقة على تعيين الدكتور طه حسين باعتبار النحاس باشا صاحب الاغلبية ورئيس الوزراء •

٨ — مطالبة الملك بتعيين اللواء محمد حيدر باشا وزيرا للحربيـــة سنة ١٩٥٠ فى وزارة الوفـــد الأخـــيرة

طالب الملك بأن يكون اللواء محمد حيدر باشا وزيرا للحربية فى وزارة الوفد الاخيرة سنة ١٩٥٠ فرفض النحاس باشا طلب الملك قائلا — ان وزراء الوفد لابد أن يكونوا جميعهم من الوفديين — وان اختيارهم يرجع فيه الى الوفد ورئيسه لا لأحد غيرهم ووزير الحربية الوفدى هو مصطفى نصرت باشا ولا أحد سواه وقد كان وهكذا انتصر مصطفى النحاس على الملك

ورفض طلب الملك لان هذا ليس من حقه بل هو حق صاحب الاغلبية كما يقضى بذلك الدستور ٠

٩ ــ الانعــام برتبة الباشوية على « الوزير عبد المجيد عبد الحق »

كان جميع الوزراء فى وزارة النحاس الاخيرة جميعهم يحملون رتبة الباشوية ــ عدا الوزير عبد المجيد عبد الحق ــ وعلى مائدة الملك فاروق بقصر عابدين التى أقامها فى ١٩٥١/٩/٢٤ بمناسبة عودة الوزارة من مصيفها بالاسكندرية وبينما الزعيم مصطفى النحاس واقفا على يمين الملك ٠٠٠

قال النحاس بصــوت عال :

يا مولاى ٠٠٠ ان عبد المجيد بك عبد الحق ٠٠٠ هو الوزير الوحيد فى الوزارة الذى لا يحمل رتبة الباشوية ٠

فقال الملك ٠٠٠ أظن ان الوقت غير مناسب الآن ٠

فرد النحاس معقبا ٠٠ قرب ٠٠ يا عبد المجيد بك ٠٠ اشكر الملك على الانعام عليك برتبة الباشوية ٠

فقال الملك وقد تجهم وجهه ٠٠٠ انا ما قلتش حاجة ٠

فرد النحاس ٠٠ انا لسانك يا مولاى ٠٠٠ قرب يا عبد المجيد ٠٠٠ نفذ ما أمرتك به ٠٠ فاقترب عبد المجيد باشا عبد الحق من الملك مصافحا ٠٠ وشــاكرا ٠

وهكذا تم الانعام على عبد المجيد عبد الحق برتبة الباشوية ٠

ويقول الاستاذ فؤاد سراج الدين وزير الداخلية وقتئذ ــ لقــد اتصلت فور العودة الى منزلى بالاستاذ أحمد أبو الفتح رئيس تحرير

جريدة المصرى وطلبت منه الاتصال بى فور وصول بيان كبير الامنـاء الصادر اليوم من السراى وقراءته على تليفونيا قبل نشره ••• وكان الغرض من ذلك التأكد من تضمنه الانعام برتبة الباشوية على زميلنا عبد المجيد عبد الحق من عدمه فاذا خلى البيان أوقفنا نشره حتى يتخذ النحاس باشا كل الاجراءات الموصلة لتنفيذ ما أراد استنادا الى حقه الدستورى فى منحه الالقاب والرتب والنياشين ولكن الامور مضت على ما يرام ولله الحمد ، وجاء البيان متضمنا الانعام المطلوب •

هذه بعض أمثـلة من مواقف مصطفى النحاس الخالدة — مواقف التمسك بالدستور نصا وروحا — لم يسبق لأحد قبله وبعده التمسك بها اللهم الا سعد زغلول زعيمه وقائده وملهمه ولقد كان مصطفى النحاس ينادى بالملكية الدستورية المجردة من كل سلطة سياسية تطبيقا للنظرية السياسية (الملك يملك ولا يحكم) أى يملك ولكن يحكم بواسطة وزرائه الذين ينتخبهم الشعب انتخابا حرا نزيها دون زيف أو اكراه •

شخصية النحاس وشخصية الملك

١ — « فصل أحمد نجيب الهلالى باشا من الوفد » :

فى قصر القبة ، وفى ١٩٥١/١١/١٥ — أقام الملك فاروق ، مأدبة غذاء للوزارة النحاسية الاخيرة — وكان ذلك فى أعقاب القرار الذى أصدره الوفد بفصل أحمد نجيب الهلالى باشا من عضويته — وبينما الملك والوزراء وكبار رجال الدولة والحاشية يتناولون غذاءهم اذا بالملك يوجه حديثه « للنحاس باشا » قائلا :

قال الملك ضاحكا « الوفد كش يا رفعة الباشا » وهو يعنى قرار فصل الهلالى باشا من الوفد ••• فرد النحاس باشا على الملك غاضبا ضاربا بقبضة يده المائدة ضربة قوية اهتزت لها كل الاوانى التى عليها قائلا : « الوفد ما كششى ••• دا الوفد تطهر من القذارة » ثم كررها أكثر من مرة •

وعلى أثرها ساد الجو صمت رهيب ووجوم من الجميع قطعه الملك قائلا : « اننى أقول هذا يا رفعة الباشا من قبيل المداعبة » ••• فرد عليه النحاس باشا جادا غاضبا « لا الحاجات دى مافيهاش هزار » •

٢ ـــ الملك ـــ يبكى من النحاس :

يقول دافيد كيلى البريطانى ـــ فى مذكراته « لقد أسر لى صديقى أحمد حسنين باشا يوما ما ان الملك فاروق كان يبكى من الاهانة حينما كان يلمس فى الصحف اهتماما بالنحاس أكثر من الاهتمام بشخص الملك » •

٣ ـــ الملك ـــ والراقصة ثريا سالم :

بينما كان الملك فاروق فى مصيفه بفرنسا سنة ١٩٥١ (دوفيل) طلب الملك من النحاس باشا ووزير داخليته فؤاد سراج الدين التصريح للراقصة ثريا سالم بالسفر الى دوفيل (فرنسا) فلم يجب الى طلبه • فهل كان أحد غير مصطفى النحاس ووزير داخليته يستطيع أن يرفض طلبا للملك •

٤ ـــ النحاس يتهم الملك بنسف منزله بجاردن سيتى :

فشلت محاولة الاعتداء على حياة النحاس سنة ١٩٤٨ بنسف منزله بالديناميت بجاردن سيتى فما هى الا لحظات حتى علمت الدنيا بهذا الخبر المفزع فأسرعت الجماهير الغفيرة من كل مكان للاطمئنان على حياة الزعيم وفى وسط هذا الحشد الكبير الذى جاء للاطمئنان على حياة الزعيم وقف فيهم مصطفى النحـــاس قائلا بأعلى صـــوته « انى أتهم الملك فاروق شخصيا » •

٥ ـــ عودة النحاس باشا من مصيفه بالاسكندرية سنة ١٩٤٦ :

هرعت جموع الشعب لاستقبال الزعيم بمحطة مصر عند عودته من مصيفه بالاسكندرية سنة ١٩٤٦ وسار موكب الزعيم فى رتل من عديد

السيارات مخترقا شارع الملك (رمسيس الآن) وجميع الشوارع المؤدية الى منزله بجاردن سيتى وقد تصادف مرور موكب الملك فى هذه اللحظات التى اضطر رجال المرور أن يمنعوا السير فى هـذه الطرق وأبى الزعيم وموكبه الا أن يمضى فى طريقه دون توقف مما اضطر رجال المرور الى الاذعان أمام اصرار الزعيم ورجاله للمضى فى طريقهم والتقى موكب الزعيم وموكب الملك فى ميدان الاسماعيلية (التحرير حاليا) ولقد علق الزعيم على هذا الحدث أثر وصوله قائلا فى جموع مستقبليه « وها أنتم الآن قد رأيتم عندما التقى الجمعان جمع يحيط به الرحمن وجمع يحيط به الشيطان فانعقد النصر لجمع الرحمن » •

٥ ـ أمين خزينـة الملك :

كان جهلان ـ أمين خزينة الملك ـ أحد المتهمين فى قضية الاسلحة الفاسدة فأصدر النائب العام أمرا بالقبض عليه للتحقيق معه فيما هو منسوب اليه •• وكان فى صحبة الملك فاروق فى رحلة خارج البلاد فى صيف سنة ١٩٥٠ ولما عاد المتهم اعتصم بقصر عابدين ظنا منه أن القصر سيحميه من الاجراءات القانونية التى اتخذت ضده فلما علمت الوزارة بالامـر (النحاس باشا ووزير داخليته فؤاد سراج الدين) تم الاتصال بحسن باشا يوسف وكيل الديوان الملكى وطلبوا منه التنبيه على جهلان بمغادرة القصر فورا وتسليم نفسه امتثالا للقانون • فلن يوجد انسان على أرض مصر فوق المساءلة حتى ولو كان فى خدمة الملك واضطر جهلان صاغرا الى تسليم نفسه لسلطات التحقيق ـ وتم التحقيق معه شأنه شأن باقى المصريين الخاضعين لسلطان القانون •

الملكة نازلى تنتصر على الملك فاروق بمسـاندة الزعيم

كانت الملكة نازلى (والدة الملك فاروق) فى رحلة الى القدس أثناء حكم وزارة الوفد الرابعة ٤/٢/٤٢ ـ ٨/١٠/١٩٤٤ ـ وكانت قد أتت من التصرفات والافعال ما يندى له الجبين وما لا يتفق ومكانتها مما أساء اليها

والى ابنها والى أسرتها بل والى مصر وشعب مصر الامر الذى آثار عليها سخطا عارما على الالسنة وعلى صفحات الجرائد المصرية والعربية والاجنبية وعبثا حاول ابنها الفاروق اقناعها بالعودة الى مصر واضطر آخر الامر أن يلجأ الى النحاس باشا طالبا مساعدته فى اقناع الملكة الام بالعودة الى مصر لانه يعلم علم اليقين انها لن تستجيب الا لنداء رفعته لما تكن له من احترام وود وتقدير كبير لموقفه من الامير محمد على (الوصى السابق على عرش مصر) لعدم موافقته (أى عدم موافقة مصطفى النحاس فى وزارته السابقة على مد فترة الوصاية حتى بلوغ الملك سن ٢١ سنة) •

وسافر الزعيم وحرمه (السيدة زينب الوكيل) الى القدس وتم اللقاء بين الزعيم وحرمه والملكة نازلى واستطاع الزعيم ان يحصل على موافقة الملكة الام بالعودة الى مصر مشترطة ان يكون الملك فى استقبالها على محطة الوصول — فوعدها النحاس باشا بتحقيق ذلك قائلا :

« سيكون ذلك دون طلب منك — انه ابنك — ومحال ان يكون له موقف غير ذلك » •••

قالت الملكة : « أنا عارفاه لن يوافق » •

فرد النحاس قائلا : « اذا لم يوافق فسأتصل بك وستكونين فى حل من وعدك لى بالعودة » •

وتم الاتفاق على ذلك •••

عاد الزعيم وحرمه الى مصر وتم لقاء الزعيم والملك ونقل اليه صورة ما تم الاتفاق عليه مع الملكة فلم يكن من الملك الا أن أعلن رفضه بشدة لطلب الملكة (أن يكون فى استقبالها) وعبثا حاول الزعيم اقناع الملك بتنفيذ رغبة والدته ولما أعيته الحيل قال له فى صوت جهورى « ألم تقرأ قول رسول الله صلى الله عليه وسلم = الجنة تحت أقدام الامهات = » الا أن الملك أصر على الرفض مما اضطر النحاس باشا أن يقول له غاضبا :

« أنا سأتصل بها لتكون فى حل من وعدها لى بالعودة » •

هنا •• وهنا فقط •• اسقط فى يد الملك •• وعلى الفور أعلن موافقته وانتصرت الملكة الام على ولدها بمساندة الزعيم العارف بربه المقتدى برسوله وتحقق للملكة ما أرادته فاستقبلت استقبالا رسميا وكان ابنها (الملك فاروق) فى مقدمة كبار مستقبليها من رجال حاشيته والوزراء والشخصيات •

اعلان الحـــرب على الزعيم

كان اختيار مصطفى النحاس رئيسا للوفد ، وخليفة لسعد ، أكبر ضربة موجهة للملك ، ولسلطة الاحتلال ، لمـــا عرف عن النحاس من صلابة فى الحق ، وتمسك بحقوق مصر ، فراح الملك ورجاله ، وسلطة الاحتلال وأعوانها ، يفكرون جديا فى اعلان حرب شريرة عليه ، قاصدين من ورائها انصراف الشعب عنه ، والقضاء على الوفد ، تلك الصخرة التى تحطمت عليها كل القوى المناهضة التى حاولت الخروج على سعد ، ولجئوا فى سبيل ذلك الى استعمال كل الاساليب الرخيصة والاسلحة الدنيئة ، التى توصلهم الى غاياتهم وأغراضهم الغير شريفة •

١ ـــ قضـــية سيف الدين :

الحق ان مصطفى النحاس لم يتخذ المحاماه مصدرا للكسب بل جعل منها مهنة شريفة ولم يجعل منها مصدرا للكسب ومع ذلك حاربه خصومه من خلالها ، حربا وضيعة ، فادعوا استغلالها ، فى غير شرف ، وطالبوا باحالته الى مجلس تأديب فى يونيو سنة ١٩٢٨ بعد ان اسندت رئاسة الوفد اليه وذلك بسبب توليه الدفاع فى قضية الامير سيف الدين ••

وتفاصيل القضية •• ان الامير أحمد سيف الدين (**شقيق شويكار زوجة الأمير أحمد فؤاد ـــ قبل أن يصبح ملكا ـــ وقبل زواجه من الملكة نازلى**) كان على خلاف مع الامير أحمد فؤاد قبل أن يتولى الملك •

هذا الخلاف حول مشاكل مالية أسفر عن منازعة بينهما . انفعل على أثرها الامير سيف الدين فأطلق مسدسه على الامير أحمد فؤاد فأصابه فى رقبته وعاش متأثرا بجرحه طوال حياته واسدل الستار على الحادث بالقول زورا ان الامير سيف الدين مجنون وأرسل الى مستشفى الامراض العقلية بلندن اتقــاء للفضائح لانه لو قدم الى محــكمة الجنايات فان الامير سيف الدين سيقول للمحكمة الاسباب الحقيقية (وهى أن الامير أحمد فؤاد نهب أمواله ولان سيف الدين هو أخ شويكار التى كانت زوجة للامير أحمد فؤاد (قبل أن يتزوج نازلى) ... وسيق الامير سيف الى لندن والحق بمستشفى الامراض العقلية حتى نجحت والدته نجوان هانم فى تهريبه الى اسطنبول وكانت تصرف له نفقة ضئيلة لا تكفى بان يعيش على مستوى لائق ... فرأت أن ترفع دعوى فى مجلس البلاط المختص بشئون الامراء تطلب على وجه الاستعجال صرف نفقة كبيرة تكفى لاعاشته.. لانه كان واسع الثروة ويمتلك آلاف الافدنة .. وثانيا تطلب رفع الحجر المفروض عليه ..) فلم تجد فى مصر محاميا يجرؤ على رفع هذه القضية فى وجه الملك فؤاد غير مصطفى النحاس — وكان ذلك سنة ١٩٢٧ .. وكان وكيلا لمجلس النواب وكان يعمل محاميا ... وحضر من تركيا رجل يدعى (محمــود شوكت) وكيل نجوان هانم ... والدة الامير سيف الدين ... وقال للنحاس باشا « ان اختيارنا وقع عليك لتتولى انقاذ سيف الدين ووالدته من هذا البلاء بان تتقدم برفع دعوى أمام مجلس البلاط . لتنقذ الموقف .. لان الرجل سيموت جوعا » .

فقبل النحاس القضية بدون أتعاب مقدما .. اكتفاء بالتزامهم بأن يدفعوا مبلغ خمسة عشر ألف جنيه اذا نجح فى الدعوى واستلم سيف الدين ممتلكاته ...

اتهمت صحف محمد محمود باشا ... (النحاس باشا ... انه يتاجر بالمهنة ... ويعبث بتقاليد المحاماه ... اذ لا يجوز له أن يتفق على أتعاب مؤخــرا) .

احيل النحاس باشا على مجلس تأديب •• برئاسة حسين باشا درويش •• الذى أصدر حكمه فى فبراير سنة ١٩٢٩ •• ويقضى ببراءة مصطفى النحاس وزملائه مما نسب اليهم وجاء فى أسباب الحكم **« ان هذا الرجل كان ينبغى أن يشكر ويحمد على صنيعه وبره بهذه المسكينة ، التى لم تكن لديها مال توكل به محاميا كبيرا يستطيع أن يدافع عن ولدها المظلوم فاذا عمل خيرا يقال انه أفسد المحاماه وخرج على تقاليدها ان هذا تقليد ينبغى أن يتبعه المحامون وتسجله النقابة »** •

« ان هؤلاء الخصوم غير الشرفاء الذين اصطنعوا تلك الدسائس الرخيصة لم يتورعوا عن الدس والسرقة والتزوير وشرائهم ذمم الشهود فى سبيل خصومتهم الاثيمة النكراء » •

لقد أرادوا بهذه القضية أن تكون وثيقة خزى وعار ضد مصطفى النحاس ولكن الله أراد أن تكون وثيقة شرف ونزاهة وبهذا طاش سهمهم وخاب فألهم وزادت الامة التفافا حول زعيمها •••

وبعد صدور الحكم ببراءته وجه الزعيم الى الامة هذا الخطاب :

بنى وطنى •••

لا أدرى أى يوميكم أحق بشكرى ، وأمتع بفكرى ، وأدلى بأن ينفس عن صدرى ، أيوم حزنكم لتشهيركم بالامة يوم اتهامكم خليفة سعد ؟ أم يوم فيه حكم باعلان البرآءة ؟ وهو حكم على خصوم الوفد ؟ وأنا فى كليهما خادم هذه الامة الكريمة المغمور بعطفها المرموق بحبها — ووالله لقد اكبرت حزنكم ، كما اكبرت فرحكم ، فلله دركم ، وهو القادر على أن يتولى عنى جزاءكم ، فلنتوجه جميعا بالشكر لأحكم الحاكمين ، الذى برأ حياتنا النيابية من كيد الكائدين ، وحفظها من رجوم الشياطين •

أيها المواطنون الاعزاء •••

لقد ناديتكم يوم الاتهام فما كذبتكم ، ووعدتكم فما أخلفتكم ، واليوم ها أنتم الاعلون بحمد الله ••• فاسجدوا لله واشكروا •••

مصطفى النحاس

محاربة الزعيم فى « حبه الأول »

أحب مصطفى النحاس ، كما يحب أكثر الناس ، لان له قلبا كبيرا ، وعاطفة أكبر ، كان فى الخمسين من عمره ، وكانت هى فى الثلاثين من عمرها ، لقد قضى زهرة شبابه فى الحركة الوطنية ، مع سعد زغلول •• فى المنفى •• فى سيشل •• فى حب مصر • ومن حقه أن يختار شريكة حياته ، ككل انسان ، سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا ولا تحويلا •••

يقول الكاتب الكبير مصطفى أمين فى قصته سنة أولى حب عن « حب مصطفى النحاس الأول » •••

السيدة سميحه شريف سيدة فاضلة من سيدات الاسكندرية تنتمى الى احدى الاسر العريقة كان مصطفى النحاس صديقا لاسرتها ، وكان محاميا عنها فى قضية ضد زوجها عبد السلام بك عباس أحد أثرياء الاسكندرية ووجهائها ، وكانت فوق مستوى الشبهات ، حسنة السير والسلوك ، رفضت العديد من الوجهاء الذين تقدموا لخطبتها بعد طلاقها وكان يبلغ سنها الحادية والثلاثين لا تخرج من بيتها الا نادرا لزيارة أقاربها وأشقائها ، أقام طليقها عبد السلام بك عباس محاميا عنه ابراهيم بك الهلباوى أكبر المحامين فى تلك الايام فاختارت هى النحاس باشا وكيلا عنها **لأنه أنزه محام فى البلاد** أعجبت ببساطته ، وصراحته ، وافتتنت باستقامته ، ورأت فيه صورة مختلفة تماما عن زوجها عبد السلام ، لا يعرف كيف يكذب ، ولا يذوق الخمر ، تقى ورع ، يؤدى الصلاة فى أوقاتها ، حتى وهو جالس معها ، فاذا حانت ساعة الصلاة تركها وتوضأ وأدى الصلاة ثم عاد اليها • لا يكف عن الكلام فى طيبة وبساطة وصراحة فأحبها وأحبته ، وأعجبها فيه أنه لم يستغل انها امرأة مطلقة ، عاملها كأنها فتاة عذراء ، وأحست انه يعانى من هذا الحرمان وهو الرجل الذى لم يتزوج ولكن حبهما بقى طوال هذه السنوات طاهرا مطهرا عفيفا شريفا •

تسأله عن أخباره فيرد عليها قائلا — صليت الجمعة الماضية فى جامع الحسين — خرج كل أهل الحى وهتفوا بحياتى — جاء البوليس — فضرب المتظاهرين بالعصى والنبابيت — هتفت الجماهير بسقوط اسماعيل صدقى وكلما أمعن البوليس فى عدوانه اشتدت الهتافات بسـقوط الوزارة ... البـلد بخـير .

أرأيت معى أيها القارىء ان شغل مصطفى النحاس الشاغل هو مصر ولا شىء غير مصر وها هو فى أسعد اللحظات مع من أحب وملكت عليـه مشاعره وأحاسيسه وقلبه ما فتىء يذكر مصر وشعب مصر وما يعانيه من حاكم مصر فلم يغضبها منه ذلك بل انها سعيدة لسعادته ومع ذلك حرموه منها . أستمرت العلاقة بينهما ثلاث سنوات على الطهر والشرف لا يراها الا ساعة واحدة من نهار يوم فى الاسبوع . علاقة شريفة نظيفة يدعو لها الشرفاء بالتوفيق على شريعة الله وسنة رسول الله . عدا أصحاب القلوب السوداء الذين راحوا بدافع من مرض قلوبهم وسواد أفئدتهم يدبرون أمرهم بليل للنيل من سمعة الزعيم وللحط من قدر زعامته فى شخص هذه السيدة النادرة والمطلقة الطاهرة من منطلق اننا شعب دينى بغريزته . فيندك صرح الوفد الشامخ الذى أقامه سعد الذى طاش سهم خصومه فى القضاء عليه أيام سعد ومن بعده فى خلافة مصطفى النحاس فتخلو الساحة لهم فيحكموا الامة ويتحكموا فيها ويسيموها الذل والهوان .

ولكن الله حامى الكنانة قيض له من بين رجالات الوفد من أفسد على هؤلاء المتآمرين مخططهم ، ورد كيدهم الى نحورهم ، ونصر الزعيم عليهم مخلفا وراءه قلبا محطما ، وجرحا داميا ، مضحيا بأطهر سيدة وأشرف امرأة وكشفت الايام أبعاد المؤامرة الدنيئة التى تجمعت حول هذه السيدة الطاهرة . ولكن فى سبيل مصر تهون التضحيات ، وترتفع الزعامات الحقة فوق الأحداث .

« تخفيض معاش مصطفى النحاس »

فكر اسماعيل صدقى باشا رئيس الوزراء طويلا فى صورة يضيفها الى صور الانتقام من مصطفى النحاس باشا فهداه تفكيره الى اصدار قرار بتخفيض معاشه الذى لا مورد له سواه ، وانه ينفقه على نفسه وعلى شقيقته وأولادها اليتامى وأقاربه الفقراء • ظن صدقى باشا انه بعمله هذا قد وجه ضربة فى الصميم الى مصطفى النحاس لانه رجل فقير وسوف تضطرب أحواله وتسوء أموره ، وبالتالى سوف تخف حركة المقاومة لحكومته ، أليس المال عصب الحياة ، سلاح رخيص ، بل سلاح خسيس ، وعمل يدل على الصغار ، وهل بمثل هذا تكون حرب الرجال • لقد أخطأ صدقى الفهم والتقدير ، حقا ان مصطفى النحاس رجل فقير ، لكنه مؤمن بالله العلى القدير ، فاذا سأل فلن يسأل الا الله ، واذا استعان فلن يستعين الا بالله ، محال أن يطأطىء الرأس لانسان ، مهما كان ، ذا سلطان ، أو هيل أو هيلمان ، وهذا ما كان ، امتنع مصطفى النحاس ، عن صرف المعاش بعد التخفيض ثم اسمع ماذا قال بعد صدور هذا القرار :

« لقد رفعت قضية على الحكومة وسوف أكسبها لأن فى مصر قضاة ولن أحنى رأسى أمام الطغاة ولو كانت المسألة مسألتى وحدى لعشت على الكفاف ولكنى مسئول عن أسرتى » ••

ثم لجأ مصطفى النحاس بعد ذلك الى بنك مصر طالبا قرضا معينا فما كان من طلعت حرب بك « رئيس مجلس ادارة البنك » الا أن أمر بصرف كل ما يطلبه مصطفى النحاس على ضمانته الشخصية •• حقا لقد كان طلعت حرب فى موقفه هذا بطلا ووطنيا جسورا لانه لم يقدر للملك ولا للحكومة حسابا •

قال أحد خصوم النحاس باشا الكبار من الانجليز العاملين بدار الحماية البريطانية : « ليس هذا عمل رجال — ولو أراد النحاس أن يكون

غنيا لتترك الحكم وهو أغنى الأغنياء لكنه لم يجمع ثروة كما جمع غيره بل خرج صفر اليدين — كما دخل وقرار الحكومة فى موضوع كهذا هو قرار مخجــل » ...

وأخيرا صدر حكم القضاء ... فكان النصر لمصطفى النحاس .. ورجع اليه حقه كاملا غير منقوص وصرف معاشه بالكامل عن المدة التى توقف عن صرفها ... حقا ان فى مصر قضاة ...

حاربوه فى زواجــه

رأينا كيف حاربه خصومه فى خسة ونذالة فى أخص خصائصه ، فى أحاسيسه ومشاعره ، فى حبه الاول دون وازع من ضمير ، أو خشية من الله العلى القدير ، ولم يشف صدورهم انهم حرموه ممن أحب ، وطعنوا سيدة من أشرف ما أنجبت مصر فى أطهر ما تعتز به ، وفرقوا بينها وبينه مخالفين ما أمر الله به ، بل راحوا ينالون من زوجة اختارها له رفيق جهاده وصديق عمره (مكرم عبيد باشا) دون أن يراها — سليلة احدى الاسر العريقة من ريف سمخراط بحيره (الانسة « زينب » ابنة عبد الواحد باشا الوكيل) وكان مصطفى النحاس يبلغ من العمر وقتذاك ٥٥ عاما بينما هى تبلغ ٢١ عاما فقط — وتم الزواج فى ١٠/٦/١٩٣٤ .

حاربوا هذه الفتاة الصغيرة التى لم ترتكب اثما ، الا أنها تزوجت زعيما ، تماما كما حاربوا غيرها ، شوهوا أعمال الخير التى راحت تقدمها لأبناء وطنها ، طعنوها فى ذمتها صوروها بصورة المتسلطة على الوزراء واستغلالها لمكانتها ، ورصدوا من حولها العيون لعد أنفاسها ، صبرت وصابرت وتحملت واحتملت ، من أجل الرجل الذى احتمل الكثير فى سبيل مصر وشعب مصر واستقلال مصر ودستور مصر وحرية مصر . انها ما أقدمت على الزواج منه الا لكى تكون سكنا له وساهرة على راحته وهو يخوض معارك شرسة مع المحتل والملك وأحزاب الأقلية . وما أحوجه ليــد حانية بعد هذه المعارك الطاحنة تزيل بعضا من هذه المتاعب . تزوجته من

أجل دلك ، تزوجته وهى تعلم ان عمر الزواج ولى فى الحفاح والنضال من أجل مصر .. تزوجت رجلا أضاع أجمل سنوات عمره فى سبيل مصر فهل يكون جزاؤه الضياع من بنات مصر .. تزوجته وفاء بوفاء ، تزوجته حبا بحب ، ففى سبيله يهون ما تلاقيه من تضحيات ، ومن طعنات وعند الله الجزاء أحسن الجزاء .

« قضية الوثائق المزورة »

وفى سنة ١٩٥١ وبعد مضى ٢٤ سنة على زعامـة مصطفى النحاس لازالت الحرب مستمرة على شخصه للنيل منه ومن كرامته ووطنيته .. اندفعت احدى الصحف الصفراء تقدم عدة وثائق الى الدكتور محمـد حسين هيكل باشا رئيس حزب الاحرار الدستوريين (أحد أحزاب الاقلية التى تدور فى فلك السراى) عبارة عن عدة خطابات ادعت انها متبادلة بين (مصطفى النحاس) رئيس الوفد المصرى وبين الاتحاد السوفيتى — فرفعها على الفور هيكل باشا الى « جلالة الملك فاروق » وراحت صحف أحزاب الاقلية تتبارى فى نشر هذه الوثائق هادفة بذلك التشهير بالوفد وبمصطفى النحاس ووزارة الوفد والنيل من وطنية مصطفى النحاس والوفد ... وانهم يعملون لحساب الشيوعية العالمية وكان النحاس يومئذ رئيسا لوزارته الاخيرة سنة ١٩٥٠ .

أحال الملك فاروق هذه الوثائق الى النحاس باشا تماما كما أحال الكتاب الاسود سنة ١٩٤٣ « وبمجرد اطلاع النحاس باشا عليها اكتشف أنها مزورة فأحالها على الفور الى فؤاد باشا وزير الداخلية لاحالتها فورا الى النائب العمومى الاستاذ عبد الرحيم غنيم لاجراء التحقيق فورا وقد اكتشف النائب العام تزويرها واعترف المزورون بجريمتهم وأحيلوا الى محكمة الجنح التى قضت على كل منهم بعقوبة الحبس مع الشغل لمدة ثلاث سـنوات » .

محاولات عديدة للتخلص من حياة الزعيم

بعد أن فشلت تلك المحاولات العديدة للنيل من شخص الزعيم . والقضاء على شعبيته ، واضعاف نفوذه ، وانتزاع حب الشعب له ، أو حمله على تخليه عن رئاسة الوفد واعتزال العمل السياسى ، لم يجد خصومه (الملك وأحزاب الاقلية) طريقا آخر أو أخيرا الا التخلص من حياة الزعيم — بالاعتداء عليه — ليخلو لهم الجو فيحكموا ويتحكموا ، ويبطشوا بأهل مصر ويتجبروا ، فى ظل حكم شمولى بعيدا عن مظـلة القانون وحماية الدستور ، انه ولا شك تفكير سقيم ، لا يفكر فيه الا القتلة والمجرمون . ووسيلة لا يلجأ اليها الا الفوضويون ، وقد بلغ مجموع هذه الاعتداءات ست نذكرها على التفصيل الاتى باءت جميعها بالفشل بالنسبة للزعيم وان كانت قد أودت بحياة كثير من المحيطين بالزعيم وصدق الله القائل فى محكم التنزيل « فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين » .

« صدق الله العظيم »

أولا — الاعتداء الاول :

وكان ذلك عام ١٩٣٠ — وفى عهد وزارة اسماعيل صدقى باشا وبينما الزعيم « مصطفى النحاس » فى زيارة سياسية للمنصورة عاصمة مديرية (محافظة) الدقهلية احدى قلاع الوفد الحصين يوم ١٩٣٠/٧/٨ على وجه التحديد سدد أحد جنود الشرطة الى صدر مصطفى النحاس ضربة سونكى مسمومة أبت وطنية المجاهد العظيم سينوت بك حنا عضو الوفد المصرى الا أن يفتدى مصطفى النحاس فتلقاها عنه فى ذراعه — ونجا الزعيم — ولم يبرأ سينوت بك من جراحه التى مات متأثرا بها ...

ثانيا — الاعتداء الثانى :

وكان ذلك عام ١٩٣٧ — وفيه أطلق (عز الدين عبد القادر) أحد شباب حزب مصر الفتاة الرصاص على سيارة الزعيم بمصر الجديدة — حينما كان

فى طريقه لحضور مؤتمر وطنى ببولاق مصر ــ وكان وقتها رئيسا للوزارة ــ فأخطأه الرصاص ــ ونجا الزعيم من هلاك محقق •

ثالثا ــ الاعتداء الثالث :

وكان ذلك عام ١٩٣٨ ــ وفيه لجأ المتآمرون الى وضع متفجرات فى موتور سيارة الزعيم ولكن يد الله كانت أسبق من يد المدبرين فاكتشف أمرها وتم انتزاعها ونجا الزعيم بفضل من ربه •

رابعا ــ الاعتداء الرابع :

وكان ذلك عام ١٩٤٥ ــ وفيه اهتدى المتآمرون الى طريقة جديدة للخلاص من حياة الزعيم فالقى أحد العسكريين من أعوان الملك قنبلة على سيارة الزعيم وهى تخترق شارع القصر العينى وهو فى طريقه الى النادى السعدى لحضور أحد الاجتماعات الكبيرة وشاءت ارادة الله أن تخطئه ولم يصب أحد من المحيطين به بسوء •

خامسا ــ الاعتداء الخامس :

وكان ذلك عام ١٩٤٨ وقد تم بصورة أعظم وأخطر من تلك الصور السابقة فقد تم وضع شحنة ناسفة من الديناميت فى أحدى السيارات وتركوها فى مفترق الطرق المواجهة لمنزل الزعيم بجاردن سيتى وكان لانفجارها دوى هائل أيقظ القاهرة والجيزة وقد دمرت واجهة المنزل واقتلعت أبوابه ونوافذه واخترقت قطعة ضخمة من الحديد نافذة حجرة نوم الزعيم وتعلقت بناموسية سريره وحال هذا النسيج الواهى بينها وبين الزعيم فلم يصب بسوء وصدق الله القائل فى محكم كتابه « قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا » وقد اعترف أحد العسكريين المشار اليه فى الاعتداء السابق باشتراكه فى هذه الجريمة النكراء ــ والاعتراف سيد الادلة •

سادسا ــ الاعتداء السادس :

وكان ذلك فى نوفمبر سنة ١٩٤٨ ــ وبينما الزعيم وفؤاد سراج الدين باشا سكرتير عام الوفد المصرى ــ يغادران السيارة التى كانت تقلهما أمام

باب منزل الزعيم بجاردن سيتى وبينما هما فى طريقهما الى داخل الدار انهال الرصاص عليهما من مدفع رشاش سريع الطلقات من احدى السيارات التى كانت تقل المجرمين الآثمين فافتدى الله الزعيم بثلاثة من حراسه الخصوصيين الذين يقومون على خدمته لقوا مصرعهم فى الحال وكتب الله للزعيم ولسراج الدين النجاة .

وانطلق المجرم الآثم بسيارته تاركا خلفه ضحاياه الذين تركوا من ورائهم أولادهم وذويهم .

اعتداءات كثيرة كان الملك ومن يدورون فى فلكه من عسكريين ومدنيين وراءها فى غير وازع من ضمير ، بغية التخلص من حياة هذا الزعيم ، الذى وهب حياته رخيصة لمصر وأبناء مصر ، متمسكا بحقها فى حياة حرة كريمة ، واستقلال صحيح غير مزيف ، عاملا بحق على أن تكون الامة مصدر السلطات وان الملك يملك ولا يحكم الا بواسطة وزرائه المسئولين أمام نواب الشعب الذين ينتخبهم الشعب بارادته الحرة التى لا زيف فيها ولا اكراه ولقد واجه الزعيم كل هذه التحديات والمؤامرات والشائعات والاهانات والاعتداءات فى احتمال ليس له مثيل وصبر جميل ، وتحمل ما لم يتحمله من قبل زعيم على مدى ربع قرن من الزمان وهو الاعزل من كل سلاح الا سلاح الايمان بالله والوطن ، تحمل ولم تسانده سلطة ولا قوة تقف خلفه اللهم الا شعب مغلوب على أمره ، لا يستطيع ابداء رأيه الا من خلال انتخابات حره أو اظهار شعوره الا اذا اطمأن الى حسن نوايا حكامه وانهم لا ينصبون شراكا له ، لكشف خصومهم للتنكيل بهم بشتى الوسائل التى يمتلكونها فى أيديهم .

لقد كان القصد من كل هذه الحملات الباغية الظالمة والاعتداءات الصارخة المتكرره الآثمة التخلص من مصطفى النحاس ، الحارس الامين على مصالح الشعب ، المتمسك بحقوق الشعب ، الذى لم يفرط قيد انملة فى حق من حقوقه طوال حياته ، سواء ما تعلق منها بالاستقلال ، أو فى حقه فى حياة حرة كريمة على أرضه ، لقد توهموا أنهم بهذه الضربات

المتواليات ، سيحطمون الزعيم ، وما علموا ان قوى الشر لو اجتمعت عليه لن تضره بشيء الا بشيء قد كتبه الله عليه ، لان ايمانه بالله لا حدود له — انهم يريدون أن تخلوا الساحة منه ليحكموا ويتحكموا ، ليحكموا حكما شموليا ، كهذا الحكم الذى عشناه أخيرا بعد عام ١٩٥٢ لا أحزاب ولا حرية ولا ديمقراطية وكلمة الحاكم هى العليا ولا معقب لاحد عليها والويل لمن يخالفها أو يعترض عليها ولكن مصطفى النحاس بايمانه وصلابته وقوة عزيمته مضى فى كفاحه ومضى الشعب معه وخلفه طول فترات كفاحه قلنا جميعا وبأعلى أصواتنا للحاكم المستبد (لا) فى أحلك الفترات قلناها فى المظاهرات وفى هتافات تشق عنان السماء ، قلناها فى المقالات ، فى الانتخابات ، فى المسيرات ، فى تحطيم السلاسل يوم ألغى البرلمان ، فى الاجتماعات ، قلناها وأعلناها هنا وهناك فى المعتقلات ، عشنا معركة ٣٥ من أجل عودة دستور سنة ٢٣ ، عشنا معركة القنال أحلى أيام النضال، أما صمت القبور — فى ظل الحكم الشمولى — فهى أحلك فترات مصر وأظلمها وأشقاها وأتعسها — جنب الله الكنانه آثام حكم الفرد • وحفظ لها حياتها الدستورية •

فلك الله أيها الزعيم جزاء وفاقا ما تحملت فى سبيل مصر وشعب مصر من تضحيات وبقدر المشقة يكون الثواب وعند الله الجزاء الاوفى مصداقا لقوله تعالى فى محكم الكتاب « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره » وكما قال تعالى « والعاقبة للمتقين » صدق الله العظيم ••

١٣ نوفمبر
عيد الجهاد الوطنى
يوم خالد فى تاريخ مصر

فى مثل هذا اليوم من سنة ١٩١٨ توجه سعد زغلول باشا وزميلاه على باشا شعراوى وعبد العزيز فهمى الى دار الحماية البريطانية فى عزة وكبرياء مطالبين لوادى النيل (مصره وسودانه) بالاستقلال التام وحقه فى حياة حرة كريمة • لم يرهبهم سيف الاحكام العرفية المعلنة فى البلاد ولا جبروت

سلطة الاحتلال وقواتها الرابضة على أرض الوطن لايمانهم بعدالة قضيتهم ومشروعية عملهم • لكن بريطانيـا العظمى التى لا تغيب الشمس عن ممتلكاتها ـ والتى خرجت من الحرب منتصرة على ألمانيا وحلفائها عز عليها أن يخرج بعض نفر عزل من المصريين على أوامرها ويشقون عصا الطاعة عليها • فأرادت أن تضع حدا لسعد وزميليه لكى لا يتكرر مثل ذلك مستقبلا فأمرت باعتقالهم ونفيهم خارج البلاد الى مالطة ••• وما كادت تقـدم على هذا العمل الا وكانت مصر بأسرها على قلب رجل واحد من أدناها الى أقصاها قامت تطالب بعودة سعد وصحبه •• فى ثورة عارمة فتصدت لها قوات الاحتلال بالحديد والنار فاستبسل الشعب وقابلها بالصدور فسقط الكثير من الشهداء والجرحى وظلت المعارك دائرة بين قوات الاحتلال ولكن الشعب صبر ومالان وما استكان •• بل على العكس نال مزيدا من الانتصار تلو الانتصار فتزايدت الاعتقالات والنفى من مالطة ثم الى سيشل ورجالات الوفد تتقدم الصفوف والمشاعر تلتهب بمضى الايام فتضطر سلطة الاحتلال أمام صلابة الشعب المصرى ونضاله واستبساله الى اطلاق سراح سعد ومصطفى النحاس وزملائهم •• بعد أن تم وضع دستور سنة ١٩٢٣ أصبحت الامة بمقتضاه مصدر السلطات ومنذ ذلك اليوم يحتفل الوفد بزعامة سـعد ومن بعده مصطفى النحاس بهذا اليوم احتفالا كبيرا له شأنه وقدره وذلك باقامة سرادق كبير بجوار بيت الامة ـ بيت سعد زغلول المجاور (لضر. سعد زغلول الان) واعتادت جماهير الشعب الى سماع كلمة رئيس الوفـد وسكرتيره وهاكم بعضا مما جاء بخطب الزعيم مصطفى النحاس •

١٣ نوفمـبر ١٩٣١
خطبة حضرة صاحب الدولة
مصطفى النحاس باشـا
رئيس الوفد المصرى

أيها السـادة •••

ما احتفلت مصر بعيد جهادها الا وتمثل لها سعد فى عظمته تملؤه روح أمته ، فيسعى للغاصب فى صولته ، ليطالبه بالحق المغصوب ، والاحكام

العرفية يومئذ فى شدتها ، والجند على تمام اهبتها ، والحراب مشروعة ، فما اشفق له جنان أو عيى له لسان ، لانه كان جنان الامة الابيه ، ولسانها الموفد فى السعى الى الحرية ...

الوزارة الصدقية وعيد الجهـاد

ولقد مر علينا عيد الجهاد فى العام الماضى متشحا بالسواد مجللا بالحداد على دستور الامة الذى الغته الوزارة الصديقة ، وعلى حرياتها التى انتهكتها ، وحقوقها التى ضيعتها . ولم تتورع هذه الوزارة على ان تجعل يوم العيد نفسه مسرحا لانتهاك الحرمات والاعتداء على الحريات ، فمنعت احياءه فى كل بلاد القطر وأرسلت القوات الى سرادق الاحتفال بالقاهرة فاحتلته ، وتولى رجال المطافىء هد قوائمه وانزال معالمه وماجت ارجاء العاصمة برجال البوليس ، وحاصر الجنود بيت الامة والنادى السعدى وضريح الزعيم الخالد الذكر سعد حيث يحج المخلصون لتجديد عهود الوفاء وبلغ الامر بالمعتدين انهم احتلوا الضريح بالجواسيس وحاولوا منع السيدة الجليلة أم المصريين من أن تصل اليه .. وهذا هو يوم ١٣ نوفمبر ١٩٣١ لا نراه أسعد حظا عند الوزارة من سابقه فهى تمنع الاحتفال به كما منعته فى العام الماضى وتجعله أيضا مسرحا للظلم والاعتداء ، مع اننا كنا نحتفل بالعيد كما نشاء وكانت السلطة العسكرية البريطانية نفسها لا تمنع الاحتفال به حتى فى سنة ١٩٢٢ سنة النفى الى سيشل والسجن فى المالطة والاعتقال فى قصر النيل والمحاريق وتسليط الحديد والنار على المصريين ...

خطبـة
حضرة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا
فى عيد الجهاد الوطنى سنة ١٩٣٢

ســادتى ...

فى مثل هذا اليوم من كل عام يحتفل المصريون بعيد الجهاد فى كل جهة بل فى كل قرية بل فى كل منزل بل فى كل قلب لا يعنيهم أن تسمح القوة باحتفالهم أو تمنعه فان سمحت به تجلى فيه رائع اجماعهم وان منعته فى

مظهره فلن تستطيع أن تمنعه من قلوبهم أو تحرمهم أن ينشروا بين أيديهم راية مجدهم ، وكتاب جهادهم ، وان تتصل فى الملأ الاعلى أرواحهم بروح سعد باعث هذه النهضة فيهم يستلهمونها قوة على قوتهم ، وثباتا فوق ثباتهم ، ويعاهدونها على استمرار الجهاد مخلصين حتى تتحقق باذن الله آمالها وامالهم فى الاستقلال التام .

أيها المصريون ...

ان شأنكم مع القوة فى هذا الامر شأنكم معها فى كل أموركم تخادعكم فلا تخدعكم ولكن تفضحونها ، وتصارعكم فلا تصرعكم ولكن تغلبونها ، وتحاربكم بالنار والحديد فتنتصرون عليها بالايمان الصادق والعزم الوطيد .

فضل سعد

هكذا فتح لكم سعد باب الجهاد يوم سعى وزميلاه الى دار الحماية البريطانية فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ عزلا من كل سلاح الا سلاح الايمان ومن كل قوة الا قوة الجنان والانجليز يومئذ فى نشوة الغرور بالنصر تسد جيوشهم عين الشمس وتوقع الخشية فى كل نفس والاحكام العرفية ضاربة بجبرانها ، سادرة فى طغيانها فما عيى لسعد لسان أو تزعزع ايمان ، بل دوت صيحته بالحرية فى آذان الاقوياء ومازالت تدوى فيها حتى الان .

الايمان بقوة الامة

تلك عقيدتى وعقيدة زملائى فى الحرية وذلك دينى ودينهم فى الوطنية ، تملؤنا الثقة الوطيدة بالله وبالحق وبالوطن ، فنعتمد على الامة من بعد الله أولا ، ونعتمد عليه أخيرا ، ونفخر بالامة دائما ، ونفخر بالامة كثيرا ، ومن اعتمد على الله وعلى الامة من بعد الله فالله وليه وناصره ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

فأما من كذب بالامة أو داخله الشك فليس منا ، لان الكفران بها فناء ،

والشك أول الكفران ، ونحن بها مؤمنون ، ولعهدها حافظون ، فما لنا وللكافرين •

ولقد عرفت فينا الامة هذا الايمان الراسخ بقوتها ، وسلامة عقيدتها وعدالة قضيتها ، واستعدادها الدائم للتضحية فى سبيل حريتها ، فغمرتنا فى كل الظروف ومازالت تغمرنا بتأييدها وأولتنا ومازالت تولينا خالص ودها وصادق عهدها •

ولقد رأى خصوم قضيتها فى هذا الاخلاص المتبادل بيننا وبينها كل معدات الكفاح ، ومقتضيات النجاح فجعلوا همهم الدائب أن ينفروها منا أو يصرفوها بالقوة عنا ، ولكنهم كانوا كلما افتروا علينا عندها ، أو حالوا بالقوة بيننا وبينها ، زادوها استمساكا بنا ، وزادنا استبسالا فى خدمتها وايمانا بصلابتها فى جهادها للاستقلال •••

كلكم جنود الوطن ، وكل جندى منكم يتغنى فى الملمات بكلمة سعد ، سأبقى فى مركزى مخلصا لواجبى ، وللقوة ان تفعل بنا ما تشاء أفرادا وجماعات •

١٣ نوفمبر سنة ١٩٤٣
العيد الفضى
« للوفد المصرى »

باسم الله الذى بيده زمام القلوب ، ومقاليد النفوس •••

باسم الله العلى القادر ، افتتح هذا المؤتمر الجامع ، والعيد الوطنى الرائع •••

وباسم مصر الكريمة ، والوفد المصرى الامين ، احييكم تحية صادقة مقرونة بشكر خالص على تفضلكم بتلبية دعوتنا ومشاركتنا فى ابتهاجنا وتمجيدنا لهذا اليوم العظيم — يوم عيد الوفد الفضى ، عيد مصر الحرية

الذى تبدى فيه مناقبها ، وتسجل مفاخرها فى فترة من فترات تاريخها ، طبعت حاضرها وخطت مستقبلها •

وأضاعف تحيتى وشكرى لحضرات الوافدين من الاقطار العربيــة والشرقية ورسل الصحافة الاجنبية الذين التقت عواطفهم جميعا بعواطفنا ، فجاءوا من بعيد يشهدون عن كثب مؤتمرنا وينقلون الى بلادهم وصحافتهم نهضة مصر فى مختلف مواقفها ويصفون ما شهدوا فيها من حياة فنية جديرة بالتسجيل جديرة بالتقدير •

واتوجه بالتحية الخاشعة الى روح سعد الطاهرة أول من حمل اللواء ، ولبى النداء وبث مبادىء الوفد فى النفوس ، وثبتها فى القلوب ، فقوى الله به الوفد أركانا ورفع بنيانا ، ومنه استلهمنا مبادىء قويمة ، وسننا كريمة ، لم تكتب فى سطور بل نقشت فى الصدور ، تميز بها الوفد وطبعت شخصيته •

فالصلابة فى الكفاح والثبات على المبدأ والسياسة التى تسير فى النهار المبصر ، والامانة والاستقامة ، كل هذه بعض صفاته ، ومن أخص ميزاته ، نقشها سعد بأقواله وأعماله على صفحات القلوب ، وورثناها من بعده غرسا صالحا تعهدناه سقيا وريا حتى اســتوى أخلاقا لا تتبدل وطباعا لا تتحــول •

واحيى معه أرواح أولئك المجاهدين من أعضاء الوفد الثابتين الذين استجابوا لوطنهم وأخلصوا جهادهم ، وفاضت أرواحهم ، وفى ايمانهم على الجهاد فطابت نفوسهم فى مثواها ، وعطرت سيرتهم فى ذكراها ، فاليهم والى الشهداء الذين رووا أرض الوطن بدمائهم الزكية الطاهرة أرسل تحية مصر الخالدة ، فى هذه المناسبة الوطنية الرائعة واستمطر عليهم رحمة الله الغفور الرحيم •••

« اليوبيــل الفضى »

ســيداتى وســادتى ...

منذ أقدم العصور تحتفل الامم منذ التاريخ المجيد بالمناسبات الكريمة والحوادث البارزة فى تاريخها لتسجل مفاخرها ، وتدون مآثرها ، وتشيد بذكرى ضحاياها وتضحياتها ، مطمئنين الى حاضرها ، متحفزة الى مستقبلها فتعين على جلال ماضيها الباهر ، عظمة مستقبلها الزاهر .

وفكرة اليوبيل فكرة قديمة ، كانت فى أول أمرها دينية ، ثم تطورت على الايام فصارت اجتماعية وسياسية ، وصحب هذا التطور فى الصفة ، تطور فى عدد السنين ، فهى قرن أو نصف قرن ، وهى ثلاث وثلاثون سنة أو خمس وعشرون . وعلى هذا السنن الحميد ، والتقليد المجيد ، انعقد اجماع الوفد المصرى على آن يحتفل بأخلد أيامه وأقدس ذكرياته وأنبل تضحياته فى تاريخ مصر الحديث .

فمنذ ربع قرن . وفى مثل هذا اليوم من سنة ١٩١٨ نهضت مصر بأسرها تذود عن حريتها ، وترفع الصوت عاليا طالبة استقلالها ، باذلة فى سبيل ذلك الارواح البريئة والمهج الغوالى ، متحملة من اليم المشقات ، ونبيل الالام والاضطهادات ما لا يحتمله الا شعب أبى عزيز النفس كبير الامال .

من أجل ذلك رأى الوفد أن يقيم فى هذا اليوم يوبيله الفضى بعد أن قضى خمسا وعشرين سنة من حياته المجيدة الخالدة ان شاء الله جاهد فيها جهادا كبيرا وانتصر انتصارا مبينا وأحدث فى الحياة المصرية تبدلا هائلا وتقدما واضحا حتى لقد طبعها بطابعه وصبها فى قالبه ...

لقد كانت الامة قبل قيامه ممزقة طرائق قددا بسبب الدين والسياسة فاذا به يؤلف شتاتها ، ويجمع كلمتها ، فتنطلق منها تلك القوى العظيمة الى أبعد مداها وأسمى غاياتها ، ولم يكد الوفد ينهض نهضته ، ويقوم قومته

حتى جرت الحياة فى النفوس المصرية فاذا المصريون الى جانب نضالهم السياسى ، يقبلون على العلم اقبالا لم تعهده مصر من قبل وينشطون فى ميادين الاقتصاد والاجتماع الى حد بعيد .

على ان فتح الوفد فى السياسة كان أعظم ، وفوزه فى ميدانها أجل وأكبر ، فقد حقق لمصر استقلالها ، وكان الاستقلال قبله حلم الحالم وأمنية المتمنى فأصبح الحلم واقعا ملموسا ، والامنية حقا مشهودا ، واستعاد للأمة دستورها وركز حياتها النيابية ، ووطدها ، ومازال عاملا على تمكين الروح الدستورية واقرارها فى النفوس حتى لا يعبث بها فى المستقبل عابث ، ولا يطمع فيها طامع ...

والوفد هو الذى جاء بوثيقة الاستقلال ، وهو الذى يدرك روحها ويفهم مراميها ، ويحرص على تنفيذها تنفيذا دقيقا أمينا وهو الذى ابلى البلاء الحسن فى استرجاع دستور الامة وحياتها النيابية ، وامتازت سياسته الداخلية بالمحافظة عليها ، والحرص على قيامها ، وشهدت له مواقفه كلها ، بأنه شديد التمسك بالدستور نصا وروحا لا يبدى فى هذا تسامحا ولا يعرف لينـا ... الخ ...

١٣ نوفمبر سنة ١٩٤٤

« عيد الجهاد الوطنى »

أيها السادة ...

هذا يوم ميزته الاقدار فبقى فيها فريدا ، وزينته الشدائد والاخطار فاتخذته مصر لها عيدا ، ظل كالنبت تسقيه حروف الليالى بالمحن والارزاء وهو مما يعل وينهل كأنه السيف فى ساحة الهيجاء .

هذا يوم الذكريات الحلوة المرة والتضحيات التى طبعت فى جبين الدهر

غرة ، هذا عيد الجهاد الذى ما رأيت عيدا تضفى عليه الشدائد روعة وبهاء ، وتكسوه الحادثات جلالا ورواءا مثل هذا العيد ..

ذلك انه يستمد من الكفاح اسمه ، ومن الجلاء طابعه ورسمه .

فيا له من عيد يأتى كل عام بجديد .

وأهلا به يوما من أمجد الايام وأكرم الاعياد .

ومرحبا به موقفا نذكر فيه ما لقينا من الام ومحن شداد .

مرحبا به يوما أوقدت شرارته جذوة الوطنية فينا فطهرت من الخور قلوبنا ومن الضعف نفوسنا ووقفت مصر يتقدمها سعد وصاحباه فى وجه الاسد الرابض فى مكمنه صفا واحدا فى أروع صور الابطال ، وأمجد مواقف الاستبسال شامخة البنيان ، ثابتة الاركان ، راسخة العزيمة قوية الايمان ، لا تفزع تحت الضربات ، ولا تهتز دون الصدمات .

فيا لها ذكرى أمة صممت على أن تحطم اغلالها واعتزمت على أن تكسر اصفادها ووضعت هذا الهدف نصب عيونها وجعلته قبلتها ، لا ترضى منه بديلا ، ولا تبغى عنها حولا .

وكم سلط عليها من الاضطهاد صروف ومن المغريات صنوف فلم يصرفها بطش جبار عنيد ولم يحولها وعد أو وعيد ، وارتفعت بجهادها فوق الاغراض والغايات ، ومضت فى كفاحها تضرب للامم أروع الايات البينات فى الجهاد والتضحية والثبات .

ويا عيد الجهاد وانا نستقبلك اليوم بقلوب اثبت يقينا وأشد ايمانا ونفوس أكبر فى المستقبل أملا وأعظم رجاء ، فالظلام الحالك يتبعه السنا الباهر والصبح السافر والعاصفة الهوجاء تمر سريعا وتهدأ وشيكا وان مع الضيق لفرجا وان مع العسر يسرا ...

والحرية عزيزة المنال الا على اجنادها الصابرين وطلابها الباذلين واقصر الطرق اليها ما ازدحم بالعقبات وحف بالمكاره والالام ، فاذا قدمت اليوم يا عيد الجهاد ، والحرية مطرقة اطراق الهضيم المقهور والشعب ساكن سكون الليث المهصور ، فانا لك يا عيد لاشد اكبارا ، وأعظم اجلالا ، فالشدة هى التى أوحت الينا عنوانك ، وألهمتنا تقديرك واجلالك ، وكم فيك من اية توقظ الغافل ، وتنبه النائم ، وتستنير الهمم ، وتستحث العزمات ، وكم فيك من آية ، تخلق من الضعف قوة ويقينا ، ومن اليأس رجاء كبيرا ، ولقد عودت هذه الامة الناس الا تظهر اكرم صفاتها وأشرف ميزاتها الا حين تمتحن فى أعز آمالها وأقدس أغراضها ، فعند ذلك لا يقر لها قرار ولا يهدأ لها اصطبار حتى تسترد حقها من غاصبيه ، وترى أمرها فى أيدى قادرين يتلقونه وهم له حافظون ...

وأخـــيرا

أيهـا الســادة ...

الان وقد شرحت لكم الموقف فى الداخل والخارج بما اتسع له المقام جريا على عادتى فى كل عام لم يبق لدى ما أقوله الا كلمة أسف بالغ على ما يحيق بمصرعلى أيدى بعض المصريين من أبنائها المحسوبين عليها . أجل . انى ليحزننى ان تنزل الخصومة الى هذا القاع السحيق وان تستعمل فى الحرب السياسية تلك الاسلحة التى لا تستعمل الا فى حرب العصابات والخاسر فى هذا كله مصر المنكوبة التى لم يرد لها ذكر على لسان واحد من هؤلاء الحاكمين منذ انزلق بهم اللسان وخانهم البيان وانشغلوا بحربنا عن ذكر مصر ومصالح مصر .

ولكن مصر التى عرفتهم وخبرتهم وأعرضت عنهم واقصتهم ستعلمهم من جديد ان لها ارادة من حديد وان بأسها لشديد .

أيها المصريون : انها تجربة باطشة وابتلاء من الله لصقل أرواحكم

وتطهير نفوسكم فاصبروا وجاهدوا ، عضوا على دستوركم ، واغضبوا لكرامتكم ، وكونوا رجالا لا تقعد بهم احداث الزمان من الوصول الى الغايه وارتقاب النهاية ، وانها لنهاية سعيدة ان شاء الله فيها يفرح المجاهدون المخلصون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم .

أيها المصريون : كيفما تكونوا يول عليكم فان كنتم أهلا للحياة الحرة الكريمة كان الله معكم وشد من أزركم انها لمحنة وابتلاء « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم » .

عيد الدستور

١٥ مارس سنة ١٩٢٣

استطاعت مصر الصامدة ، الصابرة ، بما قدمته من غالى التضحيات منذ اندلاع ثورة سنة ١٩١٩ بقيادة الزعيم سعد زغلول وبما استشهد فى سبيلها من أرواح طاهرة ابية ، وبما سال على أرضها من دماء ذكية ، وبتلك الوقفات الباسلة ، خلف الزعامة الصامدة التى اذهلت العالم بقوة شكيمتها وتمسكها بحقوق شعبها فى حياة مستقلة حرة كريمة — استطاعت مصر بصمودها وتصميمها أن تحصل على دستورها فى ١٥ مارس سنة ١٩٢٣ بينما كان سعد زغلول ومصطفى النحاس وزملاؤهم مازالوا فى المنفى بمقتضاه أصبحت الامة بحق مصدر السلطات ... (وان الملك يملك ولا يحكم) (لكنه يحكم بواسطة وزرائه المنتخبين بمعرفة الشعب انتخابا حرا لا ضغط فيه ولا اكراه) ومنذ ذلك اليوم اتخذت مصر هذا اليوم لها عيدا تحتفل به كل عام — ولو ان هذا العيد اعتدى عليه وعلى جلاله وجماله بعض نفر من أصحاب الاغراض والغايات الخارجين على اجماع الامة الذين لا يفكرون الا فى مصالحهم الشخصية فراحوا يتآمرون مع سلطة الاحتلال والملك على صاحب العيد (الدستور) تارة بالتعطيل وتارة بالالغاء وتارة بالتفسير المخل وتارة باستبداله بآخر ولو انهم آمنوا بوطنهم ومواطنيهم كما آمنت الكثرة لاخلصوا للدستور ولو اخلصوا العمل والنوايا

وعملوا لمجد الوطن لأنه الباقي على الدوام آه لو انهم مضوا مع نصوص الدستور وروحه كما تمسك به سعد زغلول ومصطفى النحاس لكنا أمة من أرقى الامم الديمقراطية وأعرقها وأقدمها اليوم — وأصبحنا مضرب الامثال — آه لو تمسكنا بروح الدستور ونصوصه لسلمنا من النكسات والثورات وحكم الاقليات والحكم الشمولى بما فيه من اعتقالات وحراسات ووأد للحريات ولجنبنا مصر الكثير من الاخطاء والاثام التى نشكو منها هذه الايام •• لقد كانت مصر تتخذ من هذا اليوم عيدا قوميا لها — ضمن أعيادها الرسمية — تعطل فيه الوزارات والمصالح الحكومية اعترافا بما لهذا العيد من أثر عظيم فى نهضتنا السياسية •• ومما يؤسف أن حركة ٢٣ يوليو ألغت هذا العيد من قائمة اعيادنا القومية •

وها كم بعض فقرات من خطاب الزعيم فى عيد الدستور سنة ١٩٤٤ أثنـــاء رئاسته للوزارة •

لا يظن ظان ان جهادنا للدستور وتوطيد دعائمه قد انتهى وانه أصبح بمنأى عن الخطر بعيدا عن التبييت له والائتمار به ••• لا ••• فان للدستور خصوما يكيدون له وللحياة النيابية أعداء يتربصون الدوائر • ومن حق هذا الوطن علينا أن نبصره بالعواقب ونفتح عيونه على ما ينتظره من حادثات . بل ان واجب مصر فى أعناقنا بعد أن أصبح بلدا له مركزه الممتاز ومكانته السامية بين أمم الشرق والغرب ، ومن حق بلادنا علينا وعلى كل محب لها ، مخلص فى خدمتها ، أن يعض على الدستور بالنواجذ ، ويعمل جهد المستطاع على أن تظل أحكامه سارية لفظا وروحا ، معنى ومبنى ، حتى تصبح مصر حقيقة بالمنزلة التى وصلت اليها ، والمكانة التى تنتظرها ، واذا لم تكن الامة حرة كل الحرية فى شئونها ، مطمئنة كل الاطمئنان على مظهر حريتها ، وعنوان قوميتها ، فلا خير يرجى منها ، ولا ينتظر من غيرها أن يقتدى بها ويتخذها نبراسا وهديا •

الا ان الحرية بغير الدستور هى حرية مهملة ، والكرامة الوطنية بغير الدستور هى كرامة مهلهلة •

ماذا يعنيه
الغاء الاحتفال بالعيدين
عيد الجهاد الوطنى ، عيد الدستور

كان الوفد يحتفل بعيد الجهاد الوطنى كل عام ، باقامه سرادق كبير بالارض الفضاء المجاور لبيت الأمة (بيت سعد زغلول) ويخطب فيه مصطفى النحاس خطابا سياسيا جامعا يتصدى فيه لقضايا الوطن الخارجيه والداخلية وعلى وجه الخصوص قضـايا الحريات وكثيرا ما كانت حكومات الأقلية (الحكومات التي تسير فى فلك السراى) تتصدى لهذه الاحتفالات فتحول دون اقامتها بشتى الطرق ·· وان انسى فلا أنسى احتفال عام ١٩٣٥ الذى خطب فيه مكرم عبيد باشا (سكرتير عام الوفد) بعد خطاب مصطفى النحاس باشا — وجاء فى خطابه الكلمات الآتية « أيتها المرأة المصرية ··· علمى ابنك كيف يكون الغضـب ·· فان لم تغضبى ·· فحـق عليك ألا تنجبى ··· » ·

هنا علت الهتافات وانطلقت جموع المحتشدين فى السرادقات مطالبة بعودة دستور سنة ١٩٢٣ الذى ألغاه اسماعيل صدقى باشا واستبدله بدستور سنة ١٩٣٠ المقيد للحريات وعـودة الحريات والمطالبة بجلاء المستعمر الغاصب عن أرض وادى النيـــل · · وانطلقت مظاهــرة صاخبة ·· فى تمام الساعـة العاشرة مساء ، طافت شـوارع القاهرة فتصدت لها قوات البوليس ، فأطلق عليها الرصاص ، فسقط أول شهيد من العمال يدعى « اسماعيل الخالع » وكانت الشرارة الاولى التى انطلقت منها فى صباح اليوم التالى مباشرة من جامعة فؤاد (القاهرة) ١٤ نوفمبر سنة ١٩٣٥ ثورة عارمة راحت تطالب بنفس المطالب سقط فيها من الشهداء طلبة الجامعة عبد الحكم الجراحى ، محمد عبد المجيد مرسى ، على طه ، وغيرهم وكان لهـذه الثورة الفضـل فى تكـوين الجبهـة الوطنيـة من كافة الاحزاب المصرية برئاسة الزعيم مصطفى النحاس ، وتولت مفاوضة الانجليز وانتهت بتوقيع معاهدة ١٩٣٦ ، وترتب عليها الغاء مصطفى النحاس

الأمتيازات الاجنبيه سنه ١٩٣٧ — وأعيد دستور سنه ١٩٢٣ ، وأجريت انتخابات جديدة على يد وزارة محايدة فاز فيها الوفد بالاغلبيه الساحقة ٠

اذا فاحتفالنا بهذا العيد لم يكن احتفال لهو او احتمال معنى او طرب كتلك التى يمضى فيها الحكام لياليهم حول حلبات الموسيقى وحلقات الرقص ولكنها احتفالات وطنية ودروس فى التضحيه وربط بين الماضى والحاضر ننقل للابناء جهاد الأباء ، فمن حق الاجيال ان تتناقل التاريخ جيلا بعد جيل ، حتى تظل الثورات كامنة فى النفوس ، متاججة فى الصدور ، والذكرى تنفع الذاكرين ، كما جاء فى القران الكريم « وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين » ٠

ومازال مصطفى النحاس يناضل ويكافح حتى جعل من هذين اليومين عيدين رسميين تحتفل البلاد بهما احتفالا رسميا من كل عام ٠٠ ولهذا معنى كريم ٠٠ بينما حركة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ وفى ظل النظام الجمهورى بـ تلغى هذين العيدين — وان القلم ليقف عاجزا — لا يجد سببا ومبررا لهذا العمل الذى تمحو به صفحة من صفحات المجد والفخار التى عاشتها مصر وشعب مصر فى ظل هذين اليومين العظيمين ٠

لقطـــات

من حيـــاة الزعيم

تكشـــف

عن عديد من الخصال

كان مظهر الزعيم « مصطفى النحاس » خلاف جوهره — فكان يبدو للرائى لأول وهلة انه غليظ القلب ، لا تعرف الرحمة طريقها الى قلبه ، مقطب الجبين دائما ، لا تعلو الابتسامة شفتيه ، كأنه يتحدى الزمن ، ساخرا منه ماضيا فى طريقه ، يتقدمه صدره الملىء بالايمان بالله والوطن ، محطما

كل ما يعترض طريقه ليحقق لمصر وشعب مصر كل الآمال • وفى سبيل ذلك لا سبيل أمامه الا اصدار الأوامر ، لا يؤمن بالتفاهم ، شأن القـــواد العسكريين ، هكذا كان يبدو مصطفى النحـــاس من بعيـــد • • • • • • لكن الصورة تنقلب رأسا على عقب اذا اقتربت منه ومن مجلســـه فسترى انســـانا آخر • • رجلا وديعا ••• وانسانا لطيفا •• يفيض قلبه حبـــا وحنانا ، وعطفـــا وبرا وخـــيرا •• يحنو على الصغير ، ويبر بالفقير •• رب اسرة الوفد بحق •• يســـمع لكل رأى ، ولـــو كان مخالفا لرأيه •• ويعتد بمضمون الرأى لا بصاحب الرأى ، والبـــذل والعطـــاء عنده هما مقياس الاخلاص ، ويكره النفاق والمنافقين ، لأنهـــم فى الدرك الأســـفل من النـــار كمـــا قال الله فى كتابه الكريم ، لذا لم يكن غريبـــا ان يكون مصطفى النحاس بالنســـبة لنـــا (الوالد) قبـــل أن يكون (الزعيم) (والمـــربى) قبـــل أن يكون (القـــائد) (والقـــدوة) قبـــل أن يـــكون (الرئيس) لذا احببنـــاه حبا ملك علينا كل مشاعرنا •• ولازلنا •• حتى نلقى الله •• بل حتى يرث الله الأرض ومن عليها •••••

وها كم بعض لقطات من حياته تكشف عن عديد من خصاله الحميده وطباعه الفريده التى قلما اجتمعت فى زعيم •

لقطـــه (١) :

كان المشى هى الرياضة اليومية المحببة لـــدى الزعيم وكان يصحب فيها صديق عمـــره ورفيق جهاده مكرم عبيد ••

قالت له زوجته (زينب الوكيل) يوما ما — ياباشا انت والد — لكل من حولك • ولابد أن يشعر كل واحد منهم أن له منزلة فى قلبك لا تقـــل عن غـــيره وقد اعتـــدت أن تصحب مكرم معك فى ســـيرك الصباحى •• فلماذا لا تصحب ماهر معك حتى يشعر بحبك ••• فقال النحاس •• انه

لا يستطيع •••• فردت عليه •• هل حاولت قبل ذلك فقـال ••• لا وفى صبيحة اليوم التالى •• كلف الزعيم زوجتـه بطلب الدكتور أحمد ماهر تليفونيا — للحضور الى منزله بمصر الجديدة فلما حضر الرجل •• وجد الزعيم مستعدا للخـروج ••• قال الزعيم للدكتور ماهر ••• هيا نمشى معا على الأقدام انها رياضة صباحية جميلة •

ومضيا فى الطريق ••• وبعـد دقائق معـدودات توقف، الدكتور ماهر — فسأله الزعيم عن سر توقفه — فرد عليه ماهر باشا قائلا : لقـد أصابنى التعب يا باشا ••• (لقد كان ماهر باشا بدينا) فضحك النحاس باشـا وقال (لقد قلت لها) فدهش ماهر باشا من قولة الزعيم ولكن لـم يعرف لهـا معنى •

عاد الزعيم وماهر باشا الى المنزل •• وجلس الزعيم فى حضـور زوجته يروى لماهر ما حـدث بينه وبين زوجته بشـأن اصحابه مكرم فى سيره اليومى •• فضحك الدكتور ماهر باشـا وقال (مبروك على مكرم باشا — أنا لا قدرة لى على السير لمسـافات طويلة)•••

وهكذا كانت صراحة الزعيم ظاهره كباطنه حقا ••

لقطـة (٢) :

خاض الوفد معركة الانتخابات التكميليه لمجلس الشيوخ سـنة ١٩٤٦ فى عهد وزارة اسماعيل صدقى باشا (الانقـلابيه) وهـو على يقين من ان صدقى باشا سيقوم بتزويرها اسوة بانتخابات سنة ١٩٣٠ التى زورهـا من أجل صالح حزبه وحصل فيها حزبه على $\frac{٧}{٨}$٦٧ ٪ فى ظل دسـتور (سنة ٣٠) •• ولقد رشح الوفد فى دائرة كفر الشيخ للشيوخ (الاستاذ عمر عمر نقيب المحامين — وعضو الهيئة الوفدية) •• وكان القصـد من خوض هذه الانتخابات أن يسجل الوفد على وزارة صدقى باشـا عمليا

تدخله فى الانتخابات ضد مرشحى الوفد وهذا نوع من أنواع الجهــاد الايجابى (الجهاد العينى) مهما كلفه الأمر وقام جميع مرشحى الوفــد بدفع تأمينات الترشيحات الخاصة بدوائرهم عدا مرشح واحــد — هــو الاســتاذ عمر عمر وكان ذلك بنــاء عــلى اتفــاق تم بينــه وبين وزارة صدقى باشا — فوجىء النحاس باشا بذلك بعــد غلق باب الترشيحات فلم يستطع الوفد ان يدفع بمرشح آخر مكانه واعتبرها الوفد ومصطفى النحاس مؤامرة تمت فى الخفاء وطعنــة وجهت للوفد فى ظهره بليل وفى خسه •• أصر النحاس باشا على فصــل « عمر عمر » من الهيئة الوفدية الا ان ذلك لم يتم بسبب المساعى المكثفة التى بذلت من أعضــاء الهيئة الوفدية ومن أعضاء الوفد فاضطر النحاس باشا الى النزول على رأيهــم (ولكنه أبعده عن مجالســه وأهمل أمره ولم يسمح بمقابلته أو التحدث معــه) وفى احدى الأمسيات السياسية وبينما نحن الشــباب الوفدى بدار النادى السعدى (المقر الدائم للوفد المصرى) المجاور (لبيت الأمه) (لبيت سعد زغلول) وكان يجلس على مقربة منا الاستاذ محمود سليمان غنام باشــا والاستاذ عمر عمر المحامى وغــيرهم من كبــار الشخصيات الوفدية •• اذا بالنحاس باشا امامنا وجها لوجه •• فى ردهة النــادى •• فاعترض طريقه غنام باشا وهو ممسك بيد (الاستاذ عمر عمر المحامى) اليسرى ويقول للنحاس باشا وعمر عمر ماد يده للزعيم فى محــــاولة للســلام عليه •

قال غنام باشا (الاستاذ عمر عمر — ياباشا — أرجو أن تغفر خطأه وأرجــو أن تصافحه) •

فقال النحاس باشا بصوت جهورى مملوء بالغضب

(لا •• لا •• أنا لا أسلم عــلى اليــد التى طعنتنا فى الخفاء اليد الطاهرة لا اضعها فى يد نجسه) •

قولة صريحة .. صادقة .. تركت فى نفوسنا أجمل الأثر على عظمة الزعيم وصلابته وصراحته وتمسكه بالحق لا يعرف المجاملة على حساب الوطن ولا يؤمن بالتخاذل والضعف .

قولة قالها فى صراحة دون تحرز لوجود شباب صغار ، فى حين أن القول موجه لرجل كبير ، له شأن خطير ، فى هيئة الوفد ، ان مصطفى النحاس ، الزعيم بحق ، لا يحيد عن الحق ، ولا يجامل على حساب الحق .

لقطة (٣) :

كان الشيخ سيد أحمد القط أحد المرشحين الوفديين لمجلس الشيوخ بدائرة البدرشين سنة ١٩٤٦ وكانت تعليمات الوفد تقضى بتسجيل كل ما يعتبر تدخلا من جانب الحكومة الصدقيه فى المعركة الانتخابيه وابلاغ النائب العام بها والجرائد الوفدية لنشرها أولا بأول وقام جميع مرشحى الوفد بتنفيذ تلك التعليمات بكل دقة عدا الشيخ سيد أحمد القط — رغم ما لمسناه نحن الشباب من تدخل سافر فى هذه المعركة لصالح الدكتور ابراهيم بيومى مدكور منافس مرشح الوفد (وكنت قائدا من قواد هذه المعركة باعتبار دائرة شبرامنت تدخل ضمن دائرة الشيوخ هذه) وحاولت عبثا اقناع الشيخ سيد أحمد القط بالابلاغ عما وقع تحت يدنا مما يعتبر تدخلا سافرا لصالح منافس مرشح الوفد الا أنه رفض بشدة . فاضطررت أن أرفع الأمر الى « **النحاس باشا** » الذى استدعى المرشح المذكور وتمت المواجهة بيننا فما كان منه الا أن قال للزعيم فى استعلاء (أنت عاوز دائره والا عاوز شوشره وكلام يا باشا) قال النحاس باشا (عاوز دائرة) .

ثم نظر الىّ النحاس باشا قائلا (يا سلامه — وهكذا كان يناديني أنت خلصت ضميرك ولننتظر النتيجة) ومضت المعركة فى طريقها الذى

رسمته الحكومة وازداد تدخلها يوما بعد يوم ، وازداد صمت الشيخ سيد أحمد القط أملا منه فى مجاملة صدقى باشا له حيث كان معه عضوا فى حزب الشعب سنة ١٩٣٠ وتحت رئاسته ولكنه أمل ابليس فى الجنة ودارت المعركة وانتهت بسقوط مرشح الوفد طبعا وفشله فشلا ذريعا ..

وفى أحد اللقاءات السياسية فى منزل الزعيم التى تلت المعركة الانتخابية انتهز الزعيم وجودنا (أنا والقط) وجها لوجه ـ فقال بصوت عال موجه كلامه للشيخ سيد أحمد القط .

« ايه يا شيخ سيد أحمد .. هل نجحت فى الانتخابات ؟ سؤال وهو يعرف الاجابة ... قال الشيخ سيد أحمد (لم اوفق ياباشا) فنظر النحاس باشا الى" وقال : (لقد ثبت أن الشباب ابعد نظرا من الشيوخ .... كلمات أشد من طلقات الرصاص موجهة الى الشيخ سيد أحمد القط الذى رفض كل نصح ونصيحه منى « شكرا لك أيها الزعيم المنصف .. شكرا يا معلم الأخلاق .. شكرا يا مربى الأجيال على الرجولة والصراحة .. » .

لقطة (٤) :

عندما كنت فى الثلاثين من عمرى تعرضت لحملة اضطهاد كبيرة من وزارة الأقلية التى اعقبت الوزارة الوفدية التى اقيلت فى ٨/١٠/١٩٤٤ فقد نقلت من القاهرة إلى « أسوان فى ظرف ٤٨ ساعة ثم نقلت بين عديد الجهات وبين عديد الوزارات للحيلولة دون ترقيتى وظللت على هذا الحال حتى مايو سنة ١٩٤٩ ولم تلن قناتى أو تضعف عزيمتى .

وفى أواخر سنة ١٩٤٧ .. وفى ساعة من ساعات الضيق توجهت الى دار الزعيم بجاردن سيتى .. مؤملا لقاء الرئيس ـ لازداد قوة وزادا وثباتا ومنه اتلمس الراحة النفسية ـ التقيت بالسيد / أحمد صادق سكرتير دار الزعيم وافصحت له عن رغبتى فى مقابلة الزعيم ـ فقال

انه فى راحــة ، ولن يلتقى بأحد ، فقلت له أننى أرى فلانا وفلانا يصعدون ويهبطون ويشرفون بمقابلة الزعيم فقال **هؤلاء أعضــاء الوفد وأعضــاء الهيئة الوفدية** فقلت على الفور — **أنا لست أقل من هؤلاء — ابلغ النحاس باشا رغبتى وأنا راض حكمه وقراره** — وكان لى ما أردت فرد عليه النحاس باشا تليفونيا (فلينتظر) وبعــد دقائق معــدودات أمر النحاس باشــا بصعودى اليه فى الدور العلوى حيث يقيم • فاستقبلنى بجلبابه الأبيض الناصع البياض الذى يحاكى بياض قلبه وبياض نفســه — وراح يحدثنى حديث الوالد البر الرحيم ويستمع الى ويستجيب لكل ما طلبت ويحقق على الفور رغباتى — ودل بتصرفه معى على أن لى فى قلبه رغم صــغر سنى وشبابى منزلة لا تقل عن منزلة ومكانة الشيوخ من أعضاء الوفــد والهيئة الوفدية انه يعرف أقدار الناس بعملهم لا بأعمــارهم باخلاصهم لا بثرواتهم هذا هو مصطفى النحاس الــذى كشف اللــه عن بصــيرته قبــل بصره •

لقطــة (٥) :

اجتمــع الوفد المصرى لاعتمــاد الترشيحات الوفدية للانتخابات التكميلية لمجلس الشيوخ سنة ١٩٤٦ برئاسة النحاس باشا — وعند النظر فى دائرة بندر المنصورة قال النحاس باشا لقد وعدت طبيب العيون الخاص الدكتور عبد الفتــاح الطوبجى باعادة ترشيح والده الشــيخ الطوبجى عضو الشيوخ الوفدى السابق لأنه مازال على العهــد معنا — فقال فؤاد سراج الدين باشا — سكرتير عام الوفد المصرى — (معذرة يا باشا — لقد عودتنا الصراحة — وعلمتنا الديمقراطية — فهذا وعــد لا تملكه ياباشــا — حقا — انك والد ولكن هكذا علمتنــا وان الأمر بيننا شــورى والرأى رأى الأكثرية) فقال النحاس باشا « ان القاعــدة تقضى باعادة ترشيح العضــو اذا ظل ثابتا على مبدئه والشيخ الطوبجى لازال ثابتا على مبدئه فحقه فى الترشيح ثابت » فقال فؤاد باشا سراج الدين — شريطة الا تنقطع صلته بالدائرة — والمنصوره هى حصن الوفــد المنيع • وقــد انقطعت

للأسف الشديد صلة الشيخ الطوبجى بالمنصورة نهائيا وأغلق داره الذى أطلقوا عليه « بيت الأمه » ونحن فى حاجة الى عنصر جديد تجتمع القلوب حوله ليعود للوفد قوته وشوكته فقال النحاس باشا على الفور « أنا غلطان .. أنا سحبت وعدى .. اعملوا ما فيه الصالح وحده » وبدا من بعض أعضاء الوفد اتجاه لاعادة ترشيح الشيخ الطوبجى مرة ثانية تحقيقا للوعد الذى قطعه النحاس باشا على نفسه . . الا أن النحاس باشا أصر على اعتبار الوعد كأن لم يكن .. وكان قد تقدم الحاج محمد أحمد الجمل بطلب للترشيح عن هذه الدائرة فأخذت الأصوات فاسفرت عن ٧ أصوات لصالح (الحاج محمد أحمد الجمل ضد ٦ لصالح الشيخ الطوبجى كان منها صوت الزعيم . لم يغضب الزعيم لأن أعضاء الوفد خذلوه بل على العكس سر وقال اننى أعطيت صوتى للشيخ الطوبجى بناء على وعدى .. ولكن النهاية كانت فى صالح الوفد .. وهذا هو ما كانوا يطلقون عليه الدكتاتور الذى لا يستطيع أحد أن يناقشه الحساب (كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا) .

لقطة (٦) :

تقدم أحد المواطنين الى حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا رئيس الوزراء سنة ١٩٥٠ بشكوى أوضح له فيها ما يعانيه هو وزوجته من أمراض مستعصية سببت لها متاعب مالية وأزمات اقتصادية مدمره — فتركت ابلغ الأثر فى نفسه فأحالها الى معالى فؤاد باشا سراج الدين وزير الداخلية بتوصية مشددة مع النظر بعين العطف والرعاية .... واستكمالا للقصه يقول سراج الدين ....

وبعد بضعة أيام ... سألنى مصطفى باشا عما تم فى هذا الطلب .. فأخبرته بأننى صرفت لصاحبه اعانه قدرها ٢٠ جنيه عشرين جنيها من وزارة الداخلية فقال النحاس باشا عشرين جنيها فقط انه مبلغ ضئيل لا يكفى لمواجهة ما ورد بشكوى الرجل فقلت ضاحكا (أى قال سراج الدين ضاحكا) هل صدقت ياباشا كل ما ورد بشكوى الرجل ..

فرد النحاس باشا بجدية قائلا — ولماذا يكذب ؟ وما الذى يدفعه للكذب ؟ فقال سراج الدين — هذه وسيلة للحصول على أعلى قيمة من الاعانات بطرق ملتوية ،

أتظن يا باشا ان كل النـاس لا تعرف الكذب مثلك — لا يا باشا فقال النحاس باشا : (نعـم أنا لا أكذب ولا أعـرف الكذب ولا أحترم الكذابين والغالبية العظمى من رجال السياسة يلجئون الى الحيلة والكذب الا مصطفى النحاس — لان الكذوب فى السياسة هو كذوب فى كل شىء — الكذب رذيله ومن يعرف رذيله يرتكب رذيله فانه على استعداد لان يرتكب الكثير من الرذائل) وانه لما شك فيه أن مصطفى النحاس يؤمن بالصـدق ايمانا لا حد له ويحب الصادقين حبا لا يدانيه حب ويكفر بالكذب وينفـر من الكذابين فى عالم السياسة وغيرها •

لقطـة (٧) :

كانت علاقة الزعيم بنا نحن الشباب علاقة الأب بالأبناء يحنو علينا ، ويقربنا الى مجالسه ، ويستمع الى آرائنا ، وكثيرا ما غلب آرائنـا على آراء بعض رجالات الوفد الكبار وكان الحريص دائما على تدعيم صفوف الوفد بالعناصر الشـابه من بين صفوفنا وخير دليل على ذلك اختياره •• فؤاد سراج الدين وزيرا للزراعة سنة ١٩٤٣ ولم يبلغ من العمر الا ٣١ عاما وثلاثة أشهر وكان اختيار الزعيم له حدثا فى حد ذاته فقد كان أول رئيس للوزراء فى مصر يختار أول شـاب فى مصر لمنصب وزير فأثبت انه المتحرر من كل قديم وانه المناصر لكل جديد •

لقطـة (٨) :

وكثيرا ما كان الزعيم يصرح لنا نحن الشباب فى مجالسه بترحيبه بكل رأى نبديه ولو كان على خـلاف رأيه ، وكان يسعده أن يستمع لكلمة نقـد

توجه اليه مهمـا كان صاحبها كبيرا كان أم صغيرا •• وفى أول لقـاء له بالشباب بعد اقالة وزارة الوفد فى ١٩٤٤/١٠/٨ ابتـدرنا قائلا (اننى مخطىء فى حق الشباب لأننى لم أقم بالواجب نحوهم) فكانت كلمته بردا وسلاما على قلوبنا وازاحت كثيرا من آلامنـا النفسية ومتاعبنا فقـد احسسنا فعلا باهمال جسيم طوال حكم الوفد لم ترد الينا فيها حقوقنا التى اعتدى عليها طوال الحكم السابق على امتداد أربع سنوات عجاف من الاضطهاد أى فى خـلال الفترة (٣٧/١٢/٣١ الى ١٩٤٢/٢/٤) والاعتراف بالذنب فضيلة وممن •• من زعيم كبير •• له فى القلب مكانه • بل وفى الشعب أعظم مكانه •

لقطـة (٩) :

وفى عـام ١٩٥٠ وبينما حضرة صـاحب المقـام الرفيع مصطفى النحاس باشا رئيسا للوزارة وكنت وقتهـا أعمل سكرتيرا للاستاذ فؤاد سراج الدين باشا وزير الداخلية •• توجهت الى رئاسـة الوزراء لمقابلة (الزعيم) ولما أصبحت وجهـا لوجـه أمام الاستاذ محمـود شـوقى (سكرتير عـام مجلس الوزراء) (وابن اخت الزعيم فى نفس الوقت) وكان يجلس بجواره النائب الوفدى المهندس — محمد حنفى الشريف — وبعد التحيه والسلام سألنى محمود شوقى عن مطلبى فقلت له « أنت تعـلم أن كثيرا ما تلجأ وزارات الانقلابات الى فصل الموظفين الوفديين بالجملة والقطاعى كنوع من العقاب تنزله بخصومها الوفديين الثابتين على مبدئهم — وأنا لا مورد لى الا وظيفتى وقـد تزوجت هذا العـام فقط وابلغ من العمر ٣٣ عاما وقد ظللت خمس سـنوات قبل تولى وزارة الوفد هذه مشردا فى مديريات (محافظات) مصر بسبب وفـديتى — ولكننى أخشى مرة أخـرى بعد ذهاب الوزارة الوفديه وذهابها آت لا ريب فيه — أن تقـدم الوزارة التى تخلفهـا على فصلى من الوظيفة فتشرد زوجتى وأولادى واحطم معنويا — وتأمينا لى ولهم أريد ان اثبت فى وظيفتى حتى لا ينـالً الخصم السياسى منى أى منال وامضى فى طريق جهـادى حتى

النهـاية » فقال محمـود شـوقى ••• لديك فؤاد باشـا سراج الدين •• فأنت سكرتيرا له •

فقلت له فى انفعال وفى صوت عال •• أنا جاى للنحاس باشا والدى وزعيمى وأنا شأنى فى الوفد شأن فؤاد باشا والنحاس باشا رئيسى ورئيس فؤاد باشا فقال المهندس محمد حنفى الشريف فى غضب • انت عارف انت بتكلم مين ؟ اخفض صـوتك • لازم تراعى حرمة المكان والشخص اللى انته بتكلمه فقلت على الفـور • أنا باكلم محمود شوقى — ابن اخت النحاس باشا — اللى عرفته فى الشـارع السياسى مش فى مجلس الوزراء وصوتى دايما هوا كده مرتفع فى الحـق مش فى الباطل •

وهنا سمعت صوت النحاس باشا الـذى يفصل بيننا وبينـه باب يستفسر عن سر هذا الضجيج فيرد عليه محمود شوقى وهو يفتح البـاب قائلا « دا على سلامه سكرتير فؤاد باشا » فأمر الزعيم بدخـولى مكتبه وأنا على هذا الحال (أى فى ثورتى هذه) فاستقبلنى هاشا باشـا قائلا اجلس (يا سلامه) هكذا كان ينادينى رحمه الله رحمة واسعه — جلست ثم طلب لى كوب ليمون — لاهدىء من ثورتى وبعد أن شربتها — سألنى سر ثورتى •• فكررت له ما حدث فقال « أنت على حق فى كل ما قلت » •

ثم أتبع ذلك قائلا •• لقد اتخذت الوزارة قرارا بعدم تثبيت الموظفين لأنه نوع من أنواع الاستثناء ويجب عدم الخروج عليه ••• والا فجرائد المعارضه واقفة لنا بالمرصاد •• ولكنى وجدت لك حـلا عن طريق مجلس الأوقاف الاعلى تنقل لوزارة الأوقاف على احـدى درجاتها • ويجـرى تثبيتك بها وبهذا يتحقق ما أردت دون الخروج على قرار مجلس الوزراء • وبالفعل أمسك رفعته بالتليفون وكلم اسماعيل باشا رمزى وزير الاوقاف قائلا (على سـلامه — ابنى — عـارف يعنى ايـه — ابنى —) وتمت الموافقة والتنفيذ •

لقطــة (١٠) :

وسجادة صلاته هى أعز رفيق لديه على الطريق ، طريق التقــوى • منذ شبابه ، حتى لقى ربه ، وهى تلك التى منحت له مكافأة للســلوك ، وهو طالب بمدرسة الحقوق ، فكانت أحب المكافآت الى قلبه ، صحبته فى كل مكان داخل مصر وخارجها ، واحتفظ معه ببوصلة كضرورة لازمة لهــا وفى أثناء المفاوضات سنة ١٩٣٦ وفى وزارة الخارجية البريطانية فى دوننج ستريت بلندن — اذا ما وجبت الصلاة فى أى وقت من الأوقات والمفاوضات محتــدمه — استاذن وقام للصــلاة فى احــدى القاعات وفى الحفــلات الســاهرة — بينما كبار الشخصيات يقومون للرقص — ينسحب النحاس باشا الى احدى الغرف للصلاة — مؤمنا بقــول الله تعالى « قل ما عنــد الله خير من اللهو ومن التجارة » •

لقطــة رقم (١١) :

«الشيخ محمد متولى الشعراوى وزير الأوقاف — والنحاس باشا»

قال لى الشيخ الشعراوى وزير الاوقاف سنة ١٩٧٨ وأنا فى زيارة له فى مكتبه حينمــا كنت عضــوا بمجلس الشــعب عن دائرة شبرامنت (جيزه) ••• كنت (أى الشيخ الشعراوى) وكيلا للجنة الطلبة الوفديين بالجامعة الأزهرية وكانت عادتى أن اقبل يد الزعيم عند لقائه — فلمــا حصلت على شهادة العالية الأزهرية توجهت لرفعة النحاس باشا وقلت له يا رفعة الباشا لقد حصلت اليوم على شهادة العاليه وأصبحت اليوم عالما — فاستأذنك منذ اليوم الا أقبل يدك — بعدها ارتفعت يده نحوى فلم أشعر الا وأرى نفسى مقبلا لها — كان زعيما حقــا • مبــاركا تقيا ، صالحا ، رحمه الله رحمة واسعة •

لقطــة رقم (١٢) :

عند عودة النحاس باشا من القدس سنة ١٩٤٣ الى القاهرة أثنــاء رئاسته للوزارة — التى كان قــد ذهب اليهــا لاقنــاع الملكه الوالــده

(نازلى) بالعـــودة الى مصر بعد أن امضت بالقدس ما يقرب من سنتين بسبب غضبها من ابنها الملك (فاروق) — اتخذ البوليس اجـــراءات أمن مشددة بمحطة مصر عند وصول القطار المقل للنحاس باشا بموافقة فؤاد سراج الدين باشا وزير الداخلية بناء على ما أبلغه اللـــواء رســـل باشا حكمدار القاهرة من وجود نية من بعض خصـــوم الوفد للاعتداء على حياة الزعيم وقد لجـــأ الحكمدار الى وزير الداخلية نظرا لمـــا يعرفه عن كراهية النحاس باشا لأية اجراءات تحـــول بينه وبين الشـــعب . وكان الاجـــراء الذى تمت الموافقة عليـــه هو اقامـــة كردون مكثف من رجـــال البوليس من مكان وقوف الصالون المخصص للرئيس الى الســـيارة التى ستقل رفعته وغير مسموح بتواجد أحد داخل هذا الكردون ســـوى الوزراء وكبار الموظفين وأعضاء البرلمان والشخصيات المعروفة لرجـــال البوليس وتم تنفيذ ذلك بكل دقة — وتمكن الاستاذ حسن يس (النائب الـــوفدى الثائر) وزعيم الطلبة القديم من الصعود وحـــده الى صالون القطـــار فاندفع نحو الزعيم مقبلا يده عدة مرات ومهنئا رفعته بســـلامة الوصول . ثم راح بعد ذلك يتهم قوات البوليس بانها حالت بين الشعب وبين رفعته .. وكانت جمـــوع الشعب الكبيرة قد اتخذت مكانها خلف الكردون طبقـــا للخطة الموضوعة وعلى درج الصالون أهل النحاس باشا على الجمـــوع متهيأ للنزول — فتصادف ان كان أحد ضباط البوليس الصغار برتبة ملازم أول واقف فى نفس المكان حيث كان أول المستقبلين للنحاس باشا من رجال الشرطه — فدفعه النحاس باشا بقبضة يده فى صدره وقال له بصوت كله غضب (ابعدوا من هنـــا) فتراجع الضابط الى الوراء وعنـــدما سمعت جمـــوع الشعب — كلام النحاس باشا تملكها الحماس واندفعت نحـــو الصالون واكتسحت جنود الشرطة وضباطها الذين تراجعـــوا الى الخلف تنفيذا لطلب النحاس باشا . ووصلت الجموع الى باب صالون القطـــار هاتفة بحياته ، كمـــا اكتسحت نفس الجمـــوع الوزراء وكبار المستقبلين وأزاحتهم الى مسافة بعيدة عن الصالون .

نزل النحاس باشا بين هذه الجموع الحاشدة وفزع فؤاد باشا مما وقع خشية أن يتم تنفيذ الاعتداء المرسوم وقد أصبح النحاس بعيدا عن حماية الشرطة ولقمة سائغة بين أيدى الجماهير ، وظل فؤاد باشا والوزراء معه يقتفون خطوات النحاس باشا البطيئة وهو يشق طريقه بين الجماهير . متتبعين طربوشه فى قلق بعد أن تعذر رؤية جسمه من شدة التحام الأجساد بجسده خصوصا وقد عرفوا من فؤاد باشا قبل وصول القطار بأسباب هذه الاجراءات المشددة .

ولما استقل النحاس باشا سيارته بعد نحو ١/٢ ساعة من مغادرته القطار تنفس فؤاد باشا والوزراء الصعداء وتوجه الجميع الى منزل الزعيم بجاردن سيتى عدا فؤاد باشا فقد توجه الى بيته المواجه لبيت النحاس باشا والغضب مسيطر عليه بسبب ما وقع . واعتذر عن تناول الغذاء على مائدة النحاس باشا مع زملائه الوزراء ..

ثم قام فؤاد باشا بارسال خطاب الى النحاس باشا على الفور يرجوه فيه قبول استقالته من الوزارة لأسباب صحية فلما وصل الكتاب استغرب النحاس الأمر وأخطر الوزراء بما تضمنه فشرح له الوزراء الموضوع وبما انتاب فؤاد سراج الدين من غضب فى محطة مصر بسبب ما تعرضت حياة النحاس لخطر شديد .

فقال النحاس باشا « الله يجازيه حسن يس » فقد أدخل فى ذهنى صورة أخرى مغايرة للواقع مما جعلنى أقدم على ما أقدمت عليه من تصرف .

وكان من المقرر انعقاد مجلس الوزراء فى الساعة السادسة من مساء نفس اليوم وفى الساعة السادسة الاربعا أخطر فؤاد باشا وهو فى بيته ان النحاس باشا فى صالون منزله بالدور الأول فنزل مسرعا اليه وعانقه كعادته وهنأه بسلامة الوصول ولم يفاتحه فيما وقع لأنه اعتبر الأمر منتهيا بتقديم استقالته من الوزارة .

فسأله النحاس باشا فى لهجة جاده ـ الا تنوى حضـور جلسـة مجلس الوزراء ؟ فأجاب سراج الدين •• بالنفى •• لأنه مستقيل •

فقال النحاس باشا •• هل تمانع فى أن نحتكم الى مجلس الوزراء ؟ فلم يكن فى وسـع فؤاد باشا بطبيعة الحـال أن يرفض هـذا الاحتكام لأنه موقن أنه على حق فأجاب النحاس باشا بموافقته على ذلك ـ فاستقلا معا سيارة النحاس باشا ـ ولم يتحدثا طوال الطريق ـ وكانت تبدو على وجه النحاس باشا ملامح الجدية •

وعندما دخلا قاعة مجلس الوزراء ساد جـو المجلس صمت رهيب فتوقع الجميع وقوع مشـادة بين الرجلين قطعهـا النحاس باشـا •• بافتتاح جلسة مجلس الوزراء •• ثم قال موجها كلامه الى سكرتير مجلس الوزراء اثبت فى محضر الجلسة العبارة الآتية (اننى اسجل أسفى •••• فأمسك سراج الدين بيـد سكرتير الجلسة مانعـا اياه من الكتابة •••• فاستمر النحاس قائلا اننى اسـجل أسفى على ما وقـع منى فى المحطة صباح اليوم مع اعتذارى لمعـالى وزير الداخليـة فقال فؤاد باشا ـ مستحيل الكلام ده يثبت فى المحضر وأنا اعتبر المسألة انتهت ومستعد أن أمزق استقالتى •

قال النحاس باشا : اننى لم أنتظر حتى تمزقها أنت لقد مزقتها أنا بمجرد وصولها • واذا كنت تستطيع منع اثبـات ما قلته فى المحضر فانك لا تستطيع منعى من الكلام •

وأخـذ يشرح للوزراء ما أدخـله حسن يس فى روعه وما صـوره له من صورة خلاف الواقع وكرر أسفه واعتذاره •

وسأل النحاس باشا فؤاد باشا عما اذا كان له طلبا آخر : فقـال فؤاد باشا أمر واحد أطلبه من رفعتكم وهو أن أرسـل اليكم غدا هـذا الضابط الصغير لتطيب خاطره فرحب النحاس باشا بذلك كل الترحيب •

وفى صبيحة اليوم التـــالى ــ اتصل فؤاد باشـــا تليفونيا باللواء سليم زكى باشا حكمدار القاهرة ــ وكلفه بأن يذهب الساعة ١٢ ظهـــرا لمقابلة النحاس باشا فى مكتبه برئاســـة مجلس الوزراء ومعـــه وبرفقته الضابط الذى وكزه النحاس باشا فى محطـــة مصر أمس ومعهما أقـــدم ضابط من كل رتبه فى شرطة القاهرة . فتوهم اللواء سليم زكى ان النحاس باشا لازال مستاء من تصرف الشرطة فى المحطة وانه يريد تأنيبهم عـــلى ذلك والخذ يعتذر لفؤاد باشا ويرجـــو أن يصفح النحاس باشـــا عنهـــم فانتهره فؤاد باشا وقال له نفـــذ ما قلته لك ولا داعى للمناقشـــة فامتثل سليم باشا زكى لأمر الوزير (وتوجه جمعهم ــ سليم زكى والملازم أول ــ والضباط من كل الرتب) الى مكتب النحاس باشا فى مجلس الوزراء ــ فاستقبلهم واقفا ــ وسأل عن الضابط الذى دفعه بالأمس فتقـــدم نحوه ولكن بتردد ومازال يتقـــدم خطوه بعد الأخـــرى والخـــوف يتملكه من النحاس باشا حتى اذا ما أصبح بين يديه .. أخذه النحاس باشـــا فضمه الى صدره وقبله فى جبينه وطيب خاطره واعتذر له عما صـــدر منه .. هنا بكى الضابط تأثرا .. وفاضت عيون زملائه بالدموع على بر الزعيم وعطفه وحنانه وقلبه الكبير .

ثم راح النحاس باشا يسأل اللواء سليم باشا زكى والضـــابط فى لهجه كلهاه ابوة وحنان ــ هلازلتم متأثرين مما وقع منى بالأمس .

فرد سليم باشـــا زكى والعبرات تختلط بصـــوته (أبدا يا رفعـــة الباشـــا) حقا انه الانسان الذى لم يغيره السلطان ، المعتد بشخصه ، المعتز بنفسه ، بل انها الزعامة الواثقة بنفسها الى أبعد الحدود ، المدركة بحق كل فرد من أفراد الشعب فى عنقه دون قيود ، صغر هذا الفرد أم كبر ، عز أم هان ، كما علمه القرآن .

وفـاة الزعـيم

وفى تمام الساعة السابعة من صباح الثالث والعشرين من أغسطس سنة ١٩٦٥ فاضت روح مصطفى النحاس باشا الى بارئها راضية مرضية
يوم شهر عام
(عن ٨ ٢ ٨٦) بعد حياة مريرة ، ورحـلة عسيرة ، ارتضـاها لنفسه فى سبيل مصر وشعبها ، ويشاء الله جلت قدرته أن يختار خليفـة سعد فى نفس اليوم الذى اختـار فيه سـعد (فى الثالث والعشرين من أغسطس سنة ١٩٢٧) •• حكمة بالغـه ، ودلالة قاطعه ، على ان زعامة مصطفى النحاس ، هى امتداد لزعامة سعد زغلول •

مقدمـات الـوفاه

لزم مصطفى النحاس فراشه أياما قلائل بمنزله بالاسكندرية بمرض الشيخوخة لكنه ظل حاضر البديهه مدركا لكل من حوله يقرأ ما يحفظـه من كتاب الله الكريم حتى آخر يوم فى حياته وهو فى فراشه •• وفى الساعه الخامسة من صباح يوم الوفاة اجتمع حوله شريكة حياته وابنـه الوفى وتلميذه فؤاد سراج الدين • بعد أن بدت عليه تراجع صحته مع أنه ظل يقرأ القرآن الكريم بصـوت مسـموع •• وعنـدما اقترب الوقت من الساعة السابعه صباحا كان يقرأ قول الله تعالى « انا سمعنا مناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفـر لنا ذنوبنا وكفر عنـا سيآتنا وتوفنا مع الأبرار •••• وبعدها قال ••• الله ••• ثم سكت ••• وكانت النهاية » فما أجملها من نهاية ان يذكر الانسان اسم اللـه •• ثم يلقى ربه ••• كانت آخر كلمة نطقها لسانه •• وبعدها صعدت روحه •• الى ربها طاهرة مطهره •• فتساقطت الدموع من عيون شريكة حياته ورفيق نضاله وجميع من حوله حزنا على فراق أعظم زعيم واتقى زعيم وأنظف زعيم وأصلب زعيم وأطهر زعيم ••

« ما بعد الوفاة »

قام سراج الدين على الفور بالاتصال بالسيد / حمدى عاشور محافظ الاسكندرية وأبلغه النبأ ، فكان رجلا والرجال قليل ، وكان عظيما فى مسلكه ، فقام من جانبه باعلان نبأ الوفاة فى الاذاعة المحليه لمحافظة الاسكندريه أكثر من مرة .. فنقلتها عنها اذاعة البرنامج العام .. والجرائد القوميه .. فكان لهذا أثره فى معرفة الشعب بخبر الوفاة .. وقام السيد حمدى عاشور من جانبه باتخاذ الاجراءات لتشييع الجنازة رسميا بالاسكندرية الا ان سراج الدين شكره على جميل مشاعره وعارض هذه الفكره وأصر على أن يكون تشييع الجنازة فى القاهرة صباح ١٩٦٥/٨/٢٤ . فما كان من الرجل الا أن أمر باعداد عربة اسعاف لنقل جثمان الزعيم من الاسكندريه الى القاهرة وابى الا ان يصاحب الجثمان مع سراج الدين وغيرهم من رجالات الاسكندريه وغيرهم حتى دار الزعيم بجاردن سيتى .. موقف يذكر للسيد حمدى عاشور محافظ الاسكندريه ويشكر عليه ..

« تشييع الجنازة »

علمت بنبأ الوفاة فى مصيفى برأس البر فى ساعة متأخرة مساء ٦٥/٨/٢٣ من أحد كبار رجالات وزارة التربية والتعليم (الاستاذ حسن الشجيع) حينما كان يعودنى لمرضى — فوقع النبأ على وقع الصاعقه واضطررت لمغادرة الفراش رغم ان درجة حرارتى كانت فوق ٣٨° وذلك لاعداد العدة لسفرى فى الصباح الباكر وعبثا حاول الرجل أن يخفف من وقع المصاب وان يمنعنى من مغادرة الفراش . فأنه محال أن يفوتنى شرف وداع الزعيم الى مقره الأخير مهما كلفنى من غالى التضحيات .

وبفضل من الله وتوفيقه وصلت فى صباح اليوم التالى الى منزل

الزعيم قبل أن يغادر جثمانه الطاهر داره — وجدتنى أمام جسده المدثر فى كفنه الناصع البياض كقلبه — وهو مسجى على محفته • فرحت فى هستريا اقبل ذلك الجسد الطاهر وفى صعوبة بالغة انتزعنى الاستاذ يس سراج الدين المحامي وآخرين بالقوة ثم وضعوه فى نعشه •• وحملناه على أعناقنا حتى باب الدار الرئيسى واذا بأحد رجال الشرطة ينهال ضربا على شاب هتف قائلا (الى جنة الخلد يا نحاس) أدركت مجموعتنا الصغيره التى تحمل النعش ما تنتويه السلطة الغاشمه من شر لكل من يفكر فى كلمة بريئة ، يودع بها الزعيم ، كنا فى هذا الوقت قلة ، لا يزيد عددنا على عشرين رجل وشاب ، فاضطررنا أن نضع النعش فى السيارة المخصصة لذلك ، وسرنا أمامها على الأقدام ، نقرأ قول الله تعالى بصوت مرتفع صورة الاخلاص (قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد) ثم نعيد قراءتها بصوت عال والسيارة من خلفنا وكلما تقدمنا خطوه ازداد عددنا وحينما وصلنا الى جامع عمر مكرم بميدان التحرير أصبحنا كثره بعد أن كنا قله ولكن أصبحنا فى الحقيقة قطرة فى بحر من البشر ، مئات الآلاف التى كانت تنتظر فى السرادق وحوله وفى الميدان وفى كل مكان • ما كادت ترى السيارة المقلة لجثمان الزعيم حتى ارتفعت الأصوات مهللة مكبرة •• الله أكبر ••• الله أكبر ••• واندفعت نحوها كالموج الهادر ونحو بابها •• أخذت تفتحه عنوة وادركوا بحاستهم التى لا تخطئهم ان الشرطة قد وضعت خطة للحيلولة بينهم وبين حمل جثمان زعيمهم على رءوسهم وفوق أكتافهم ، ولكن ارادة الشعب التى هى من ارادة الله ، انتصرت على ارادة الحكومة ، فكان لهم ما أرادوا فحملوا النعش على رءوسهم ، وانفجر المكان بالتصفيق لمرأى النعش فوق الرءوس وكأن الرئيس قد أطل عليهم كما عودهم ، فسرى الحماس مسرى الكهرباء فى جموعهم ، ووجدت نفسى وسط أمواج من البشر لا حصر لها ولا حدود ، النعش فوق الأكتاف وعلى الرءوس ، وكنت لا ترى الا رءوسا من حوله ، والأجساد من حولها التصقت بعضها

البعض كالجسد الواحد ، وان النعش لأشبه بقطعة من السكر محمول فوق اسراب من النمل لا حصر له •• وسـارت الجنازة مسـارا طويلا فريدا مسارا لم تشهد مصر له مثيلا ، فسـارت من ميدان التحـرير مخترقة شـارع سليمان باشا فشارع صبرى أبو علم ، وفى مسجد الكخيا صلت جماهير الشعب على الجثمان الطاهر • وبعد الصـلاة ارتفعت الأصـوات منادية الى الحسين ••• الى الحسين ••• (الى مسجد الحسين بن سـيد الشـهداء) فمضت الجنازة فى طريقها تزداد كثافة خطوة بعـد خطوة مخترقة شوارع القاهرة وميدان العتبة الخضراء وشارع الأزهر ••• كل ذلك والهتافات على طول الطريق تشـق عنان السماء « الى جنة الخـلد يا نحاس ، عشت زعيما ومت زعيما ، بالمحبـة أيدناك وبالمودة شيعناك ، ماتت الزعامة من بعدك يا نحاس ، الى جوار سعد يا نحاس » •

وفى ميدان الحسين تجمعت الشرطه وبكثافة مزودة بأنواع عـديدة من الأسلحة والعصى والهراوات والبنـادق والغـازات المسيلة للدموع والسيارات والموتوسيكلات — استعدادا لخوض معركة — ودخل النعش وحاملوه حرم المسجد فاذا به يضيق على سعته بجمهور مشـوق لوصول الزعيم فتصاعدت التكبيرات — الله أكبر — الله أكبر — وكان للدراويش صوت مسموع فى استقبال ركب الزعيم بأناشيد واهازيج قائلين راقصين ضاربين على الدفوف « يا ابن بنت الحبيب الزين جالك الزعيم الزين » وصلى على الجثمان للمرة الثانيه وخـرج النعش محمـولا على اعنـاق الجماهير رغم طلقات رصـاص الشرطة فى الهواء • والقنـابل المسيلة للدمـوع فى محـاولة للاستيلاء على النعش لوضعه فى احدى العـربات الحكومية • لكن الجماهير رفضت رفضا باتا تلك المحاولة الحقيره وواجهت القوة الغاشمه بقوة الايمان الفياضـة وتم وضـع النعش فى السـيارة المخصصة له وسارت وسار من خلفها رتل من سيارات كبار المشيعين الى البساتين حيث مقبرة الزعيم التى بناها لنفسـه وعلى جانبى الطـريق شوهدت العربات المصفحة وعربات الجيب التى رصدتها الحكومة لاشاعة

الخوف فى نفوس المشيعين ويأبى الله الا ان يكون هذا المظهر مظهر حكومى لتكريم الزعيم فى رحيله أراده الله له .. على يد الحكومة .. دون قصد منها .

وعلى أرض المقبره صلى على الجثمان صلاة الجنازة للمرة الثالثة انه والله لحدث فريد فى نوعه أن يصلى على « ميت » صلاة الجنازة ثلاث مرات وإن دل ذلك على شيء فانما يدل على صلة قوية بين الزعيم وربه وحدث ولا حرج عما شاهدوه مسجوه فى القبر « نور شديد اضاء قبر الزعيم التقى النقى الورع » حقا لقد حقق الله للزعيم دعاءه الذى كان يردده دائما فى صلاته (اللهم أنر قبرى) .

وفى المساء ضاق السرادق على سعته بالمعزين — لم يكن سرادق عزاء بل كان سرادق فرح كبير (عم الجميع) وراح الجميع يتحدث عن عظمة الجنازة وعن وفاء الشعب بكل طبقاته وفى المقدمة شبابه .

وقال الاستاذ خالد محمد خالد كلمة معبرة أصدق تعبير عن عظمة الجنازة « لقد رأيت النحاس باشا فى حياته خطيبا مفوها ولكنى أراه اليوم فى مماته أخطب منه فى حياته » .

ومما استلفت النظر حقا فى جنازة الزعيم ان عنصر الشباب كان يمثل الاكثرية الساحقة فى وداع الزعيم ، الشباب الذى لم ير النحاس ، وحرمهم المسئولون من الوقوف على تاريخه وجهاده ونضاله دفاعا عن مصر واستقلالها وذودا عن دستورها وحرياتها ، جنازة شعبية لا مثيل لها أرادها الله لمصطفى النحاس — عوضا عن جنازة رسمية حكومية كان لزاما على الحكومة أن تقررها وأن تشترك فيها باعتبار أنه كان يحمل أرفع الأوسمة وان تاريخه جزء من تاريخ مصر — وان أقل منه بكثير احتفل بتشييع جنازته رسميا ولم يقدم لوطنه شيئا — ولكنه الحقد الذى تملك من قلوبهم ، حرمهم من هذا الشرف ، وأراد الله الذى

يعلم السر والعلن ، ان يرد كيدهم فى نحورهم ، فكرم مصطفى النحاس ، تكريما شعبيا أعظم من تكريمهم الحكومى ، وشاء أن يكون وداعــه على الصورة التى عاشها بين شعبه فى جنازة شعبية لا جنازة رسمية ، ويكفيه فخرا وفخارا تلك المشــاعر الفياضة ، والدموع المتساقطة ، والهتافات المتصاعدة التى تشق عنــان السماء ، من قلوب فياضة بالحب والوفاء •

ويطيب لى أن انقــل لحضراتكم ما كتبته السيدة الفاضلة (زينب الغزالى) فى كتابها (أيام من حياتى) عن « وفاة رفعة مصطفى النحاس » قالت ••••

عرفت من السيدة عليه حسن الهضيبى •••••

« ان رفعة مصطفى النحاس مات بعد دخولى السجن بيومين أو ثلاثة وحدثتنى عن جنازته عن الالوف المؤلفة التى كانت تسد جميع الطرقات عن المظــاهرات ، عن خطف النعش حتى مســجد سيدنا الحســين عن الهتافات بالا زعيم بعد النحاس ، عن بعض شعارات الاخــوان المسلمين وسط مسيرة الجنازة عن محاولات بعض أجهزة الدولة الوقوف أمام هذا الطوفان ، عن تعليق الاعلام الخارجى على ما حدث •• وكان حديثا طويلا صريحا لقد انتهزت جماهير الشعب فرصــة وفاة النحاس — لتبدى رأيها صريحا واعتقــادها سليما فهتفت معلنــة تشــق بهتافها ســماء مصر « لا زعيم بعدك يا نحاس » فكأنهــا بتلك الصرخــات المدوية تعبر عن حرمان مكبوت فى النفوس والقلوب والمشاعر والوجــدان فكأنها تقــول « أيتها الزعامات الباطلة اسقطى » •

نعم لقد كانت جنازة النحاس اذان حق واعلان صــدق عن سريرة مصر والمشاعر الحبيسة فى نفوس أبنائها والحرية المكبوتة وشدنى الحديث الى ذكريات كثيرة عن مصطفى النحاس ذلك الرجل الذى لم يحقد يوما على اعدائه ، وكان لا يعز عليه أن يعترف بالخطأ اذا أخطأ لقد كان زعيما

وطنيا — لقد كانت صورة التشييع كما نقلتها لى عليه تعطى اشارة صريحة وقوية الى أن نبض هذه الأمة لم يتوقف رغم كل ايماءات أجهزة الاعلام التى خدعت الناس وبخاصة خارج مصر فظنوا الطاغوت انسانا — ظنوه المنقذ — ما حدث كان يعنى انه — باذن الله — سيأتى اليوم الذى تكشف فيه الحقائق ليعلم الناس حقيقة حكامهم وما يبيعون وما يشترون يبيعون شعوبهم وضمائرهم ويشترون مقاعد للحكم مقابل سحق الاسلام والمسلمين ، انه لتخطيط رهيب •

« ما بعد الجنازة »

لقد أنكرت حكومة مصر (الثورية) حق مصطفى النحاس عليها (ميتا) فرد الشعب عليها ابلغ رد بهذا الوداع الفريد فى حياة الشعوب الحرة التى تحفظ لزعمائها قدرهم وتضعهم فى المكانة اللائقة بهم احياء وأمواتا ، رضى حكامهم أم لم يرضوا ، وليتها وقفت عند حد انكار تشييع جنازة الرجل رسميا من منطلق حقدها عليه واسدال الستار على هذه المأساة الخلقية ، لكن حقدها كان أكبر وأضخم من أن تحتويه استار ، أو تخفيه زيف المشاعر ، فقد كانت عظمة الجنازة أشبه باستفتاء شعبى ، أتى على حكمهم الواهى من أساسه ، فراحت تفكر فى الانتقام من هذا الشعب والبطش به ، فلم تجد ابلغ رد ، وأعظم بطش ، من أن تحرم مجموعة منا نحن « الوفديين » « آبناء مصطفى النحاس المخلصين » من حريتهم الشخصية فاستصدرت القرار الجمهورى رقم ٣٤٣٢ مكرر باعتقالنا مدة عامين وشهرين وعشرين يوما أى خلال المدة من (٢٤ / ٨ / ٦٥ — ١٤ / ١١ / ١٩٦٧) وكنت واحدا منهم اعتقلتنا الحكومة الوطنية الرشيدة الثورية عن جريمة لم نسمع بها فى التاريخ القديم أو الحديث — عن عمل كان ولا يزال محمودا تردد عنه فى الأمثال « امشى فى جنازة ولا تمشى فى جوازه » ولكن حكومة الثورة

قلبت الموازين وكفرت بالأمثال وبالمثل وبالوفاء فهل يجازى انسان مسلم سار فى جنازة أخيه المسلم ، وهل يجازى مصرى سار فى جنازة الزعيم مصطفى النحاس الذى أعطى كل حياته لمصر ولم يخلف وراءه مالا ولا ولدا بان يلقى به فى الظلمات خلف الأسوار دون تحقيق محروما من حريته . بعيدا عن أطفاله وزوجته . مقطوعة صلته بوطنه ومواطنيه واسرته ، لا يدرى من أمرهم شيئا طوال مدة اعتقاله . محروما من الكتابة والقراءة والاطلاع . وسماع المذياع ، انه الحى الميت . معاملة أحط من معاملة المجرمين العتاة الخارجين على القانون . ففى الوقت الذى يسمح فيه لعائلات المجرمين بزيارتهم لا يسمح لعائلات المعتقلين بزيارتهم أو الكتابة اليهم • وعلى الجملة فان الحياة فى مجملها داخل أسوار المعتقلات أحط من حياة العبيد أيام ان كان لهم أسواق تباع فيها وتشترى بل أحط من حياة البهائم العجماوات التى كرمها خالق الأرض والسموات • يالها من أوضاع ، سببت لنا الدمار والضياع ويأبى الله فى علاه الذى حرم الظلم على نفسه وعلى عباده الا أن تكون فترة اعتقالنا هى « فترة النكسة » هى أظلم فترات التاريخ فى حياة مصر لا اعادها الله ثم تفضل حكامنا القساة غلاظ الأكباد أصحاب القلوب السوداء وافرجوا عنا بالقرار الجمهورى رقم ٢٠٢٦ الصادر فى ١٤ / ١١ / ٦٧ •

قائمة الشرف بأسماء المعتقلين

السادة / أحمد صادق ، أحمد عبد الجواد وهبه ، البسطويسى صديق ، حسن حصان ، حسين كامل ، حافظ شيحا ، اللواء زكى زهران ، صفوان رمضان ، طلعت رسلان ، سعد المنصورى ، عبد العزيز الدرملى ، على ابراهيم سلامه ، على السيد على شابون ، على الجزار ، لطفى المحرصاوى ، محمد أحمد على ، مرسى مصطفى مرسى ، سيف الدين الغزالى ، محمد يوسف جعفر ، محمد كامل ، مصطفى ناجى ، يس سراج الدين ، يوسف محمد الدموهى •

لولا الوفـد

ولولا مصطفى النحاس

رب قائل يقول . ماذا عاد على الأمة من صراع مصطفى النحـاس مع الملك ؟ وماذا عاد على الوطن من كفاح مصطفى النحـاس ؟ لقـد كان الأحرى بالوفد أن يوجه جهوده الى بناء الانسان المصرى ومحو أميتـه من خلال مدارس أو فصـول تشرف عليها لجـان الوفد العديدة المنتشرة فى المدن والقرى ؟

وردا على ذلك نقول :

* لولا الوفد ، وسعد ومن بعـده مصطفى النحاس لخلت سـاحة مصر من ذلك النضـال المرير الذى عاشته عشرات السنين مطالبة سلطات الاحتلال الغاشم بالاستقلال التـام لوادى النيل (مصره وسـودانه) الجاثم على أرض الوطن فى كل مكان فى القـاهرة والاسكندرية ومـدن القنال وعواصم المحافظـات ولظلت مصر حتى اليـوم تحتلهـا جيوش الاحتلال فى كل مكان .

* لولا الوفد ، وسعد ومصطفى من بعده ما ارتفع صـوت ينادى بالحـرية ، ويدافع عن الدستور ، وأن الأمة مصدر السلطات .

* لولا الوفد ومصطفى النحاس لما تكون رأى عام ولأصبح الملك وحاشيته ومن يدورون فى فلكهم دون سـواهم ، يحكمون مصر حسـب هواهم ، ورغب مشيئتهم .

* لولا الوفد ، ومصطفى النحاس لحكمت مصر حكما شـموليا ، بالحديد والنار ، كهذا الحكم الذى عشناه أكثر من ربع قرن من الزمان ، ووصلنا على يديه الى أزمات فى كل ناحية من نواحى الحياة .

* لولا الوفد ومصطفى النحاس ورجال الوفد الأبرار ما كان لنا تاريخ يذكر ولا أمجاد تسـطر .

* لولا الوفد ومصطفى النحاس ما سجل لنا التاريخ تلك الوقفه التى وقفها نواب الشعب يحطمون السلاسل التى وضعتها الحكومة على أبواب مجلس النواب سنة ١٩٣٠ لتحول دون اجتماعهم بالقوة الغاشمة ولكنهم أبوا فحطموها بالمعاول بأمر من ويصا بك واصف رئيس المجلس ومساندة حرس البرلمان وانتصرت ارادة الشـعب على ارادة الحـكومة الخارجة على ارادة الشعب .

* لولا الوفد ومصطفى النحاس ما كانت ثورة عمـال ترسـانة السكك الحديدية ضد حكومة صدقى باشا سـنة ١٩٣٠ وسـقط منهـم عشرات الشهداء مطالبين بالحرية وعودة دستور سنة ٢٣ الذى اكتسـبه الشعب بجهاده وكفاحه .

* لولا الوفد ومصطفى النحاس ما قامت ثورة الطلبة سـنة ١٩٣٥ التى كان من شهدائها عبد الحكم الجراحى وعبد المجيد مرسى وعلى طه مطالبين بالغاء دستور سنة ٣٠ وعودة الحـريات ودستور سـنة ١٩٢٣ واتحـاد الزعماء فى جبهة وطنيه برئاسة « مصطفى النحاس » .

* لولا الوفد ومصطفى النحاس ما وقعت معاهـدة سـنة ٣٦ التى كان من أثرها جـلاء قـوات الاحتـلال عن القاهرة والاسكندرية وعواصم المحافظات فورا والجلاء التام فى ١٨ / ٦ / ١٩٥٦ .

* لولا الوفد ومصطفى النحـاس ما الغيت الامتيـازات الأجنبية سنة ١٩٣٧ فى مؤتمـر مونتريه على يد مصطفى النحاس — ولظل سيفها مسلطا على رقاب كل مصرى حتى اليوم ممـا يجعله فى مركز أحط وأدنى من مركز الأجنبى . ولما اطلق يد المشرع المصرى فى المساواة بين الأجنبى والمصرى .

* لولا الوفد ومصطفى النحاس ما كانت مظاهرات الطلبة سنة ٤٦ التى أسقطت معاهدة صدقى بيفن فى المهد — وحالت دون مد امتياز قنال السويس •

* لولا الوفد ومصطفى النحاس ما جرؤ حاكم مصرى على الغاء معاهدة ١٩٣٦ التى قال فيها مصطفى النحاس تحت قبة البرلمان قولة سمعتها الدنيا باسرها « من أجل مصر وقعت معاهدة سنة ٣٦ ومن أجل مصر اطالبكم اليوم بالغائها » •

* لولا الوفد ومصطفى النحاس ما كانت معركة القنال •• تلك التى ساندتها الحكومة فى مواجهة قوات الاحتلال فى السر والعلن بالقول والعمل •

* لولا الوفد ومصطفى النحاس ما استصدرت وزارته قانونا أثناء معركة القنال يقضى بتحريم اشتغال العمال المصريين بقاعدة القنال البريطانية سنة ٥١ فأصبحت القاعدة بمقتضاه خرابا يبابا بسبب تجاوب العمال تجاوبا لا حد له بدافع من جارف وطنيتهم •

* لولا الوفد ومصطفى النحاس ما كانت معركة رجال شرطة محافظة الاسماعيلية يوم ٢٥ يناير سنة ١٩٥٢ الذين رفضوا فيه اخلاء نكثاتهم تنفيذا لأوامر فؤاد سراج الدين وزير الداخلية وواجهوا قوات المحتل فى قوة غير متكافئة ايمانا بحق وطنهم •• وسقط منهم عشرات الشهداء •• واتخذ رجال الشرطة هذا اليوم عيدا وطنيا لهم يحتفلون به كل عام ••

* لولا الوفد ومصطفى النحاس لخلا تاريخنا من ذلك النضال الذى سطره التاريخ لجيل ثورة سنة ١٩١٩ •

❋ لولا الوفد ومصطفى النحاس ما كانت حركة الجيش (٢٣ يوليو سـنة ٥٢) فهى أثر من آثار الوطنيه التى سرت مسرى الكهرباء بفضل جهاد مصطفى النحـاس وزملائه من رجـالات الوفد وصحافته وكتابه الأحـرار •

❋ لولا الوفد ومصطفى النحاس •• ما بقى لمصر دستور ، وما قام بها قضاء ولا عدل ولا ميزان •

❋ لولا الوفد ومصطفى النحـاس •• لا نطفأت جـذوة الوطنيه المصرية ولما كانت مصر فى جميع مجالاتها الوطنية والاقتصادية والثقافية والأدبية والخطابية والفكرية والفنية وفى شتى مجالات الحياة • فالوفـد باعث الحياة فى مصر ، ونضال سعد ومن بعده مصطفى النحاس هى النار التى اشعلت فى النفوس انتفاضات الشعب وثوراته ، لم تقم هذه الحركات من فراغ ولكن الداعى لها والباعث عليها والمزكى لقيامها هو الوفد بزعامتيه وانه الصخرة التى تحطمت عليها كل قوى الشر وكل قـوى الطغيان وان مصطفى النحاس خير قائد لأعظم أمه فى أحلك الأوقات •

أما القول بتفرغ الوفد عن طريق لجانه ببنـاء الانسـان المصرى فهو قول نظرى خال من التعمق والفكر اذ كيف نطالب الوفد وهو يقـود معركتين أساسيتين شرستين الأولى مـع محتل غاصب والثانية مـع ملك طاغ مستبد يريد أن يسلب الشعب جميع حقوقه وحـرياته حتى آخـر يوم من أيام حكمه ورأى من حوله جمـاعة المستوزرين تؤيده وتسانده عدوان دائم على الدستور عن طريق حاشيته وأعـوانه والمستوزرين ثم نطالب الوفد بالانصراف عن خطير الأمور فى حيـاة الشعب • وحقـه فى الحرية والاجتمـاع وفيما كفله الدستور لـه من كافة الحقـوق فى أن الأمه مصدر السلطات وكلمتها هى العليا •• وحكامها خدامها •• ننصرف عن ذلك لكى يصبح حاكمها السيد الأعلى والبقية هى العبيد • يأمر فيطاع •• لا معقب لحكمه •• ونكتفى بأن نعلم النـاس القـراءة والكتابة ••

أو نثقفهم •• وقد يحال بيننا وبينهم •• بدعوى ان الاجتماعات السياسية ممنوعة بحكم القانون الذين فى استطاعتهم أن يضعوه ثم تعالوا معى نتساءل وهذه حركة الجيش منذ قيامها فى يوليو سنة ١٩٥٢ حتى اليوم بمسمياتها المختلفة (هيئة التحرير — الاتحاد القومى — الاتحاد الاشتراكى تنظيم الوسط — حزب مصر — الحزب الوطنى) وهى السلطة العليا فى البلاد أليس من حقنا أن نتساءل — لماذا لم توجه جهودها لبناء الانسان المصرى على امتداد ثلاثين عاما منذ قيامها خصوصا بعد أن تخلصنا من الاحتلال البريطانى •

منجزات
« حكومات الوفد »

تولى « مصطفى النحاس » حكم مصر (٥) مرات اثر انتخابات حره كانت تجريها وزارات محايده تسفر عن فوز الوفد بالأغلبية الساحقة التى يمنحها الشعب اياه ثقته بقيادته واستمساكا بزعامته وايمانا بنزاهته، ومع ذلك فكان الملك لا يترك لوزارة الوفد فرصة استمرارها فى الحكم الى آخر مدتها الدستورية فكان يلجأ بعد أشهر معدودة الى اقصاء « مصطفى النحاس » عن الحكم بالاقالة مسيئا استعمال نص دستورى قاصدا عدم استمرار الوزارة واستقرارها حتى لا تتمكن من تقديم مزيد من الخدمات والاصلاحات والتشريعات التى تعود بالخير كل الخير على الشعب فتنزل الاقالة على الشعب والوزارة كالصاعقة فتصيبهما معا بالدوار وتحطيم الآمال عل الوفد يستسلم وتخور قواه ويخر راكعا كبقية الأحزاب ويمضى فى ركاب الملك لا يناقشه الحساب لكن الوفد الذى عاهد الشعب على الوفاء للشعب وحقوقه دون سواه محال أن يستسلم أو يضعف أو تخور قواه ، يروح يبعث الهمم ويدعو من جديد

للنضـــال وعــدم الاستسلام وتدور عجلة النضـــال بين الوفـــد والملك وأحزاب الأقلية وتدور الأيام وينتصر الوفد والشعب لأشـــهر معدودات وتدور العجـــلة ثانية الى الوراء من جـــديد هكذا يوم صعود ويـــوم هبوط ويوم نساء ويوم نسر ولقد بلغت مدة الحكم التى حكمها مصطفى

يوم شهر سنه

النحاس فى المرات الخميس ٧ ٢ ٧ سبع سنوات وشـــهران وسبعة أيام معـــدودات خلال زعامتـــه التى يزيد عمـــرها على ٢٥ عاما (١٩ / ٩ / ٢٧ ـــ ٢٣ / ٧ / ٥٢) أى منذ توليـــه زعامة الأمـــة بعـــد وفاة سعد زغلول حتى قيام حركة يوليو ســـنة ٥٢ على التفصيل الآتى : ـــ

الوزارة الأولى	٢٨/٣/١٦ ـــ ٢٨/٦/٢٥	اقالة	٩	٣	ـــ
الوزارة الثانية	٣٠/١/١ ـــ ٣٠/٦/١٩	استقالة	١٨	٥	ـــ
الوزارة الثالثة	٣٦/٥/٩ ـــ ٣٧/١٢/٣٠	اقالة	٢١	٧	١
الوزارة الرابعة	٤٢/٢/٤ ـــ ٤٤/١٠/٨	اقالة	٤	٨	٢
الوزارة الخامسة	٥٠/١/١٢ ـــ ٥٢/١/٢٧	اقالة	١٥	ـــ	٢

هذا بينما أحزاب الأقلية التى لا تستند الى ارادة الشعب ولكنهـــا تستند الى رضاء الملك وحده ضاربة عرض الحائط برضاء الشعب حكمت

يوم شهر سنه

مصر ٢ ٨ ١٦ أى أكثر من ضعف المـــدة التى حكمهـــا زعـــيم الشعب ومع ذلك لم تنجز أحزاب الأقلية مجتمعة ما أنجـــزته حـــكومة مصطفى النحاس منفردة فى أقـــل من نصف المـــدة التى حكمتها لانهـــا

لا تؤمن بنبض الجماهير •• ولا تعيش مطالب الشعب انما تعيش مصالحها الذاتية ومطامعها الخاصة ••

لقد أنجزت حكومات الوفد الخمس خلال سنوات حكمها السبع انجازات عارمة وخالدة انجازات هى بحق كانت اللبنات الأولى فى بناء مصر الاشتراكية مصر الديمقراطية مصر الحرية رغم وجود الملكية الفاسدة والأقلية المتآمرة ودار الحماية البريطانية الآثمة ، ولكن ايمان مصطفى النحاس واخلاص من حوله صنع المعجزات رغم انه لم يكن وهو فى الحكم لم يكن سلطة نهائية ، لأنه لو كان لتبدل الحال غير الحال . أرأيتم انه استقال ، حينما استحال عليه أن يوقع مرسوما من الملك سنة ٣٠ بقانون محاكمة الوزراء بمقتضاه يتم محاكمة الوزراء اذا خرجوا على الدستور أو القانون أو اساءوا استعمال المال العام — بينما الملك يريد حماية هذا الصنف من الوزراء لأنه يستعين بهم ضد الشعب (ما أشبه الليلة بالبارحة) •• لم يكن لمصطفى النحاس أو لغيره من رؤساء الوزرات حق اصدار القوانين لأنه رئيس وزراء فى دولة دستورية ملكية قوانينها توقع من الملك وتعرض على البرلمان بمجلسيه (النواب والشيوخ) لمناقشتها والموافقة عليها ثم التوقيع عليها من الملك ثانية دورة طويلة واجراءات عقيمة ليست سهلة ميسرة كما نراها الآن بما فيها من تخويل رئيس الجمهورية حق اصدار التشريعات التى لها قوة القوانين حتى فى أثناء انعقاد السلطة التشريعية • ما كان لمصطفى النحاس أو غيره من رؤساء الوزارات السابقين أن تخول له — وان تكون يده هى العليا فى اصدار التشريعات بل يده مقيده ، وحركة مقيده — رئيس حكومة دستورية بحق . ملتزم بالدستور نصا وروحا • ومع تلك النصوص وتلك القيود استطاعت وزارات مصطفى النحاس أن تنجز الكثير واليكم موجزا لأعمالها حيث ان المجال لا يتسع لتفصيل هذه الأعمال •

(١) الغــاء سخرة النيل سنة ١٩٣٦

ألغت وزارة الوفد سنة ٣٦ — سخرة النيل — تلك التى كان يســوق فيها عمد القرى ومشايخها خيرة شباب القرية ورجالها الفقــراء دون الأغنياء والوجهاء دون مقابل لحراســة جسور النيل أيام الفيضــان • ضريبة يدفعها أبناء الريف دون أبنــاء المــدن كل عام ينقطعون فيها عن أرضهم ومصالحهم وأسرهم انقطاعا تاما وقد يترتب على ذلك أن تتعرض مصالحهم للدمار ولكنه النظام القائم على الاستبداد •

ولكن مصطفى النحاس — القروى — الذى انحدر من بطون الريف — يعرف المشكلة من جذورها — وعاشها ، ولمس مدى قســوتها وظلمها ، وانهــا كانت سلاحا فى يد العمد والمشــايخ يستغلونها ضد خصــومهم للنيل منهم وضد الشرفاء باذلالهم فعمل فى وزارته الثالثة سنة ٣٦ عــلى الغائها ومحو آثارها من نفوس المواطنين — فكان بعمله هــذا أول رائد للســلام الاجتماعى فى الشرق وكاذب من يدعى خلاف مصطفى النحاس انه صانع للســلام الاجتماعى أو مبتدعه فمصطفى النحاس هو صانعه وهو مبتدعه سنة ٣٦ •

(٢) الغــاء ضريبة الخفر ســنة ١٩٣٦

وكان عمد القرى ومشايخها يقومون بتوزيع اعباء هذه الضريبة على فقراء أهل القرية دون اغنيائها • واعفاء الأهل والاقرباء والاصهار على حساب الفقراء ، تفــرقة فى المعاملة بين النــاس دون رعاية من ضمير ، أو خشية من اله على كبير ، وكثيرا ما تسببت هــذه الضريبة فى خــراب بيوت كثير من أهل القرى فى بيع مواشيهم وحليهم وأثاث بيوتهم سدادا لهذه الضريبة الظالمة الجائرة التى ربطت (فرضت) على غير أســاس •• وتأبى عدالة النحاس •• الا أن يستصدر قانونا بالغائها عام ســنة ١٩٣٦ فى وزارته الثالثة •• لأنه ألمس الحكام بظلمها وجورها ••

(٣) الغاء الامتيــازات الأجنبية سنة ١٩٣٧

وكان لمصطفى النحاس فى وزارته الثالثة ســنة ١٩٣٧ الفضــل كل الفضل فى الغاء الامتيازات الأجنبية فى مؤتمر مونتريه بموافقــة الدول صاحبــة الامتيــازات ورضائهـــا دون أحــداث هزات تعرض البــلاد للمخاطر • وفى هذا المؤتمر العالمى الذى اتجهت اليه أنظار الدنيا بأسرها تم اختيار « مصطفى النحاس » رئيسا لهذا المؤتمر بالاجمـــاع اعترافا بمكانته ، وتقديرا لشخصيته • ولا غــرابة فى ذلك فان طلاقته فى اللغــة الفرنسية ومعرفته بها كأحد أبنائها ــ وهى اللغة الرسمية فى المؤتمرات الدولية كان مضرب الأمثال ــ أهله لرئاسة هذا المؤتمر بجدارة •

وبالغاء الامتيازات الأجنبية فى مصر ازيح عبء ثقيل عن كاهلها كما تحطم قيد حديدى من يد الشارع المصرى انطلق بعده يجرى تعــديلات فى قوانين البــلاد أصــبح الأجنبى وأمــواله بمقتضاه خاضعا للقوانين والمحاكم المصرية بعد أن كان يحاكم أمام محاكم أجنبية تعقد على أرض مصرية امتهانا لقضائنا وانكارا لقوانيننـــا •• وان الغـــاء الامتيـــازات الأجنبية أثــر من آثار توقيــع معاهدة ٣٦ التى عابــوا على النحـــاس توقيعها •• لقد ظهر بعد عام واحــد هذا الأثر ولكن عيونهم تنكر ضــوء الشمس من رمد •

(٤) قانون استقلال القضـــاء سنة ١٩٤٣

أصدرت وزارة الوفد الرابعة برئاسة مصطفى النحاس قانون رقم ٦٦ لسنة ٤٣ باستقلال القضاء وبمقتضى هــذا القانون أصبح القضـــاء ســلطة مستقلة بذاتها مستقلة عن السلطتين التشريعية والتنفيذية وقــد نظم هذا القانون طريقة تعيين القضاء وترقيتهم ونقلهم وندبهم وعــدم قابليتهم للعزل وواجباتهم وحقوقهم وطريقة محاكمتهم وتأديبهم وتنظيم كل ما يتعلق بأمورهم فلم يترك صغيرة ولا كبيرة الا وقد عالجهــا ووضع

الحلول المناسبة لها بما يحفظ عليهم كرامتهم ويؤمنهم على مستقبلهم واليكم قولة صدق قالها الاستاذ أحمد حلمى رئيس محكمة مصر الأهلية فى حفل عيد استقلال القضاء الذى أقامته وزارة العدل سنة ١٩٤٣ :

فمنذ أن ولى صبرى أبو علم وزارة العدل للمرة الأولى فى خلال سنة ١٩٣٧ عكف على درس وتمحيص المشروعات العديدة التى وضعت فى عهود ماضية المتضمنة قواعد تعيين القضاء ونقلهم وترقيتهم وندبهم وتأديبهم وعزلهم وبتاريخ ٢٣ نوفمبر ١٩٣٧ أصدر معاليه قرارا بتشكيل لجنة سميت (بلجنة استقلال القضاء) برياسة معاليه وناط بها وضع مشروعات تنظيم استقلال القضاء ولكنها **لم تستمر فى عملها الا قليلا لتغير الوزارة** • ولما عاد معالى محمد صبرى أبو علم باشا الى وزارة العدل فى فبراير سنة ٤٢ فعقدت هذه اللجنة عدة جلسات برياسة معاليه وبدأت بوضع الأسس التى يبنى عليها المشروع ثم صيغت نصوصه ثم أعيد بحثها فى اللجنة التشريعية (فى البرلمان) برياسة معاليه ثم أخذ المشروع بعد ذلك سبيله الدستورى فى مجلس البرلمان الى أن توج بالأمر الملكى الكريم بالتصديق عليه واصداره فأصبح دستورا للقضاء الوطنى محققا الغاية السامية التى ننشدها جميعا الا وهى احاطة القضاء بسياج من الضمانات تكفل حسن اختيار القائمين به وتعزز استقلالهم •

أجل ان الضمان الأول لاستقلال القاضى هو ضميره ، فمتى كان الضمير حيا سليما لاتثنيه عن الحق رغبة ولا تأخذه فى تقريره رهبة ، وليس لأحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الأعلى ، ولكن من حق الشعب على الحكومة أن تحصن ضمير القاضى بسياج قوى متين يكفل له فى قضائه الاطمئنان التام اذ هو شرط لازم لحسن أداء العدالة ، وقد حقق استقلال القضاء هذا الشرط بانجع الوسائل دون افراط ولا تفريط فقد قرر مبدأ عدم قابلية القضاة للعزل ووضع لذلك شروطا تقتضيها مصلحة العدالة فأصبح كل قاض منذ صدوره بمأمن من تحكم السلطة التنفيذية فى مصيره وأنشأ مجلسا أعلى للقضاء عهد برئاسته

لرئيس محكمة النقض (؟) وجعل الأغلبية العظمى من أعضائه من رجال القضاء العالى وأوجب أخذ رأيه فى تعيين القضاء ونقلهم وندبهم وترقيتهم وجعل الأهلية أساسا للترقية للمناصب الرئيسية فى القضاء مع مراعاة الأقدمية عند التساوى فى الأهلية — تلكم هى بعض مزايا هذا القانون الذى يحوى كثيرا غيرها يضيق المقام عن ذكرها •

لقد أدت الحكومة واجبها نحو القضاء مشكورة محمودة فقدرته حق « قدره وأخيرا يحق لمصر وقد اكتمل استقلال قضائها واقامت صرح العدالة فيها على الاسس وأقوى الدعامات أن تباهى بنظام قضائها واستقلال قضاتها ومحكم تشريعات دول العالم طرا وان تتبوأ بينها المقام اللائق بها » •

(خطاب)
« مصطفى النحاس »
فى حفل عيد استقلال القضاء

ولنستوعب معى أيها القارئ بعض ما قاله الزعيم « مصطفى النحاس » فى حفل عيد استقلال القضاء سنة ١٩٤٣ •• أثناء رئاسته للوزارة الرابعة ••

لعل من مفاخرنا نحن خدام مصر وقادتها أن نتحدث بنعمة الله علينا ونذكر مهللين مكبرين انه سبحانه جاء بكل هذه المكرمات على أيدينا ، وكان طبيعيا أن نكون أول من يفكر فى اسعاد بلادنا ، ويرفع رؤوسنا ، ويزيد فى اطمئنان مواطنينا على حقوقهم ويشعرهم بأننا رعاة مصالحهم ، فكان من تفكيرنا وعملنا مشروع استقلال القضاء الذى نحتفل اليوم به ، ونشترك جميعا فيه •

واستقلال القضاء ، أيها السادة ، معنى تحسه النفوس حلوا كأنغام الطبيعة جميلا كأحلام الشباب ، طالما تمنى كل مبتغ الخير قاصدا رفعة البلاد ان يكون مظهره بارزا للعيان تغلغله فى النفوس •

استقلال القاضى الذى وكلت حقوق الناس اليه ، وأصبحت أموالهم وأرواحهم وديعة بين يديه ، يجلس فى محراب العدالة قبلة القسطاس المستقيم ، وغايته احقاق الحق وانصاف المظلوم ، لا سيف من نقل أو عزل يسلط عليه ، ولا تهديد ولا وعيد ينال منه ، بل يختلى فى صومعته المقدسة ، هادئة نفسه ، مطمئنا ضميره ، يبحث وينقب ، ويراجع ويقلب ، حتى يصل الى ما يستريح اليه ، وليس عليه من رقيب سوى علام الغيوب .

هذه حال قضائنا من قديم ، وهى ما أوحت الينا أن نظهر ما خفى واستتر ، ونجعله فى حرز أمين .

ألا ما أجل هذا المنظر ، وأجمل وأروع ذلك المظهر ، وأسعد مصر وحكومتها الشعبية اذ احيط قضاتها بضمانات قرت بها عيونهم ، ورفعت بين الناس ذكرهم ، ومكنت لهم استقرارهم ، فلا يقال لقاض بعد اليوم عزلناك لأنك حكمت ، أو أقصيناك لأنك تحديت وما خضعت .

ولقد كان من سياسة حكومتنا أن يتحقق للقضاء استقلاله الفعلى ، لأنه حق القاضى الطبيعى ، وكنا فى كل عهد نتولى فيه الحكم نضع نصب أعيننا تحقيق هذه الأمنية ، والوصول الى هذه الرغبة ، فلم تكن الظروف تواتينا ، ولا الأيام تنتظرنا ، حتى اذا ما ولينا أمر البلاد هذه المره جعلنا من أول ما عنينا به هذا المشروع ومازلنا به حتى أخرجناه وسجلناه ، فأصبح حقيقة قانونية ، فوجد ما كان حقيقة فعلية فى عهد الحكومات الدستورية فأرضينا بذلك ضمائرنا وبلادنا ، ودعمنا سلطة القضاء ثالث السلطات ، وحطناها بكل الضمانات والكفالات .

ولا عجب أن يبلغ حرص وزارة الشعب على استقلال القضاء هذا المبلغ فرئيسها المشرف بخطابكم من صميم الاسرة القضائية محاميا وقاضيا وابن المدرسة التى أخرجت أبناءها ، له الفخر كل الفخر ان يشرفه بالانتساب اليها ، ويتحدث عن أحلى ذكريات شبابه التى قضاها

فى بيئتها ... فما اخلقنا بتقديس الحرية ، وما أجدرنا بالعمل على اعطائها لكل انسان وليست حرية القاضى الا جزءا لا يتجزأ من الحرية العامة وركنا لا يتم تشييدها الا به ، فاذا اطمأن الى حريته ، واستراح الى مستقبله ، عاش فى هدوء بال وراحة ضمير ، عند ذلك يزداد المواطنون رضى واطمئنانا وتستقر البلاد أمنا ونظاما ، وليس أثر هذا القانون قاصرا على شئوننا الداخلية فحسب بل هو يتعداها الى شئوننا الخارجية اذ هو متصل وثيق الاتصال باستقلال البلاد وكرامتها القومية من الدول التى تتمتع بالحرية والاستقلال ليتكم كنتم معنا تستمعون الى نداء مصطفى النحاس المنبعث من سويداء قلبه ، الصادق مع نفسه ومع الناس ، الذى وجهه فى نهاية خطابه الى زملائه وأبنائه وزملائه القضاة الكبير منهم والصغير فى صراحة منقطعة النظير ، وايمان ليس له مثيل ... فماذا قال .. اقرأوا .. وتدبروا ..

أىَ رجال القضاء :

الآن وقد أدينا نحوكم ونحو مصر واجبنا ، وأرضينا ضمائرنا ، وحققنا امنية من أعز أمانى بلادنا ، الآن وقد وضعنا حاضر العدالة ومستقبلها بين أيديكم وحطناكم بكل الضمنات التى تحميكم ، وتجعل ضمائركم هى الحكم العدل ، ورأيكم هو القول الفصلُ الذى لا معقب عليه ، ولاراد له .

الآن نرى أن نذكركم لا نصحا منا ، ولا نسيانا منكم ، ولكنها ذكرى تنفع المؤمنين ، ليكن لكم من ضمائركم راعيا ، ومن خشية الله علام الغيوب حافزا ، ومن استقلالكم وتحريكم الحقائق عن الظلم سياجا مانعا ، واذكروا دائما تلك الحكمة الأزلية التى الهمها الله محمدا عليه الصلاة والسلام « ويلٌ لقاضى الأرض من قاضى السماء الا من عدلَ » اذكروا دائما ان الميل لا حد التخاصمين حتى بالقلب خطيئه وامتياز أحدهم على الآخر فى مجلس القضاء شبهه ، فابتعدوا ما استطعتم عن الخطايا ، وتجنبوا الشبهات ، واياكم ان تخلطوا السياسة بالعدالة ،

أو تدخلوا الحزبية فى القضاء ، فهذا سلاح ذو حدين يفتك بالظالم والمظلوم على السواء ، والويل لأمة تحكمت فى قضائها النزوات والأهواء ، وطوبى لقاض سما بقضائه عن الشبهات ، وارتفع عن الشهوات ، وكان الحق رائده والعدل قائده ، ورضا الله غايته ومقصده ، طوبى لقاض لم يكن عبد هواه ، ولم يبع آخرته بدنياه ، الا ما آثره عند الناس وأكرمه عند الله •

هذه كلمتى وجهتها اليكم ، وتذكرتى تلوتها عليكم ، ولا اخالكم الا لها مصغين ، وبها عاملين ، فكلكم لاشك يحسها كما أحسها ، وكلكم يعرفها ويقدرها قدرها ،

« ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها والله لا يضيع أجر المحسنين » •

مصطفى النحاس رائد الاصلاح

قديما حاربوا الوفد فقالوا — انه حزب الرعاع — حزب الجلاليب الزرقاء ، وما علموا انهم بهذا كرموه أبلغ تكريم ، وشرفوه أعظم تشريف ، ووضعوا على صدره ارفع وسام ، فما الشعب الا الطبقة العاملة فيه •

فلا غرابة اذا ما كان الشغل الشاغل للحكومات الوفدية برئاسة مصطفى النحاس هو أعمال الاصلاحات واصدار التشريعات المنظمة لشئون الطبقة العاملة ومصالحها والتى تحفظ لهم حقوقهم وتنظم لهم حياتهم ومعاملاتهم وتؤمنهم على يومهم وغدهم بغير شعارات زائفه ووعود كاذبه ، من منطلق الاحساس بمصالحهم والايمان بقضاياهم لان مصطفى النحاس صادق مع نفسه ومع الناس ، لا كهؤلاء الحكام الذين يخدعون شعوبهم بوعود كاذبه ، وشعارات زائفه تمضى مع الأيام ، وترحل برحيل الحكام ، واذا بالمحصلة مجرد أحلام تبخرت وأوهام تبددت ، لانهم كاذبين مع أنفسهم ومع شعوبهم — وهاكم بعض

الاصلاحات والتشريعات التى تمت على يد النحاس فى وزاراته المختلفة حسب تواريخ تنفيذها .

الوزارة الوفدية الرابعة سنة ٤٢ — ٤٤

أولا — وزارة الشئون الاجتماعية (فى عهد فؤاد سراج الدين)

(أ) قانون عقد العمل الفردى : وهو ينظم العلاقة بين العامل وصاحب العمل .

(ب) قانون عقد العمل الجماعى :

(حـ) قانون تحديد ساعات العمل : وهو يحدد ساعات العمل بـ ٨ ساعات

(د) قانون النقابات العمالية : وهو يعطى العمال حق تكوين النقابات لأول مرة فى مصر .

(هـ) قانون الضمان الاجتماعى :

(و) قانون محو الأمية : وقد تحددت فيه مدة ٥ سنوات لمحو الأميه فى مصر

ثانيا — وزارة الداخلية (فى عهد فؤاد سراج الدين)

قانون تنظيم هيآت رجال الشرطه

يتولى تنظيم تعيين رجال قوات الشرطة وترقيتهم وتنقلاتهم وندبهم وتأديبهم وتكوين مجلس أعلى للشرطة .

ثالثا — وزارة المالية (فى عهد أمين عثمان)

(أ) قانون انصاف الموظفين : وكانت وزارة الوفد رائدة الوزارات فى انصاف الموظفين والعمال برفع مرتباتهم وتحسين اجورهم .

(ب) قانون تخفيض ضريبة الأطيان الزراعية على صغار المزارعين واعفاء من لا تتجاوز ضريبتهم المربوطة ٥٠ جنيه من الضرائب .

(حـ) قانون انشاء ديوان المحاسبة .

رابعا — وزارة المعارف العمومية (فى عهد الدكتور طه حسين)

قانون مجانية التعليم الابتدائى

الوزارة الوفدية الخامسة (سـنة ١٩٥٠ / ١٩٥٢)

أولا — وزارة المالية (فى عهد (فؤاد سراج الدين)

(أ) قانون الضرائب التصاعديه : وقد ترتب عليه ان يتحمل النصيب الأكبر من هـذه الضرائب كبـار الممولين دون صغارهم .

(ب) قانون مضاعفة الضريبة العقارية (بأثر رجعى) وقد تحملهـا كبار الملاك برضاء تام وبأثر رجعى ايمانا منهم بأن العـدالة تقتضى ذلك رغم ما فى رجعية الضريبة من عيوب تشريعية . للفائدة الماليـة التى ستعود على خزينة الدولة .

(حـ) قانون انشاء البنـك المركزى .

(د) قانـون ديـوان الموظفـين .

(هـ) قانـون ديـوان المحاسـبة .

(و) قانـون تمصير الدين الأجنبى .

ثانيا — وزارة المعارف العمومية (فى عهد الدكتور طه حسين)

قانون مجانية التعليم الثانوى

ثالثا — وزارة التجارة والصناعة : (فى عهد محمود سليمان غنام)

قانون ١١٩ لسنة ١٩٥٠ : وهـو يقضى بتحـديد ربـح السـلع الاستهلاكية ولازال العمل يجرى حتى الآن طبقا لنصوص هذا القانون وان كانت بعض الحكومات قد أهملت تطبيقه .

رابعا — انشـاء وزارة الشئون البلدية والقروية

وكان أول وزير لهـا (**ابراهيم فرج**) وكان الغرض من انشـائها الاهتمام بالقرية المصرية التى ظلت آلاف السنين كما مهملا — وكان أخلد أعمالها — ادخال المياه الصالحة للشرب — ووضعت اللبنـات الأولى فى حدود الامكانيات المتاحة دون الاقتراض من الدول الأجنبية كما هو الحال الآن — انقاذا لحياة الفـلاحين من الأمراض التى كانوا يتعرضون لهـا بسبب الشرب من مياه الترع والمصارف .

— (جامعة الدول العربيـة) —

وقبل أن نطـوى هـذه الصفحات الناصعات من أعمـال مصطفى النحاس فى الداخل ، فانه من حقـه علينـا الا نسقط من سجل أعمـاله الخارجية عملين جليلين أولهمـا خاص بالجامعة العربيـة : فكان لمصطفى النحاس فضل انشائها . ففى السـابع من شهر أكتوبر سـنة ١٩٤٤ فى اجتمـاع ضم رؤسـاء ووفـود الدول العربيـة فى الاسكندرية وقف مصطفى النحاس يعلن بروتوكول جامعة الدول العربية ويكشف الاسس والقواعد التى سوف تقوم عليها الوحدة بين الدول العربيـة فى السـلم والحرب فكانت بحق ثورة عربية لم تشـهدها الأمة العربية من قبل مما ازعج دول الغرب وفى مقدمتها انجلترا وتجلى أثر ذلك على الفـور فى

الحكومة الوفدية قبل مضى ٢٤ ساعة على القاء توقيع البروتوكول المذكور فاقيلت وزارة النحاس باشا فى اليوم التالى مباشرة أى فى ٨ / ١٠/١٩٤٤

(سياسة الحياد الايجابى)

ولقد كانت الحرب الكوريه — الدافع وراء اعلان الوفد ومصطفى النحاس سياسة الحياد الايجابى • فكانت مصر أول بلد عربى أعلن تلك السياسة وكان مصطفى النحاس أول من نادى بتلك السياسة (بأننا لسنا مع الشرق كما اننا لسنا مع الغرب) وأصبحت هذه هى السياسة التى تنتهجها مصر منذ ذلك الحين •

هذه هى منجزات مصطفى النحاس فى سبع سنين وشهرين وسبعة أيام •• فقط متقطعة وفى ظروف مريره وصراعات مع الملك وحاشيته ورجال الأقلية ••• والله الذى لا رب سواه لو أتيحت لهذا الزعيم فرصة حكم البلاد كما اتيحت لغيره باعتباره سلطة نهائية ، أو من خلال ديمقراطية لا اعتداء عليها من ملك طاغ وأحزاب فاشية ، لكانت مصر فى عداد الدول الكبرى ولكان حالها خير الف مرة من حالها اليوم ، ولبقيت وحدتها فى مصرها وسودانها قائمة دليلا على قوتها ، ولكانت ديمقراطيتها من أروع الديمقراطيات لا تلك التى نشهدها على مسرح الأحداث ، وأخيرا لا أملك الا ان أقول لك الله يا مصر وفى سبيل الله ما ناضلت وما جاهدت وفى ذمة الله يانحاس ،

مصطفى النحاس ومعاهدة سنة ١٩٣٦

مما لا شك فيه أن المعاهدة المصرية الانجليزية التى وقعتها مصر وانجلترا فى ٢٦ / ٨ / ٣٦ كانت بداية مرحلة جديدة فى تاريخ مصر الحديث منذ أن وطىء الاحتلال الانجليزى أرض مصر فى ١١ / ٧ / ١٨٨٢ تلك المعاهدة التى كان للزعيم مصطفى النحاس ولرؤساء الأحزاب

المصرية فضل توقيعها وقد عابت قلة قليلة على مصطفى النحاس قولته فى هذه المعاهدة « انها معاهدة الشرف والاستقلال » ويكفى توقيعها فخـــرا ان نذكر بعض آثارها المجيدة فى حدود ما يسمح به المقام . فقـــد أفادت مصر الكثير من هذه المعاهدة فور توقيعها واليكم بعضا على سبيل المثـــال

* لقد تخلصت مصر من تلك القيود المفروضة على الجيش المصرى من حيث تدريبه واعداده وتسليحه فأنطلقت مصر فى بناء قواتها المسلحة على أحدث النظـــم العسكرية شرقية كانت أو غربيـــة وأقامت المصـــانع الحربية وأرسلت الوفود العسكرية الى الدول الكبرى لأول مرة فى تاريخها الحـــديث .

* تخلصـــت الادارة المصرية من كبـــار الموظفين الأجـــانب الذين فرضتهم قوات الاحتلال خلال عشرات السنوات كعيون لها على المصرين وصدرت القرارات بالاستغناء عنهـــم ـــ كحكمدار ـــ بوليس القـــاهرة والاسكندرية ومديرى الرى والمساحة والسكك الحـــديدية والمستشارين الماليين بالوزارات والمصـــالح والمفتشـــين والمدرسين بوزارة المعـــارف (التربية التعليم) وأصبحت الادارة مصرية مائة فى المائة وحلت اللغـــة العربية محل اللغة الأجنبية .

* تم جلاء الجنود الانجليز عن الثكنات العسكرية (بقصر النيل) (مكان الجامعة العربية بميدان التحرير) ـــ (والقلعة) و (مصطفى باشا ـــ بالاسكندرية) وغيرها بالمدن الكبرى فورا ... تلك الثكنات العسكرية التى كان يقيم بها الجنود الانجليز فى العشرينـــات والثلاثينيات ويطلقـــون علينا نحن الطلبة (الرصـــاص) أثنـــاء المظاهرات حينما كنـــا نطالب (بجـــلاء) المستعمر الغاصب والحرية والدستور ويكفى هذه المعـــاهدة وموقعيها فخرا ان الجنود الانجليز جلوا فورا عن هذه المستوطنات التى هى أشـــبه بالمستوطنات التى يبنيها (اليهـــود) الآن داخـــل (أرض فلسطين) اليوم ، لقد كانت أذى فى عيوننا نحن أبناء الأجيال الماضية .

* وبمقتضى هذه المعاهدة اعيد الجيش المصرى الى السودان الذى ابعد عنه سنة ١٩٢٤ على أثر مقتل السردار حاكم السودان (الذى دبره الانجليز) — امتثالا لاتفاقية الحكم الثنائى للسودان (بيننا وبينهم) وتسليما بوحدة وادى النيل (مصره وسودانه) .

* وأخيرا وليس آخيرا فلقد أعادت هذه المعاهدة للمصرى كرامته وعزته بالغاء الامتيازات الأجنبية فى مؤتمر مونتريه سنة ١٩٣٧ . تلك الامتيازات التى كانت تجعل من المصرى فى مركز أدنى من الأجنبى .. بعد الغائها أصبح القاضى المصرى هو المختص بالفصل فى المنازعات التى تنشأ بين المصريين والأجانب بعد أن كان الأجانب يحاكمون أمام محاكم أجنبية لا محاكم مصرية . وأطلق يد الشارع المصرى فى اصدار التشريعات لتشمل كل من تظلهم سماء مصر من مصريين وأجانب على حد سواء وبعد أن كانت مظلة القوانين المصرية لا تشمل الأجانب لانهم طبقة مميزة لا حق لمواطن عندهم . ولا حق للوطن عليهم طبقة لا تسأل عما تفعل .. انهم فوق القانون .. أليس فى هذا استهانة بقوانيننا .. وسخرية لقضائنا .. وامتهانا لقضاتنا .. وانعداما للثقة فيهم (ووالله الذى لا رب سواه لو كان الغاء الامتيازات الأجنبية هى الثمرة الوحيدة لمعاهدة سنة ٣٦ لكفى موقعيها فخرا) .

* وبمقتضى هذه المعاهدة عاد الى مصر حق تعيين حاكم السودان بمرسوم ملكى مصرى من ملك مصر والسودان (فاروق الأول) .

* كما اعترفت بحق مصر فى الجلاء بعد عشرين عاما من توقيعها أى فى ٢٦ / ٨ / ٥٦ (وقد تم الجلاء فعلا فى نفس هذا التاريخ) طبقا لهذه المعاهدة — لا طبقا لأية معاهدة أخرى كما يدعى البعض كذبا هذه هى معاهدة سنة ٣٦ . وهذه هى بعض آثارها وان كانت ليست كل آثارها ، ولاشك انها خطوة كان لها بعدها ، وحركة كان لا جليل أثرها ،

وجاحد من ينكرها أو يقلل من شأنها ، ومع ذلك فهل وقف عندها « مصطفى النحاس يتبتل فى محرابها ، ويذود عن قدسيتها ، تعالوا معا نرى موقف الزعيم الذى عودنا صادق أحاسيه مع نفسه ومع شعبه بعد ٥ سنوات من توقيع المعاهدة • وعلى وجه التحديد فى أغسطس سنة ١٩٤١ يقول مصطفى النحاس فى حفل تكريم اقيم له فى رأس البر بعد قيام الحرب العظمى الثانية (ان معاهدة سنة ١٩٣٦ أصبحت بعد عام واحد من تنفيذها غنما للانجليز وغرما على المصريين والأمر يستدعى اعادة النظر فيها لجعل نصوصها متفقة مع روحها — نصرنا الحليفة فى الحرب بكل صدق واخلاص فما كان جزاؤنا ، أهدرت كرامتنا ، وفقدت حرياتنا وأعلنت الأحكام العرفية علينا ، وكممت أفواهنا ، وتحكمت الرقابة فينا ، وعدت أنفاسنا ، وارتفعت أسعار المعيشة وانخفض سعر نقدنا ، وسخرت قواتنا ومرافقنا لصالح الانجليز ، وتدخل الانجليز فى شئوننا ، وتغلغلوا فى جميع مرافقنا ، ولم يراع فى توزيع القوات الانجليزية فى أراضينا صيانة أرواح المدنيين مع تحديد الاهداف العسكرية ، فأصبحت البلاد هدفا لكل غارة حتى فقد المدنيون كل طمأنينة وراحة وسلام ،

ان الانجليز الذين يدافعون عن الديمقراطية فى بلادهم يدأبون على العمل ضد الديمقراطية فى مصر • ولا ريب انه اذا لم تكن الديمقراطية واحدة فى كل البلاد التى تناصرها فليست اذن فى وجه انجلترا وهو العالم • بان على رأس مصر ملك يأتمر بأمرهم ويعمل على أرضائهم دون سواهم لان بقاءه على العرش رهن مشيئتهم ورضائهم)

واسمع جيدا وع أيها القارىء الكريم ماذا قال مصطفى النحاس فى خطابه فى المؤتمر الوفدى المنعقد فى عيد الجهاد الوطنى فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٤٣ « **ان حوادث الحرب قد غيرت الموقف تغييرا كبيرا حتى أصبح تعديل المعاهدة ضرورة لابد منها ونتيجة لا ريب فيها وانى الآن المح باذن الله فجر اليوم الذى تأخذ فيه مصر المستقلة استقلالا تاما لا يشوبه أية شائبه** » •

وفى خطابه فى عيد الجهاد الوطنى فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٤٨ أعـلن مصـطفى النحاس سـقوط معاهدة ١٩٣٦ والغـاء اتفـاقيتى ١٨٩٨ ، ١٨٩٩ . •

وجاء فى خطاب العرش (الذى القـاه مصطفى النحـاس) أثنـاء رئاسته للوزارة • فى افتتاح دور الانعقاد للهيئة النيابة فى ١٦/١/١٩٥٠ ما يأتى ••

وترى حكومتى ان معاهدة سنة ١٩٣٦ قد فقدت صلاحيتها كأساس للعلاقات المصرية البريطانية وانه لا مناص من تقرير الغائها ولا مفر من الوصول الى أحكام جديدة ترتكز على اسس جـديدة تقرونها جميعـا الا وهى الجلاء الناجز الشامل ووحدة مصر والسـودان تحت التـاج المصرى وتعلن حكومتى انها لن تحيد عن التمسـك بهـذه الأسس وتؤمن ايمانا عميقا بأن الاعتراف بها من الجانب البريطانى أكبر ضمان لاستتباب الأمن والسلام فى ربوع الشرق الأوسط •

الغـاء معاهدة سنة ١٩٣٦

وانعقد البرلمان بمجلسيه النواب والشـيوخ فى ٨ / ١٠ / ١٩٥١ وألقى مصطفى النحاس — رئيس مجلس الوزراء — بيانا — بخصوص معاهدة سنة ١٩٣٦ انتهت فيه الى تلك الكلمة الخالدة •• التى سرت بين أعضائه •• بل بين الشعب مسرى الكهرباء •• **(من أجل مصر •• وقعت معاهدة سنة ٣٦ •• ومن أجل مصر اطالبكم اليوم بالغائها) ••**

فكانت نهاية معاهدة سنة ١٩٣٦ ..

وبدأت حياة جديدة فى تاريخ مصر .. وهذا هو مصطفى النحاس وموقفه من معاهدة سنة ١٩٣٦ منذ توقيعهـا .. حتى يوم الغائها .. انكره عليه خصومه تشويها لتاريخه .. واسـاءة لسمعته .. ونيلا من وطنية .. ولكن الله يسمع ويرى .. وعنده الجزاء الأوفى ..

كيف نجح مصطفى النحاس ؟

— فى الغاء المعاهدة —

يخطىء من يظن أن طريق الغاء المعاهدة كان مفروشا أمام مصطفى النحاس ووزارته بالورود والرياحين ، وانها لم تتطلب منه سوى بضع كلمـات قالهـا تحت قبة البرلمان الهب بها مشـاعر المصريين ، مؤيدين ومعارضين . ومغرض كذلك من قال انها ألغيت على الورق فقط . وتعالوا بنا نعيش هذه الأيام سـاعة ساعة ولحظه لحظه فسـوف ندرك الحقيقة بكل ابعادها . فانهـا لا تعمى الابصـار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور .

لم يغب عن فطنة وذكاء مصطفى النحاس — ان الغاء المعاهدة من جانب مصر وحدها يعد فى حد ذاته ضربة موجهـة الى انجـلترا أمـام الدنيا باسرها .

وسوف ينال من سمعتها ويحط من قدرها ويزعزع ثقة الأمم فيها ، ولهـذا فهى حريصة الحرص كله على عدم وقوعـه .. ولو انهـا تيقنت مما اعتزمه مصطفى النحاس من الغـاء المعاهدة لحالت دون ذلك بكل سهولة .. وما أيسر عليها ذلك فالأسلحة بيـدها كثيرة .. العرش اداة طيعة فى يدها ، أليست هى التى صنعته ، تأمره فيطيع ، بل طاعة عمياء ، ولن يكلفه ذلك سـوى قصاصة ورق يكتبها « لزعيم الشعب » معفيا اياه من الحكم (اقالة — طردا) من الحـكم — رغم انه صـاحب الأكثريه

الشعبية الساحقة وهى الطريقة التى تعود الملك أن يخرج بهـا مصطفى النحاس من كل الوزارات الشعبية السابقة .. رغم حصوله على الأغلبية فى انتخابات حرة نزيهة ساحقة حينما تتعارض مصالح الشعب مع مصالح الانجليز ومصالح الملك .

والمستوزرون من رجالات أحزاب الأقلية للاسف الشـديد عـلى استعداد دائم لتولى الحكم على انقاض وزارات الشعب بالتعـاون مع الملك دون رعاية من ضمير أو صالح وطنى ... كل هذا يدركـه مصطفى النحاس تماما ويضعه فى اعتباره وهو يقـدم على الغـاء المعاهدة .... هنا يتمثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « واستعينوا على قضـاء حوائجكم بالكتمان » صدق رسول الله ..

لهذا قر قراره ان يحيط رفعته الغـاء المعاهدة بالسرية المطلقة ، وظل الاعداد لهذا الالغـاء فى أضيق الحدود تتولاه مجموعة من الوزراء المختصين والمستشارين الموثوق فيهم — حتى تم عرض الأمر على مجلس الوزراء فى جلسته الاسبوعية العادية يوم الأحـد الموافق ١٩٥١/١٠/٧ ببولكلى بالاسكندرية فتمت الموافقة بالاجمـاع على الغـاء المعاهدة .. وأكد الزعيم على وزرائه فى نهاية الجلسة الالتزام التام بالسرية المطلقة حتى لا ينكشف الأمر ويعصف بالوزارة عن طريق الاقالة قبل أن يصبح « الالغاء » حقيقة واقعة — وفور انتهـاء مجلس الوزراء مباشرة توجـه مصطفى النحـاس الى فنـدق سـان سـتفانو حيث يقيـم فى مصيفه بالاسكندرية — واستدعى حسن باشا يوسف وكيل الديوان الملكى لمقابلته فورا ... وفى خلال دقائق معدودات تمت القابله .

قال النحاس باشا : وهو يمد يده لحسن باشا مسلما له مظروفا كبيرا مغلقا اسمع يا حسن . دون ذكر الالقاب رفعا للكلفة .. ودلالة على الحب الذى كان يكنه الزعيم له . هذه مراسيم الغاء معاهدة سنة ٣٦ لا يعلم أحد بها الا أنت والملك . فاذا تسرب خبرها قبل عرضها على البرلمان

فسيكون أحدكما هو المسئول ولكن ثقتى فيك أكبر من ثقتى فى الملك ويجب أن تكون هذه المراسيم عندى قبل الساعة ٥ مساء حيث أننى سأسافر الى القاهرة بقطار الساعة ٣٠ر٥ الخامسة والنصف لعرضها على البرلمان غدا الاثنين الموافق ٨/١٠/١٩٥١ واذا رفض الملك توقيعها فسأعلن ذلك فى البرلمان أمام ممثلى الشعب « أننى أرسلت مراسيم الغاء معاهدة سنة ٣٦ الى الملك وامتنع الملك عن توقيعها » •

حسن باشا يوسف : سوف يوقعها الملك ان شاء الله يا رفعة الباشا ثم انصرف على الفور •

وبينما النحاس باشا يستعد لمغادرة فندق سان استفانو للسفر الى القاهرة بقطار السكك الحديدية الساعة الخامسة والنصف اذا بحسن باشا يوسف يصل الى الفندق حاملا المظروف الكبير وبداخله المراسيم الملكية الخاصة بالغاء معاهدة سنة١٩٣٦ بعد توقيعها من جلالة الملك فاروق ملك مصر والسودان » وسلمه الى النحاس باشا فى سعادة تامة فشكره الرئيس على همته واهتمامه وصادق وطنيته وانصرف الرجل سعيدا بما حققه لبلاده وما أنجزه لوطنه وبعد دقائق معدودات تحرك ركب الزعيم ، وفى حقيبته مراسيم الغاء معاهدة سنة ٣٦ ، وفى معيته الوزراء الوطنيين ، والجنود المخلصين ، متجهين صوب محطة سيدى جابر ، حيث استقلوا قطار الساعة الخامسة والنصف مساء الاحد الموافق ٧/١٠/١٩٥١ وقبلتهم قاهرة المعز ، عاصمة الملك ، وعلى طول الطريق من الاسكندرية الى القاهرة ، استقبلت الجماهير ، الزعيم بهتاف جديد ، لم يسبق له مثيل ، « السغ المعاهدة يا نحاس » فكانت أعين مصطفى النحاس تلتقى بأعين الوزراء الجالسين من حوله وكأن لسان حالهم يقول « حقا ان صوت الشعب من صوت الله ••• وكما أن الله يسمع ويرى ••• فان الشعب سمع ورأى بنور الله يسمع ما دار بجلسة مجلس الوزراء ورأى ما احتوته المراسيم الملكية بالغاء المعاهدة المصرية الانجليزية التى تحتويها حقيبة رئيس الوزراء والتى سيتضمنها بيانه الذى سيلقيه بعد ساعات قلائل تحت قبة البرلمان •

حقا ما أعظمك يا شعب مصر ، وما أرهف سمعك ، وما أرق مشاعرك وما أعظم وطنيتك ، وما أروع ايمانك ، وما أجمل صلتك بربك •

« نطاق هذه السرية »

« السرية حتى لحظـة الالغاء »

وقد يتبادر الى الأذهان أن نطاق هذه السرية قد زال بعد توقيــع الملك لهذه المراسيم • ولكن الأمر كان عكس ذلك فقد ظل نطاق السرية قائما حتى تلك اللحظة التى أعلن فيها مصطفى النحاس قولته « من أجل مصر وقعت معاهدة سنة ١٩٣٦ ومن أجل مصر أطالبكم اليوم بالغائها » واليكم الدليل •••

ففى النصف الثانى من شهر سبتمبر سنة ١٩٥١ تمت مقابلة بين الياس باشا أندراوس المستشار الاقتصادى للملك فاروق — وبين فؤاد سراج الدين باشا وزير المالية بمكتبه بناء على طلب الياس باشا ونترك لكم سراج الدين يحدثكم عن هذه المقابلة فيقول :

« جلسنا نتبادل الاحاديث الخاصة بشئون المال والاقتصاد •• وان كنت قد ساورنى الشك ان وراء هذه الزيارة هدف خفى •• واذا بالشك يصبح يقينا •• عندما قال أندراوس — ان وزارة الخارجية البريطانية قد وصل الى علمها أن وزارة الوفد قررت الغاء معاهدة سنة ٣٦ وقد رجعت الى السفير البريطانى بالقاهرة فنفى لها هذا الخبر • ولقد أراد السفير البريطانى أن يستوثق منى صحة الخبر • فأكدت له أنه لا توجد لدى أية معلومات فى هذا الشأن • فجئت لأتأكد بنفسى من معاليكم ولأقف على الحقيقة بكل أبعادها فعند جهينة الخبر اليقين — وبمجرد أن أنهى كلامه ضحكت ثم قلت — من أين جاءت وزارة الخارجية البريطانية بهــــذه الأخبار ؟ انها أخبار غير صحيحة • ولو أنها كانت صحيحة • لكانت السراى أول من تعلم بها وكنت يا الياس باشا أول من تعلم بها أليس كذلك يجب

يا باشا أن تؤكد لهم أن ما لديهم من اخبار خاصة بالغاء العاهدة غير صحيحة •• وانصرف اندراوس على أثرها وهو على ثقة بصدق ما سمعه • وأبلغ السفير البريطانى بها وقام السفير بابلاغ وزارة الخارجية البريطانية مؤكدا عدم اقدام وزارة الوفد على الغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ •• ولهذا قررت وزارة الخارجية البريطانية نقله من مصر على أثر الغاء المعاهدة لعدم تحريه الدقة فى معلوماته •

وحوالى الساعة العاشرة من صباح يوم الاثنين الموافق ٨/١٠/٥١ ومن مكتب فؤاد سراج الدين باشا وزير المالية • وبينما اقوم بعرض بعض المكاتبات العاجلة عليه الخاصة بوزارة الداخلية ، اذا به يمسك بالتليفون ويتصل « بالأستاذ محمد عبد القادر حمزة » رئيس تحرير جريدة البلاغ — لسان حال الوفد المصرى المسائية — قائلا — اليك الاخبار الهامة الآتية •• لا بد أن تتصدر الجريدة الآن • قبل اجتماع البرلمان •

بيان رفعة الرئيس يذاع على الأمة فى منتصف الساعة السابعة مساء اليوم — القاؤه فى مجلس النواب أولا ثم فى مجلس الشيوخ • عدم الالتجاء لهيئة الأمم والاقتصار على الوسائل المصرية لمقاومة الانجليز • تقديم تشريعات الغاء المعاهدة فى أول الدورة القادمة • البيان سوف يستغرق القاؤه حوالى ثلث ساعة • سيتعرض البيان للمحادثات المصرية البريطانية وتطورها ومراحلها وسيشير الى العروض البريطانية المختلفة التى كانت ولا تزال بعيدة عن حقوق البلاد وأمانيها التى صممت على استخلاصها من أيدى الانجليز •

استمعت الى هذا التصريح فغلى الدم فى رأسى • بعد أن تأكد لى أن الغاء المعاهدة قد تأجل الى بدء الدورة البرلمانية القادمة لمجلس النواب وخيل الى أن أنقض على الرجل الثانى فى الوفد •• الرجل الذى أحببته وآمنت به ، لأفتك به ، ولكنى غادرت المكتب غاضبا ثائرا ، فالتقيت فى الخارج بالصحفى « محمد عبد الحميد » فعلم سر غضبى وهذا من ثورتى •• اذ كنت من المنادين بالغاء المعاهدة فورا ، وقال لى ان الغاء المعاهدة

.. هى نهاية الوفد المصرى ... فقلت ... ليكن ما يكون وهذا مثل ثالث من نطاق السرية يتمثل فى وزير الأوقاف حسين باشا الجندى وكان مدعوا للغذاء على مائدة كريم باشا ثابت السكرتير الصحفى للملك فاروق فى نفس اليوم الذى سيجتمع فيه البرلمان ٥١/١٠/٨ . والذى سيلقى فيه مصطفى النحاس بيان الغاء المعاهدة . وحينما علم سراج الدين بخبر هذه الوليمة أوحى الى عبد الفتاح حسن باشا وزير الشئون الاجتماعية بالتدخل للاعتذار عنها خشية صدور تصريح عن حسين باشا خاص بالغاء المعاهدة دون قصد فى جمع كهذا فتكون الطامة .. ونجح عبد الفتاح باشا حسن فى مرافقة حسين باشا الجندى طوال هذا اليوم حتى ساعة اجتماع البرلمان .. واعتذاره عن حضور الوليمة .

وفى الساعة **الخامسة والنصف** من مساء الاثنين الموافق ٥١/١٠/٨ وقبل اجتماع البرلمان اجتمعت الهيئة الوفدية البرلمانية من أعضاء مجلسى النواب والشيوخ الوفديين بالبهو الفرعونى برئاسة فؤاد سراج الدين باشا سكرتير عام الوفد المصرى قبل اجتماع (مجلسى النواب والشيوخ) ومع ذلك لم يكشف سراج الدين فى هذا الاجتماع أوراقه بالنسبة لالغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ بل ظل الأمر سرا حتى كشفه النحاس باشا بنفسه فى بيانه التاريخى الذى ألقاه بعد نصف ساعة من هذا الاجتماع .

وفى الساعة السادسة والنصف حرصت على حضور جلسة مجلس النواب لأرى وأسمع ماذا سيقول مصطفى النحاس .. وكانت جلسة .. الحشد فيها كبيرا .. الأعضاء بالاجماع ... لم يتخلف من المعارضة أحد .. لأنها كانت تؤمن أن مصطفى النحاس لن يجرؤ على الغاء المعاهدة .. وطالما كتبت صحفهم وكتابهم حول ذلك ، وتبارى خطباؤهم فى هذا الميدان ، ولم يكن فى شرفات الزوار مكان ، وضاقت شرفات الصحافة على سعتها ، الكل ينتظر وكأننا على رؤوسنا الطير ، القلوب واجفة : والابصار زائغة ، والآذان مرهفة ، ويدخل القاعة مصطفى النحاس ، رافع الرأس ، شامخ الأنف ، وضاح الجبين ، يتقدمه صدره العامر بالايمان

واليقين ، فتستقبله أكف النواب الوفديين دون المعارضين ، بالتصــــفيق الشديد ، وفى خطى المؤمنين الواثقين ، يتقدم الرئيس الجليل ، الى المنصة فى ثقة ويقين ، ليلقى البيان الذى تنتظره الملايين ، بفارغ صبر كبير ، واذا بصوت مصطفى النحاس الجهورى ، ينطلق بسحره الالهى ، فى بيان سياسى ، فيصل الى أعماق القلوب فيمسها من بعيد ومن قريب ، واذا .. به بعد بيان طويل ... شرح فيه القضية الوطنية .. ومراحلها التى مرت به عبر كفاح طويل ... اذا به يقول يا حضرات النواب المحترمين

لقد انقضى وقت الكلام ، وجاء وقت العمل ، العمل الدائب المنتج العمل الذى لا يعرف ضجيجا أو صخبا ، بل يقوم على التدبير والتنظيم، وتوحيد الصفوف لمواجهة جميع الاحتمالات ، وتذليل كل العقبات واقامة الدليل على أن شعب مصر والسودان ليس هو الشعب الذى يكره على ما لا يرضاه أو يسكت على حقه فى الحياة ....

ثم يمضى فى خطابه .. وعلى حين غرة ... يتوقف ويقول بصوت قوى عظيم ، له رنين جميل .

يا حضرات النواب المحترمين

من أجل مصر وقعت معاهدة ٣٦

ومن أجل مصر أطالبكم اليوم بالغائها

واذا بالقاعة جميعها ، تكاد تنفجر من شدة التصفيق بصورة لم يسبق لها مثيل على امتداد التاريخ ، اشترك فيه المعارضـــــون والمؤيدون ، والزائرون والموظفون والصحفيون جنبا الى جنب مع ممثلى الشعب . واختل النظام داخل القاعة . وخولفت اللائحة من فرط الفرحة وراح كل من فى القاعة يتبادلون التهانى بوازع من وطنيتهم دون اعتداد بحزبيتهم.

وحرى بنا بعد أن تم الغاء المعاهدة بهذا النجاح المنقطع النظير أن

نذكر فى هذا المجال ٠٠ « فاروق الأول » ملك مصر والسودان بكل فخر وامتنان ٠٠ موقف يذكر له ٠٠ ويشكر عليه فقد وفقه الله وهداه ، أن يقف الى جوار الشعب وحكومة الشعب وزعيم الشعب ٠ فوقع المراسيم الملكية الخاصة بالغاء معاهدة سنة ٣٦ واحتفظ بسريتها الى ما بعد القاء البيان الخاص بها فى البرلمان ٠٠ وكان فى استطاعته الا يوقع تلك المراسيم كما كان فى استطاعته أيضا أن يفضى بمضمون هذه المراسيم لمستشاريه أو لغيرهم من رجال السفارة البريطانية أو أية جهة أجنبية ٠٠ ولكنه ارتفع بحق عند مستوى المسئولية ووضع صالح وطنه فوق صالح عرشه ، فى لحظة من لحظات عمره ، وان كان قد أفقدته فيما بعد وذريته الى الأبد عرشه الموروث ٠

« صدى الغاء المعاهدة فى بريطانيا »

قالت الصحف البريطانية الصادرة صباح ٥١/١٠/٩ ٠٠ ان الغاء مصر لمعاهدة ٣٦ اهانة ولو ظل موريسون وزيرا لوزارة الخـــارجية البريطانية فستتلوها اهانات أخرى ٠ ويجب ألا يعترى بريطانيا أى ضعف فى الرد على هذه الاهانة ٠

وقالت الديلى تلغراف : ان على البريطانيين أن يتوقعوا سلسلة أخرى من الاهانات لو استمر موريسون فى توجيه سياساتنا الخارجية كما أعربت وزارة الخارجية البريطانية ليـــلة أمس عن منتهى الدهشـــة لما قامت به الحكومة المصرية من تقديم مشروعات قوانين الى البرلمان بالغاء المعاهدة المصرية المعقودة سنة ٣٦ وبتوحيد مصر والسودان تحت التاج المصرى ٠

● القيادة البريطانية بالقنال توصى المدنيين البريطانيين بالسويس بالبقاء فى منازلهم ومرور البوليس الحربى البريطانى عليهم ٠

« الخطوات التنفيذية لالغاء المعاهدة »

ان الغاء المعاهدة معناه ـ انهـاء التحـالف بين مصر وبريطـانيا وتأسيسيا على ذلك فان بقاءالقوات البريطانية فى منطقة قناة السـويس بعد الغاء المعاهدة يعتبر أمرا غير مشروع واستمراره يعتبر من قبيـل احتلال بالاكراه • كما أن الغاء المعاهدة يترتب عليه الغـاء اتفاقيتى ١٢ يناير ، ١٠ يوليو سنة ١٨٩٩ الخاصتين بالنظـام المؤقت لحكم السودان ولذلك فقد قامت حكومة الوفد برئاسة مصطفى النحاس باتخاذ الخطوات التنفيذية الآتية : ـ

* أصدرت الحكومة تعـديلا للمادتين ١٥٩ ، ١٦٠ من الدسـتور أصبح الملك بمقتضى هذا التعديل « ملك مصر والسودان » •

* استصدار تشريع بمعاقبة كل من يتعاون مع القوات البريطانية بالسجن •

* أصدرت الحكومة تشريعا يقضى بسجن كل عامل مصرى يعمل فى القاعدة البريطانية الأمر الذى ترتب عليـه ان انسـحب ٥٠٠٠٠ عامل خمسين الف عامل من القاعدة البريطانية وأصبحت خرابا •• واحتوتهم وزارات مصر ومصالحها •

* الاستغناء عن الخبراء الانجليز والوزارات والمصالح المصرية •

* استدعاء الضباط المصريين الملحقين فى المعهد البريطانى فى أفواج بالطـائرات •

* هدم ثكنات قصر النيل البريطانية فى ٩ / ١٠ / ٥١ بميـدان قصر النيل (التحـرير حاليا) التى اقيم مكانها حاليـا (مبنى جامعة الدول العربية) والتى كانت تشغلها قوات الاحتلال البريطانى •

* منع دخول الضباط وأفراد القوات البريطانية الى داخل البلاد •

* حرمت دخـول الرعايا البريطانيين المدنيين الذين كانوا يعملون

فى خدمة القوات البريطانية القادمين من الخارج ما لم يكونوا حاملين لجوازات سفر معتمدة من السلطات المصرية فى البلاد القادمين منها .

* ألغت العمل بالتصاريح التى كانت ممنوحة من قبل بموجب المعاهدة للسلطات البريطانية أو لأفرادها .

* أنهت تصاريح الاقامة للبريطانيين الذين كانت اقامتهم فى البلاد بسبب الخدمة فى القوات البريطانية أو لصالحها .

* منع السكك الحديدية عن أداء أية خدمات الى القاعدة البريطانية مثل نقل المهمات أو المواد التموينيه وكذلك منع النقل البرى أو النهرى

* منع هبوط الطائرات العسكرية البريطانية بالمطارات المصرية أو تزويدها بالبيانات الجوية أو الفنية أو بأى نوع من التسهيلات .

* الغاء جميع الاعفاءات المالية الممنوحة للسلطات العسكرية البريطانية

(أ) كالرسوم الجمركية — على المهمات والأسلحة والعتاد والمواد التموينية .

(ب) والرسوم المستحقة على مرور السفن والبرقيات والتليفونات فى خدمة القوات البريطانية .

* الغاء التسهيلات الجمركية كأولوية المرور والتفريغ والشحن .

* نقل المكتب الهندسى المصرى من لندن الى سويسرا (الذى اسس منذ الاحتلال) ومهمته استيراد ما يلزم الحكومة المصرية من المصانع الانجليزية .

* استصدار تشريع بتعديل قانون حمل السلاح يكون الأصل فيه اباحة حمل السلاح تمكينا للمواطنين من الدفاع عن أنفسهم وبلادهم .

* الاستيلاء على أرض نادى الجزيرة ١٤٦ فدانا للمنفعة العامة والذى يرأسه السفير البريطانى — كما ان سمو الأمير محمد على ولى العهد (رئيس شرف له) .

* الغــاء سباق الخيــل .

* أصدرت الحكومة قرارا بقطع الاتصــال التليفونى المباشر بين السفارة البريطانية وبين القيادة البريطانية فى الاسماعيلية وفايد .

* أرسلت الحكومة قوة من الجيش المصرى الى الاسماعيلية لمعاونة سلطة الأمن .

* تم سحب السفير المصرى من لندن .

ماذا قالــوا ؟
عن الغــاء المعــاهدة ؟

أحمد لطفى السيد باشا
« عمل جليل وخطير »

ماذا تريد من رأى فى عمل جليل وخطير انعقد الاجماع عليه ولبث ينتظر الخطوة الجريئة لانفاذه حتى خطت الوزارة الحاضرة هذه الخطوة الموفقة باذن الله . أما بالنسبة للآثار المترتبة على الالغاء فلم تترك الوزارة شيئا فى هذا الســبيل ، لقد قدرت للأمر خطــورته فدبرت له من التدابير ما يغنى عن كل رأى فى هذا السبيل .

عبد الرحمن الـرافعى بك
(عضو الحزب الوطنى — القديم — الاصيل)

« ان الغاء معاهدة سنة ٣٦ هو فى ذاته عمــل جليل جدير بالتنويه والتقدير ويشرف الحكومة التى أقدمت عليه ، ولقد كانت له نتائجه الهامة

فى بعث الكفاح الوطنى ، وتقوية الروح المعنوية ، وتردد صـــداه فى مصر والشرق وفى أنحاء العالم كافة ، وهـــو أهم وأعظم عمـــل قامت به وزارة الوفـــد » •

الشعب والحـكومة معـا
فى معركة ســافرة
مع المحتـــل البريطانى

بمجرد سماع الشعب لبيان الزعيم « مصطفى النحـــاس » بالغـــاء المعاهدة تأججت روح الوطنية فى البلاد واندفع الشعب بكل طبقاته وهيآته نحو زعيمه مبايعا ومـــؤيدا ، كل بطريقته ووسيلته ، فى وحـــدة منقطعة النظير ، وتجاوب ليس له مثيل ، وحمل البرق مئات الالاف من رســـائل التهنئة والتأييد وخرجت الوفود والمسيرات والمظاهرات الشعبية السلمية معلنة مبايعتهاوتأييدها للزعيم واستعدادها للكفاح المسلح فى القنـــال • واضرب العمال المصريون فى المعسكرات البريطانيه عن العمل فيها وانسحبوا منهـــا وضحوا بمرتباتهم الضخمة واجورهم المرتفعة التى لا مورد لهـــم سواها وقبلوا بنفوس راضية تلك الاجور البسيطة التى عرضتها عليهـــم حكومتهم المصرية فى وظائفها التى الحقتهم بها وقد تحملت خزانتها فى سبيل ذلك ستة ملايين من الجنيهات •

وامتنع عمـــال السكك الحـــديدية ومستخدموها عن نقـــل الجنـــود البريطانيين ومهماتهم كما امتنع عمال الشحن والتفريغ المصريين والأجانب فى مدن القنال عن تفريغ البواخر البريطانية •

أما الطلبة والشباب فقد تطوع الكثير منهم لكفاح الانجليز فى القنال والفوا من بينهم كتائب الفدائيين •

ومضت الأيام وبعد سبعة أيام وسبع ليال على وجه التحديد قضاها

الشعب سعيدا لم يعكر صفو الأمن فى طول البلاد وعرضها أى معكر ، الى ان كان يوم ١٦ / ١٠ / ٥١ وفيه تحرشت القوات البريطانية المعسكرة فى الاسماعيلية وبورسعيد بمظاهرتين شعبيتين سلميتين خرجتا كتلك التى سارت فى كل مكان لتعلنان عن تأييدهما للزعيم وحكومته فأطلقت عليهما نيران بنادقها ومدافعها الرشاشة فوقع بالاسماعيلية ٧ شهداء ٤ جرحى وببورسعيد ٥ شهداء وكثيرين من الجرحى بينهم هنا وهناك من رجال الشرطة فكان هذا الحادث بمثابة اذان فى الناس ، ان حى على الجهاد ، حى على الخلاص ، فملأ الله القلوب ايمانا ويقينا ، بالزحف صوب القنال ، غير ناظرة عن يمين أو شمال ، لا يشغلها داه أوسلطان ، أو أسرة أو مال ، وجهتها العدو الرابض فى أرض القنال ، بغية الخلاص منه بأى حال من الأحوال ، وكانت منطقة القنال ، هى بوتقة الوطنية ظهرت فيها الوطنية المصرية ، والنخوة العربية ، هان فيها الفداء ، وتصاعدت فيها أرواح الشهداء ، فى عزة وكبرياء ، هاتفة لمصر بالمجد والبقاء ، ارتوت فيها أرض مصر بعزيز الدماء ، ملحمة وطنية ، ساندتها حكومة شعبية ، كانت بحق أول حكومة شعبية تدير ثورة شعبية ، ضد محتل أجنبى ، ونفخت فيها من روحها صحافة وطنية ، فى مقدمتها الصحف الوفدية ، المصرى — البلاغ — الوفدى المصرى — صوت الأمة — حتى أصبحت منطقة القنال ، ميدان حرب حقيقى ، وجحيما لا يطاق ، ونارا لا تحتمل ، كانها نار الله الموقده ، التى تضطلع على الافئدة ، انها عليهم مؤصدة فى عمد ممددة •• مما حدى بوزارة الخارجية البريطانية فى التفكير الجدى فى رحيل قواتها بعد أن أصبحت القاعدة معزولة عن الناس بعيدة عن حياة المدن يعيش الجنود داخلها حياة اليأس والملل كما اعترف مراسل صحيفة التيمس بفداحة الضربة التى أصابت القاعدة البريطانية فى القنال فى جريدته فى عددها الصادر بتاريخ ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٥١ « ان أعمال الفدائيين قد اقض مضاجع الجنود البريطانيين •• وان الجنود باتوا يتساءلون عن جدوى الاحتفاظ بقاعدة عسكرية فقدت قيمتها نتيجة الشعور الوطنى المعادى » •

وقد استطاعت مصر شعبا وحكومة ان توجه ضربة موجعة لبريطانيا العظمى التى لا تغيب الشمس عن ممتلكاتها بوحدتها وتضامنها وتضحيات أبنائها والوقوف صفا واحدا خلف زعيمها وعلى مـدى ثلاثة أشـهر فقط تمكنت من قتل المئات من جنود قوات الاحتلال البريطانى ونسـف بعض المنشآت العسكرية البريطانية ومستودعات البنزين والخطـوط الحديدية والقطـارات والسـيارات والمواصـلات التلغرافيـة والتليفونية داخـل المستعمرات البريطانية واطـلاق النار عليهـم فى طريقهم الى معسكراتهم وان كنا قد دفعنا ثمن ذلك مئات الأرواح العزيزه من أبنائنا واخوتنا والدماء الطاهرة لعشرات المئات من الجرحى على أرض القنال من مدنيين وعسكريين (رجال شرطة) دفاعا عن حق مصر الحبيبة فى حياة حرة كريمة ولقد بلغ من حماقة واجرام الجنرال ارسكين — القائد العام للقوات البريطانية فى القنال وقتذاك — ان ازال فى لحظات — كفر أحمد عبده بمدينة السـويس المكون من ١٥٦ منزلا من الوجود بالدبابات والبلدوزارات وشرد ١٠٠٠ أسرة عمل اجرامى .. أصبحت هـذه الأسر على أثره بـلا مأوى دون سـبب اللهم الا للانتقام وان ننسى فلن ننسى ذلك اليوم الذى خرج فيه الزعيم « مصطفى النحاس » على رأس الشعب المصرى ... مشتركا فى جنـازة كبرى صامته يـوم ١٤ / ١١ / ٥١ على أرواح الشـهداء ومن حـوله الوزراء ورؤساء الأحزاب والهيآت والنقابات والعمال والطلبة وطوائف الشعب .. فكانت هذه الجنازة بمثابة نفخة منه فى بوق الجهاد .. جددت حماس الشباب . وظلت معارك الفدائيين فى منطقة القنال تنتقـل من نصر الى نصر وتحقق أمجادا ليس لها حصر بفضل ما قدم وزير الداخلية لهم من امكانيات وتيسيرات وقد كان على صلة بالكثيرين منهم حتى أصبحت منطقة القنال بالنسبة لجيش الاحتلال جحيما لا يطلق ونارا لا تحتمـل ، وصمد الشعب فى كفاحه ، رغم قلة وضعف سلاحه ، المتمثل فى البنادق والقنابل ، ايمانا بقضية بلاده مما آثار اعجاب العـالم بنا ، وآثار حفيظة بريطـانيا علينا ، ومادت الأرض تحت قدمى قوات الاحتلال فى أرض القنال .

معركة الشــرطة
بالاسماعيلية

وفى ٢٥ / ١ / ٥٢ اختــل ميزان البريجادير اكسهام ، قائد قوات الاحتلال بمنطقة الاسماعيلية ، فأتى من الأفعــال ، ما يندى له جبين الرجال ، فوجه انذارا فى الساعة السادسة وعشر دقائق صباحا الى قائد قوات بلوكات شرطة نظام الأقاليم بالاسماعيلية طالبه فيــه « بتســليم جميع أسلحة رجال بلوكات نظــام الأقاليم بالاســماعيلية وجلائهــا عن دار المحافظة وثكناتها مجردة من أسلحتها فى تمام الساعة السادسة والربع من صباح ذلك اليوم ورحيلها من منطقة القنال » .

وعلى أثر تلقى هذا الانذار تم الاتصــال تليفونيا بوزير الداخليــة فؤاد سراج الدين بالقاهرة لعرض الأمر عليه .. لكنه رفض الانذار بكل قوه وطالب رجاله « بعــدم التسليم ومقــاومة أى اعتداء يقــع على دار المحافظة أو على ثكنات بلوكات النظام أو على رجال البوليس أو الأهالى ودفع القوة بالقوة والصمود فى الدفاع حتى آخر لحظة وآخر طلقه مع القوات كما طلب تبليغ ذلك الى القيادة البريطانية » لأنه يدرك أن تسليم الجندى لسلاحه فيه الذله لمصر والمهانة للمصريين ... وفى الموعد المحدد أى فى الساعة السادسة والربع دارت المعركة بين قوتين غير متكافئتين قوة الشرطة المصرية وقوامها ٨٠٠ ضابط وجنــدى ببنادقهم العــادية وبين قوة الاحتلال وقوامها ٧٠٠٠ ضابط وجندى المسلحين بالدبابات الثقيلة والصغيره والسيارات والمصفحات والمدافع واستمرت أكثر من ساعتين حتى نفــذت ذخيرتهم ومن ثم استسلموا للأمر الواقع واحنى قائد القوات البريطانيــة رأسه احتراما لهم وقال لضابط الاتصال « ان رجال القوات المصرية دافعوا بشرف واستسلموا بشرف فحق علينا احترامهم جميعا ضباطا وجنودا » وقد سقط فى ميدان الشرف فى هذه المعركة من جنود الشرطة ٥٠ شهيدا ، ٨٠ جريحا ودمر مبنى المحافظة مقابل ١٣ قتيلا انجليزيا ١٢ جريحا ..

ولقد أبت وطنية الشبرطة عليها ، الا ان تتخذ من هذا اليوم عيدا لها ، متجددا على الأيام ، تحتفل به كل عام ، تزكية للروح الوطنية وتذكرة لحق مصر علينا فى البذل والعطاء •

« حــريق القــاهرة »

٢٦ / ١ / ٥٢

وفى قمة المجد ، وفى ذروة الوطنية ، كانت حريق القاهرة ، تلك التى امتدت فيها يد الخسه والنذالة فى ظلمة الليل ، بتدبير من القصر والمحتل ، لتطعن مصر فى ظهرها ، وتوجه ضربة فى قلبها ، لتوقف حركة المد الثورى ، والمجد الوطنى ، الذى كنا نرجو من ورائه تحقيق الجلاء العاجل الناجز وتطهير البــلاد من رجس الاحتــلال ، مستغلة تلك المظاهرة (التى كان قوامها رجال الشبرطة) الذين خرجوا معبرين عن سخطهم لاعتــداء قوات الاحتلال على زملائهــم فى اليوم الســابق ٢٥ / ١ / ٥٢ بالاسماعيلية واستشهاد ٥٠ منهــم و٨٠ جريحــا ••• وللتخلص من وزارة مصطفى النحاس وكأن وزارة مصطفى النحاس أجرمت فى حــق وطنها أو خانت الأمانة التى ائتمنتها الأمة عليها • آه لو استمرت وزارة مصطفى النحاس يوما أو بعض يوم لتم الجلاء رضى المستعمر أم لم يرض • اسمع أيهــا القارىء ما قاله فؤاد سراج الدين وزير الداخليــة فى وزارة النحــاس باشا الأخيرة سنة ١٩٥٢ •

فى النصف الثانى من شهر يناير سنة ١٩٥٢ وبينما معركة الفدائيين على أشدها فى القنال طلب مقابلتى السفير العراقى « نجيب الراوى بك » موفدا من دولة نورى السعيد باشــا رئيس الوزراء العــراقى المعروف بصداقته الوثيقة بانجلترا • وتم تحــديد الموعد •• وفى الموعد المحــدد تم اللقاء •

قال نجيب الراوى بك : لقــد طلب الى دولة نورى الســعيد باشا رئيس الوزراء العــراقى ان انقــل لكم على لســانه انه « ليس لــدى

انجلترا مانع من الجـلاء بشرط أن تتوقف أعمـال الفدائيين أى تتوقف أعمـال الكفاح بالقنال أولا » •

قال سراج الدين : ان مصر لا تعتمد على وعد جديد من الانجليز يضاف إلى عشرات الوعود من الانجليز السابق صدورها عنهم وما عليهم ان كانوا جادين الا ان يبـدأوا فى الجـلاء ونحن مستعدون ان نؤمـن ظهورهم عند جلائهم أما ان نوقف نشـاط الفدائيين قبل أن يبـدأوا فى الجلاء فهذا ما نرفضه ولا يوجد فى مصر من يقبله •

ولقد اقتنع نجيب الراوى بوجهة نظرى ووعدنى بابلاغ ذلك الى دولة نورى السعيد باشا ••• وانصرف •

وقد تم عرض هـذا الموضـوع على مجلس الوزراء فأقرنى عـلى وجهة نظرى •

اقالة وزارة مصطفى النحـاس

يوم ٢٧ / ١ / ١٩٥٢

وفى اليوم التالى لحريق القـاهرة أى فى (٢٧ / ١ / ١٩٥٢) — اقيلت وزارة مصطفى النحاس — اذ قد تحقق الغرض من الحـريق •• وتحقق الهدف الأكبر •• وخلفه على ماهر باشا فانسحب الفدائيون من القنـال ، واعتقـلت الحكومة منهـم الكثير فى الاسماعيلية وبورسعيد والسويس والتل الكبير ، وعاد كثير من العمال المنسحبين الى المعسكرات البريطانية ، وسكتت الوزارة على هذه العـودة رغم مخالفتها للقـانون واستؤنفت أعمـال الشحن والتفريغ للقوات البريطانية فى موانى القنال وعاد تموين معسكرات الانجليز فى مختلف أنحاء البلاد •• وباختصـار عادت الأمور الى ما كانت عليه قبل الغـاء المعاهدة • وانتكست الحركة الوطنية ، وضـاع المجد، و وطويت صحائفه ونكست اعلامه ، وضاعت

دماء الشهداء ، فى رمال الصحراء ، سدى وهباء ، وعاد الأمن والأمــان لجيش الاحتلال .. اذا فليس بغريب أو بعجيب ان نقول ان هذا الحريق من تدبير وصنع يد الاحتلال لأنه المستفيد دون سواه .. ليتك يا شمس يوم ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ لم تشرقى علينا فقد كان هذا اليوم يوم اسود فى تاريخ بلادنا وهكذا بدأت معركة قناة الســويس وهكذا انتهت ....

« كيف عاش النحاس »

آخــريات أيامه

لقد هام النحاس بحب مصر ، وعاش فى محراب غرامها ، هى شغله الشاغل ، وقضيته الكبرى ، همــه بالليل ، وذلــه بالنهــار ، استقلالها غايته ، ودستورها وحريتها أعز أمانيه ، لا مال يشغله ، ولا ولد يأخــذ بوقت من فكره ، ولا ذهب يسلبه جزءا من جهــده ، وهب نفسه لمصر ، وشعب مصر ، زهد الدنيا منذ زعامته للوفد ، وهجر المحاماة ، وجعــل قضية الوطن ، هى قضية المصير ، وحرم على نفســه ان يخصص جزءا من وقته لقضــايا الأفراد ، وكيف يواجه مطلب الحيــاة وهــو الفقير ، ولا دخل له الا معاشه الصغير ، الذى لا يتجاوز ال ١٢٠ جنيه لا غير ، فهو لم يرث الضياع أو القصــور انها الحقيقة .

وجاءت حركة الجيش سنة ٥٢ ، وحلت الأحزاب ، وصادرت أموالها فكيف يواجه الزعيم تغطية نفقات منزله ؟ اضطرت السيدة حــرمه ان تبيع ما تمتلكه من حليها الذهبية وبعض قطع أثاث منزلها لمواجهة أعبــاء المرض التى بدأت تزحف عليهما بشكل خطير فى أخريات أيامهما ومع كل ذلك اضطر الزعيم الى التخلص من سيارته الخاصــة بالبيــع وتسريح سائقها وتخفيض عدد القائمين على خدمته لعجزه الشــديد عن مواجهــة أعبائه الماليه المتزايدة فى السنوات الأخــيرة حتى كان عام ١٩٥٥ فقــد عجز عجزا تاما عن المواجهــة فاضطر ابن شقيقته والمشرف عــلى ادارة منزله الاستاذ محمود شوقى (سكرتير عام مجلس الوزراء سابقا) الى

تكليف اثنين من سكرتارية الزعيم السابقين بالسفر الى الوجهين القبلى والبحـــرى لجمع تبرعات من أعضاء الهيئة الوفدية السابقين « للزعيم » فأفزعنى هذا الأمر بل أحزننى حزنا شـــديداً حينما علمت به • وتوجهت فى الحال — الى مستشفى مجـــدى حيث كان الاستاذ فؤاد سراج الدين (سكرتير عام الوفد المصرى) يقضى جزءاً من عقوبة السجن التى قضت بها عليه محكمة الثورة (١٥ سنة) لمرضه — وأبلغته الأمر — فشـــاركنى ألمى وحزنى — وعلمت بعد انصرافى انه استدعى الاستاذ محمود شوقى ووقف منه تفصيلا على احتياج الزعيم شهريا •• فقدر بمبلغ ٤٠٠ جنيه •• التزم سراج الدين بسدادها أول كل شهر •• وأوقفت حملة التبرعات على الفـــور •• وفى اليوم التـــالى أخبرنى فؤاد سراج الدين بمـــا تم فشكرته •• وهكذا حفظنا للزعيم كرامته ومات محمود شوقى ولا يدرى اننى كنت الجندى المجهول فى هـــذه المعركة اســـتمر سراج الدين على التزامه الى أن وضع تحت الحراسة فى اكتوبر سنة ١٩٦١ وحاول الاستمرار فى التزامه الا أن الزعيم رفض بكل شده وأصر على الرفض فما كان من سراج الدين الا أن اتصل بالاستاذ صلاح الشاهد مدير مكتب « الرئيس جمال عبد الناصر » شارحا له الظروف التى يمر بها النحاس باشـــا وما تتطلبه حالته الصحية من نفقات وان معاشه الشـــهرى ضئيل للغاية •• لا يفى باحتيـــاجات الزعيم الرئيسية • فلا أقل من أن تصرف الدولة التى خدمها طوال حياته له معاشا استثنائيا أســـوة بالكثيرين الذين يصرف لهم معاشات استثنائية • محال ان يرتفعـــوا الى مســـتوى « مصطفى النحاس » فى خدماتهم وأعمالهم فوافق « الرئيس جمـــال » على صرف معاش اضافى قدره « ٢٥٠ جنيه » شـــهريا على أن يتم الصرف أول كل شهر للاستاذ فؤاد سراج الدين شخصيا — وحينما انتقل النحاس باشا الى جوار ربه فى ٢٣ / ٨ / ١٩٦٥ توقف الصرف فى أول سبتمبر ســـنة ١٩٦٥ وورثت الحكومة نصف معاشه الاصلى المستحق لها وصرفت للسيده حرمه النصف الباقى وقدره ٦٠ جنيه ستين جنيها فقط ،فى الوقت الذى رأينا بعضا من حكامنا غارقين فى الذهب الى الاذقان ، وملكوا القصور والضياع

فى الداخل والخارج بعد أن كانوا فى ضياع ، وتركوا من خلفهم صغارا يلعبون بالمال ، ويجوبون العالم بالطائرات ، واستمرت الدولة بعد وفاتهم فى صرف مخصصاتهم لذويهم كأنهم أحياء غير أموات ، وحينما هاجمنا تلك السياسة الخرقاء بمجلس الشعب سنة ١٩٧٨ قامت قيامة أعضاء حزب مصر الحاكم علينا كأننا ارتكبنا شيئا ادا ... كما ان بعض المحيطين بمن حكمونا ماتوا وقد طيرت الأنباء انهم تركوا فى بيوتهم ثروة نقديه تفوق المليون من الجنيهات فما بالهم بما تركوه من ثروات فى البنوك والمصارف والشركات هكذا عاش مصطفى النحاس الذى هز أركان الامبراطورية البريطانية حينما كانت الشمس لا تغيب عن ممتلكاتها عاش أخريات أيامه ، عيشة الفقر والحرمان ، بل عيشة الهوان ، بينما حكام آخر الزمان الذين كانوا أجنة فى بطون امهاتهم ، حينما كان مصطفى النحاس زعيما يشار اليه بالبنان ، يكون حالهم وحال ذويهم واطفالهم واسرهم من بعدهم أسعد حال ، فماذا يفسر قول الله فى القرآن ؟ وهل جزاء الاحسان الا الاحسان ؟

كلمة ختام

وأخيرا وليس آخرا فان هذه الصفحات المشرقات من حياة الزعيم « مصطفى النحاس » مجاهدا فى سبيل وحدة وادى النيل مصره وسودانه واستقلاله والذود عن دستوره والتمسك بالحياة النيابية والدفاع عنها ليست الا قليلا من كثير فحياته بحر لجى ، يستحيل على أمثالى أن يغوصوا فيه ، وأن يصلوا الى اغواره ، وان يكتشفوا كل اسراره ، ويستخرجوا كل كنوزه ولئالئه ، فما كتب عنه حتى اليوم ما هو الا قطرة من بحر ، وسطور فى سفر عظيم ، ومجلد كبير •

ان زعامة مصطفى النحاس ، زعامة نادرة ، وقيادة صارمة ، وأخلاقه أخلاقا فاضلة ، لقد تجمعت كل قوى الشر والطغيان عليه ، المحتل وأعوانه ، والملك وحاشيته وأحزاب الأقلية ، وصحفها الصفراء ، بما كانت تنفثه من سمومها فى غير استحياء أو حياء ، زعامة تحملت واحتملت ، وصبرت وصابرت ، زعامة أعطت ولم تأخذ ، وأصلحت ولم تفسد ، زعامة صلتها بالله حقا ، واخلاصها للشعب صدقا ، زعامة دخلت معارك عدة ، ومؤامرات ضارية ،فلم تستسلم أو تضعف ، لو قلبنا صفحات التاريخ قديمه وحديثه فلن نجد لها شبيها • وستظل مصر تفخر على مدى التاريخ انها انجبت « مصطفى النحاس » الذى حاول بعض أصحاب القلوب المريضه ان ينالوا من زعامته ، أو يشوهوا تاريخه أو يهونوا من قدر زعامته التى لم يصل اليها حاكم من قبله ومن بعده ولكن انى لهم ذلك فقد تنكر العين ضوء الشمس من رمد •

ما أعظمك يا زعيم الوادى •• فكم تحملت من أجل مصر والسودان ما لم يتحمله غيرك وكم صبرت وصابرت فى غير ملل وبكامل رضاك لأنه قدرك الذى صنعك الله من أجله ، وقدره عليك ، حقا كنت عملاقا فى النضال ، عملاقا فى تحمل الأذى ، هزمت جميع الخصوم وولوا أمامك الدبر ، والساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ، حياتك مليئة بجلائل

الأعمال ، وعظائم الأفعال ، حياتك درس عظيم الأثر وفيها العظات وفيها العبر ، لمن شاء أن يتذكر أو يتدبر ،

أنت الذى ارهبت الحكام فى حياتك ،

وأنت الذى ازعجت الطغاة فى مماتك .

نم هادئا بجـوار سعد .

نم هانئا بجوار الصديقين والشهداء والصالحين

وفى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين

على سلامه

عضو مجلس الشعب السابق

فهرست

الموضـــوع	صفحة

رقم الايداع ١٥٣٠ لسنة ١٩٨٣

مطابع سجل العـربـ



علی ابراهیم سلامة

* ولد اول يوليو سنة ١٩١٧ بقرية المنوات بمحافظة الجيزة .
* حائز على ليسانس الحقوق جامعة القاهرة .
* التحق بخدمة الحكومة أول يوليو سنة ١٩٣٦ .
* تعرض لحملات اضطهاد وتشتيت لأقاصى الصعيد فى عهد حكومات الأقلية .
* اعتقل ٢٥ شهرا لاشتراكه فى جنازة الزعيم مصطفى النحاس سنة ١٩٦٥ .
* كان رئيسا للجنة الشباب الوفدى بالمنوات سنة ١٩٣٦ ثم رئيساً للجنة الوفد بها سنة ١٩٤٢ ثم عضوا بلجنة الوفد العسامة بمحافظة الجيزة سنة ١٩٤٣ .
* رائدا من رواد الحركتين التعاونية والاجتماعية بمحافظة الجيزة .
* فاز بعضوية مجلس الشعب سنة ١٩٧٦ عن دائرة شبرامنت / جيزة عن (العمال) مستقلا — على منافسه (شقيق حرم رئيس الجمهورية مرشح الحكومة) .
* مضابط مجلس الشعب خير شاهد على مواقفه الوطنية .
* « نحن الوفديين » قالها فى ١٩٧٧/٦/١ تحت قبة البرلمان بعد ان ظلت حبيسة ١/٤ قرن من الزمان .
* كرس وقته وجهده للاسهام فى اقامة الوفد الجديد وانتخب عضوا بهيئته العليـا وسكرتيرا لجمعيته العمومية .
* نجح فى انتخابات سنة ١٩٧٩ مستقلا على مرشح الحزب الوطنى الحكومة نتيجة الانتخاب وصدر حكم مجلس الدولة فى الدعوى ٣٣ بتاريخ ١٠/٣/٨١ لصالحه ولم يتم تنفيذ الحكم بعد ...